بوزياني الدراجي

عبد الرحمان الأخضري

العالم الصوفي الذي تفوق في عصره







الكاتب والباحث الجزائري

بوزياني الدراجي

عبد الرحمن الأخضري

العالم الصوفي الذي تفوق في عصره

الطبعة الثانية

2009م



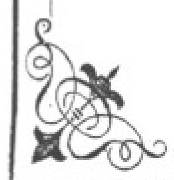








بسم الله الرحمن الرحيم








الإهداء

– إلى أبي وأمي العزيزين؛ صاحبي الفضل فيما وصلت إليه.

– إلى زوجتي الفاضلة الوفية؛ التي تحملت الصعاب في سبيل تحقيق ما أتمناه في الحياة.

– إلى بناتي وأبنائي؛ فلذات كبدي، والزهرات التي استنشق عبيرها وأعيش من أجلها.







مقدمة الطبعة الثانية

لـقي كتـاب العلامـة **عبـد الرحمـن الأخضـري** ــ والحمـد اللـه ــ إقبـالاً حميـداً؛ فنفـدت أعـداد الطبعـة الأولى بعـد مـدة قصيـرة. وكنـت أتمـنى إصـدار طبعتـه الثانيـة، وأنتظـر الفرصـة الـتي تسمـح بهـا إمكانـاتي لإصـدار ذلـك العمـل الهـام.

ولـم يطـل الوقـت؛ حـتى تحقـق مـا تمنيتـه؛ وذلـك عندمـا اتصـل بي صاحـب مؤسسـة بـلاد للنشـر (Bled Edition) طالبـاً نشـره بواسطـة مؤسستـه، وبدعـم مـن وزارة الثقافـة الجزائريـة.

وعـلى هـذا؛ سعيـت جـاداً لمراجعـة الكتـاب، وتنقيحـه، وإضافـة معلومـات ومـواد وأعمـال لـم تتضمنهـا الطبعـة الأولى؛ مثـل:

ــ كتـاب السـراج في علـم الفلـك.

ــ والمنظومـة المسمـاة أزهـار المطالـب في الإسطـرلاب.

ــ والقصيـدة اللاميـة في التصـوف والإرشـاد الديـني.

ــ والقصيـدة اللاميـة في النـبي خالـد بـن سنـان.

وبهـذه المناسبـة أقـدم شكـري وامتنـاني إلى حفيـد العلامـة **عبـد الرحمـن الأخضـري**؛ الأستـاذ **علـي الأخضـري بـن عبـاس البنطيـوسي**؛ عـلى مـا قدمـه إلي








من عون؛ بتمكيني من بعض أعمال **الأخضري**؛ التي لم تنشر في الطبعة الأولى. كما أشكر الأستاذ **سعد السعود خشاب**؛ الذي زوّدني بنسخة من مخطوط **الحسين الورثلاني**؛ الذي شرح فيه **قدسية الأخضري**؛ مسجلة على قرص مضغوط؛ وأصلها محفوظ **بالزاوية العثمانية بطولقة**.

وجملة القول؛ أرجو من الله أن يوفقني ويعينني؛ كي أقدم هذا العمل في أحسن صورة وأفضل محتوى. والله ولي التوفيق.

بوزياني الدراجي

الجزائر 15 فبراير 2009م

□








مقدمة الطبعة الأولى

راودتـني فكـرة الكتابـة عـن العلامـة **عبـد الرحمـن الأخضـري** منـذ فتـرة؛ إلى أن سنحـت هـذه الفرصـة المحفـزة؛ فشرعـت ــ عندئـذ ــ فيمـا نويتـه مـن قبـل. والـذي أغـراني ــ في الحقيقـة ــ عـلى الكتابـة عـن هـذا الرجـل العظيـم هـو تميـزه عـن غيـره مـن العلمـاء في عصـره؛ إذ لـم يكتـف بالنهـج التقليـدي لعلمـاء ذلـك العصـر؛ بـل سلـك نهـج أسلافـه مـن علمـاء العصـور السابقـة؛ المعتنيـن بالعلـوم العقليـة إلى جانـب النقليـة منهـا. لذلـك نجـده قـد صنـف أعمـالاً في **علـم الهيئـة، والإسطـرلاب، والحسـاب، والمنطـق**؛ إلى جانـب أعمـال **دينيـة كالقدسيـة والرائيـة** وغيـره.

غيـر أن أهـم مـا يميـزه؛ هـو اهتمامـه بنشـر العلـم عـن طريـق التدريـس؛ حيـث اهتـم ــ بالدرجـة الأولى ــ بالتربيـة والتعليـم، ثـم انهمـك في كتابـة المـواد العلميـة المطلوبـة للتدريـس؛ مثـل: **علـم النحـو**؛ الـذي كتـب فيـه منظومـة تشبـه الأجروميـة ولكنهـا شعـراً؛ وقـد سماهـا **"الـدرة البهيـة"**؛ وألـف ــ أيضـاً ــ منظومـة في **الحسـاب والفرائـض** مـن أجـل تلاميـذه؛ كمـا أنجـز مـن أجلهـم ــ كذلـك ــ منظومـة **الجوهـر المكنـون في البلاغـة**؛ بالإضافـة إلى أعمـال أخـرى سيـأتي الكـلام عنهـا لاحقـاً.






المهم أن **الأخضري** وضع نفسه في خدمة التربية والتعليم؛ في وقت كانت الدولة لا تعطي اهتماماً للتعليم وأصحابه. وإلى جانب التعليم؛ كان **الأخضري** ينشغل بالعبادة والوعظ وتهذيب الأخلاق؛ حيث أصبح مقامه مركزاً للدعوة وبعث حركة التصوف النزيه والطاهر. فكان ــ رحمه الله ــ يخلوا إلى نفسه في أوقات معينة؛ حيث يلتزم بالذكر والعبادة، كما كان يخصص بعض الوقت للتأليف في علوم الدين والتصوف؛ مثل: **متن العبادات في الفقه، والقدسية في التصوف والوعظ، والفريدة الغراء في التوحيد**، وغيره.

ولما كنت أملك بعض أعمال هذا العلامة فقد سعيت للحصول على ما أفتقده منها؛ وعلى هذا فقد وجدت عوناً كبيراً من قبل بعض الأصدقاء والأبناء؛ حيث مدني صديقي العزيز، الشاعر الكبير **أبو القاسم خمار** بنسخة من **المنظومة القدسية**، كما زودني الأستاذ الفاضل **محمد يزيد العلوي** بنسخة من **القصيدة الرائية**؛ في الوعظ وفي مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد تفضل بإعطائه إياها زميله الأستاذ **سعد السعود خشاب**؛ الذي جلبها ــ بدوره ــ من مدينة **غرداية**؛ لذا أجد نفسي مداناً لهم








جميعاً بهذه المنة؛ ولا يسعني ـ هنا ـ إلاّ تقديم الشكر الجزيل لهم.

كما أقدم شكري وامتناني لابنتي الفاضلة **دبابش اعتدال** على عونها وحماسها لما أقوم به؛ حتى أنها بذلت جهدها لكي تحضر لي نسخة ـ طبق الأصل ـ من شرح **منظومة الأخضري للقدسية**؛ الذي أنجزه الشيخ **الحسين بن أحمد زروق ابن مصباح** من مكتبة **الزاوية العثمانية بطولقة**؛ فشكراً لها ولابن شيخ الزاوية **سعد بن عبد القادر عثماني** على مساعدتهما.

أما المنهج المتبع في أعداد هذه الدراسة فيمكن إجماله في:

ـ تخصيص القسم الأول للتعريف **بعبد الرحمن الأخضري** ومزاياه خلال العصر الذي عاش فيه، ثم التطرق للمكانة العلمية التي يحتلها بين علماء ذلك العصر المتردي.

ـ تخصيص القسم الثاني لدراسة مختارات مما تيسر من مؤلفات **الأخضري**؛ وذلك لتمكين القارئ من الإطلاع بوضوح على ما أنتجه هذا العلامة. علما بأن ضيق المجال ومحدودية الزمان فرضا هذا الأمر.







ـ تخصيص القسم الثالث لعرض أعمال كاملة من مؤلفات **الأخضري**؛ دون تدخل أو تعليق. وهذا ما توفر لدينا حتى الآن؛ على أن نلتزم بإضافة ما سيتوفر من أعمال أخرى في المستقبل إن شاء الله.

ويستحسن الإفادة ـ هنا ـ بأن القسم الثاني من الدراسة تطلب مني التدخل بالتعليق والشرح؛ بحيث تم الشرح في سياق النص الرئيسي وبأسلوب مختصر؛ بينما كتبت التعاليق المقتضبة والإحالات في الهوامش السفلية. كما أُلْفِت نظر القارئ الكريم إلى بعض التدخلات التي كنت أقوم بها ضمن النصوص أو الاقتباسات؛ حيث وضعت تلك التدخلات بين قوسين مربعين مثل: [...] .

وفي هذا كفاية؛ وعلى الله التوفيق

بوزياني الدراجي

الجزائر في 24/06/ 2005.




سيدي عبد الرحمن الأخضري[1]

هو الشيخ العلامة، الإمام، الصوفي، الزاهد، الورع، التقي، المستقيم، الأستاذ، المعلم، المصلح، المجتهد، المحقق، المدقق، الباحث في شتى الفنون والعلوم، الناكر للذّات؛ **سيدي أبو زيد عبد الرحمن ابن محمد الصَّغَيَّرْ بن محمد بن عامر الأخضري.**[2] هذا ما ثبت حتى الآن بخصوص نسبه. لأن آراء الناس اختلفت ــ بعد ذلك ــ في تسلسل أسماء أسلافه.

وإذا كان **عبد الرحمن الأخضري** ينسب نفسه إلى الصحابي الجليل **العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي**؛ فقد شكك بعضهم في هذا النسب؛ وبالمقابل ينسبونه إلى **خضر بن عامر بن رياح**؛ زاعمين ــ في الوقت نفسه ــ بأنه ينتسب إلى بطن من بطون

---

[1] أهم المراجع التي تتضمن ترجمة لعبد الرحمن الأخضري هي: دائرة المعارف الإسلامية، مج: 1 . حرف الألف. ورحلة الحسين بن محمد الورتلاني المسماة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، ص ص: 5 ــ 6 . 87 ــ 88. و"الأعلام" للزركلي، ج: 4، حرف العين. و"تاريخ الجزائر العام" للشيخ عبد الرحمن الجيلالي، ج: 3، ص ص: 79 ــ 81. و"معجم المطبوعات العربية والمعربة"، مج: 1، حرف الألف، و"معجم أعلام الجزائر" لعادل نويهض، حرف الألف. و"تاريخ الجزائر الثقافي" للدكتور سعد الله الذي اعتمد ــ بدوره ــ على مخطوط "العقد الجوهري في التعريف ... الأخضري" للأحمد بن داود؛ كما استعان أيضاً بالترجمة التي قام بها لوسياني "للسلم المرونق". ثم "الرحلة الكبرى" للناصري.

[2] ورد اسمه في دائرة المعارف الإسلامية بطريقة مخالفة للمعهود؛ وهي: ((الأخضري: الصدر ابن عبد الرحمن بن أمير بن الوالي الصالح السيد الصغير بن محمد البنتيوسي المالكي: مؤلف عربي لا نعرف عن حياته شيئاً، له منظومتان ذائعتان: (1) "الجوهر المكنون في صدق الثلاثة فنون" في البلاغة... (2) "السلم المرونق" في المنطق)). ج: 1، ص: 514.

الدواودة؛[1] وبذلك فهم يخلطون بين سلسلة **خضر ابن عامر بن رياح**، والسلسلة التي تشمل **الدواودة** أبناء **داود بن مرداس بن رياح**. غير أن أبناء السلسلة الأولى والسلسلة الثانية لا ينتمون ـ بالطبع ـ إلى بعضهم بشكل مباشر؛ حتى وإن كانوا أبناء عمّ؛ يجمعهم نسب جدهم **رياح بن أبي ربيعة بن نُهيك ابن هلال**.[2]

وفي المقابل؛ يضع **الأخضري** نفسه ضمن سلسلة أخرى؛ لا علاقة لها بما قيل؛ وتلك السلسلة تمتد في قبيلة **بني سليم**؛ المختلفة تسلسلياً عن **بني هلال**. وعلى هذا؛ لا يوجد ما يستدعي نكران انتساب **الأخضري** للصحابي **العباس بن مرداس**؛ خاصة وأن الذين أنكروا هذا النسب لم يقدموا تعليلاً واضحاً ومفيداً. لذا فاحتمال صحة نسب **عبد الرحمن الأخضري للبعاس بن مرداس** ليس بعيداً؛ خاصة وأن هذا الصحابي ينتمي لقبيلة **بني سليم**؛ وقد كان بين الوافدين ـ من **بني سليم** ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3] كما تقول المصادر أنه

---

[1] تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 79.

[2] العبر، مج: 6، ص ص: 69 ـ 80. القبائل العربية في المغرب، ص ص: 212 ـ 215. 353.

[3] أنظر الطبقات الكبرى لابن سعد، ج: 1، ص: 307.

بقي في البادية قرب **البصرة**؛[1] حيث تتواجد أحياء من **بني سليم**. إذن؛ فما المانع أن ينتقل بعض أحفاد **العباس ابن مرداس** مع جموع **بني سليم** إلى بلاد المغرب..؟

هذا ما يمكن قوله بخصوص نسب **الأخضري** من جهة أبيه؛ أما نسبه من جهة أمه؛ فلا توجد معطيات تستحق التوسع والشرح؛ سوى أن أمه اسمها **حَدَّة**، وهي من **تفلفال بغسيرة**؛ تلك القرية المحفوفة بالنخيل والأشجار، والممتدة بامتداد **الوادي الأبيض**؛ بمياهه العذبة الرقراقة، والمتكئة إلى سفوح جبل **الأوراس** الأشم. وخبر أمه نقله الشيخ **الجيلالي**؛ عن الشيخ **عبد المجيد بن حبة**.

ـ مولد الأخضري:

وكما اختلف الناس في نسب **الأخضري**؛ تضاربت أقوالهم أيضاً حول تاريخي ميلاده ووفاته. فبينما يرى بعضهم أنه ولد في سنة 910 هـ/1504م، وتوفي في سنة 953هـ/1546م؛ يقول آخرون أنه ولد في عام 818هـ/1512م وتوفي في عام 983هـ/1546م. ومن جهة أخرى يزعم بعض الباحثين أنه ولد في

---

[1] الإصابة في تمييز الصحابة، ج: 2، ص: 272. والاستيعاب في معرفة الأصحاب، في هامش الإصابة، ج: 3، ص: 101.

عام 920هـ/1514م وتوفي: إما في عام 982هـ/1574م أو في 983هـ/1975م. ويبدو أن دافعهم لذلك هو ما ورد في بيت **للأخضري** حين نظم **"الدرة البهية"**؛ الشبيهة بالأجرومية؛ حيث قال:

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا قَصَدْنَا
مِنْ نَظْمِ هَذِهِ الَّتِي أَرَدْنَا
سَمَّيْتُهَا بِالدُّرَّةِ الْبَهِيَّهْ
فَهْيَ لِمَا فِي **أَصْلِهَا** مَحْوِيَّهْ
وَكَانَ فِي مُحَرَّمِ الْحَرَامِ
بَدْءاً وَخَتْمُنَا لِذَا النِّظَامِ
فِي إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَهْ
من بعد تسعمائة مستحسنه

وعلى هذا؛ فقد اعتقد العالمون بالأبيات المذكورة أنه كان حياً في هذه السنة على الأقل.[1] ولكن **الدكتور سعد الله** رأى في ذلك البيت تصحيفاً؛ حيث يحتمل أن تكون كلمة **"ثمانين"** قد استبدلت **"بثلاثين"**.[2] ويبدو أن رأيه لا غبار عليه؛ خاصة وأن البيت المقصود لا يستقيم وزنه مع سياق النظم.

[1] بوعبدلي، الأصالة، جانفي، 1978، 53. تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 81.
[2] تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 508، هامش 73.

ومجمل القول؛ يمكننا مجاراة الرأي الأكثر شيوعاً؛ وهو الذي يفيد؛ بأن مولد **عبد الرحمن الأخضري** في قرية **بنطيوس بالزاب الغربي**، وعاش بين سنتي: 920 و 953 هـ. وبذلك يكون هذا العلامة قد توفي في مقتبل العمر؛ إذ لم تتجاوز أيام حياته الثلاث والثلاثين سنة. ومن هنا يمكن إدراك مدى عبقرية هذا الرجل؛ الذي قدم لعصره؛ خلال سنوات قليلة؛ ما عجز عنه الآخرون ـ ممن طالت بهم الأيام والسنون ـ في ذلك العصر المتردّي في أحواله، الجدب في تراثه الفكري، الضحل في خيراته وفي رجاله.

ـ مكانته العلمية:

فعلى الرغم من قصر عمر **الأخضري**؛ فقد كانت أيامه حبلى بالثمار والإنتاج العلمي، ومليئة بالابتكارات والأعمال الجليلة؛ إذ يقال أنه أنجز قرابة الثلاثين[1] من المتون وشروحها؛ في مختلف العلوم وشتى الفنون. لذا؛ فقد ظهرت عليه علامات النبوغ والتفوق في سن مبكرة؛ حيث شرع في تأليف ونظم متون العلوم؛ وهو فتى لا يتجاوز سنه سبع عشرة

[1] الأصالة، جانفي، 1978، العدد: 53. ويقدر ما أنجز الأخضري من أعمال ـ في قول آخر ـ زهاء العشرين كتاباً. أنظر تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 81.

سنة؛ إذ أنجز وهو في هذا العمر منظومة **"السراج" في الفلك**، كما أنجز منظومة **"أزهار المطالب في الإسطرلاب"** حين بلغ العشرين من عمره، أما منظومة **"السلم المرونق" في المنطق والحكمة** فقد أكملها وهو في سن الحادية والعشرين سنة؛ وقد سجل ذلك خلال نظمه لها حين قال:

وَلِبُنَيَّ احْدَى وَعِشْرِينَ سَنَهْ
مَعْذِرَةٌ مَقْبُولَةٌ مُسْتَحْسَنَهْ
لاَ سِيَّمَا فِي عَاشِرِ القُرُونِ
ذِي الجَهْلِ وَالفَسَادِ وَالفُتُونِ
وَكَانَ فِي أوَائِلِ المُحَرَّمِ
تَأليفُ هَذَا الرَّجَزِ المُنَظَّمِ
مِنْ سَنَةِ احْدَى وَارْبَعِينَ
مِنْ بَعْدِ تِسْعَةٍ مِنَ المِئِينَ

كما أنه أنجز المنظومة **"القدسية"** وهو في سن الأربع والعشرين؛ أي في سنة 944هـ؛ حيث قال في ختامها:

فِي أرْبَعٍ وَأرْبَعِينَ قَدْ نَجَزْ
مِنْ عَاشِرِالقُرُونِ قُلْ هَذَا الرَّجَزْ

أما منظومة **الجوهر المكنون** فقد أنجزها في منتصف القرن العاشر للهجرة؛ أي في حدود 950هـ؛ وقد أشار لذلك في آخر المنظومة حيث قال:

ثُمَّ بِشَهْرِ الحجَّةِ المَيْمُونِ
تَتِمُّ نِصْفِ عَاشِرِ القُرُونِ

وبذلك يكون عمر **الأخضري** ـ آنئذ ـ لا يتجاوز الثلاثين سنة. وعندما نتأمل في العمر الذي ألف فيه أهم أعماله؛ يتبين لنا أنه أنجزها في سن مبكرة جداً؛ وذلك بالاستناد إلى ما أثبته هو بنفسه في منظوماته. وعليه يمكن إسقاط مسوغات من يقول بأنه عَمَّرَ طويلاً؛ حين قالوا: أن الأعمال العلمية التي أنجزها **الأخضري** تدل على أنه وصل من النضج مستوى يؤهله لذلك. وهكذا فقد تبين أن **الأخضرى** اكتسب النضج قبل أوانه، وامتلك العلوم في سن مبكرة.

ـ *عصر الضعف:*

وإذا عدنا إلى ما سبق ذكره في منظومة **"السلم المرونق"** سيتضح لنا من تلك الأبيات؛ أن **الأخضري** أشار إلى حال عصره المتدهور؛ حين قال:

لَا سِيَّمَـــا فِي عَاشِــرِ القُـــرُونِ
ذِي الجَهْــلِ وَالفَسَـــادِ وَالفُتُـــونِ

وقـــد بـــكى زمانـــه في المنظومـــة **"القدسيـــــــة"** وتأســــــف علـــى حـــال العلـــم والعلمـــاء فيـــه بقولـــه:

هَذَا زَمَانٌ كَثُـــرَتْ فِيـــهِ البِـــدَعْ
وَاضْطَرَبَتْ عَلَيْـــهِ أمْوَاجُ الخِـــدَعْ
وَخَسَفَـــتْ شَمْسُ الهُدَى وَأَفَلَـــتْ
مِنْ بَعْدِ مَا قَدَ بَزَغَـــتْ وَكَمُلَـــتْ
وَالدِّيـــنُ قَدْ تَهَدَّمَـــتْ أرْكَانُـــهْ
وَالـــزُّورُ طَبَّـــقَ الْهَـــوَى دُخَّانَـــهْ
وَظُلمَـــاتُ الـــزُّورِ وَالبُهْـــتَـــانِ
تَزَخْرَفَـــتْ فِي جُمْلَـــةِ الأوْطَـــانِ

ثـــم يضيـــف:

يَا وَيْلَـــتِي هَـــذَا زَمَـــانُ البِـــدَعِ
مَاتَ بِهِ أهْـــلُ التُّـــقَى وَالْـــوَرَعِ
وَاحَسْرَتِي عَلَى الْكِـــرَامِ البَـــرَرَهْ
قَدَ أُخْلِفُـــوا بِالْمُدَّعِيـــنَ الفَجَـــرَهْ

إلى أن يقول:

وَأَسَفَا عَلَى الرِّجَالِ الكَامِلِينْ
قَدْ ذَهَبُوا بَيْنَ الْعِبَادِ خَامِلِينْ
فَسُتِرُوا بِظُلُمَاتِ الْبِدَعِ
فَلَمْ يَبِنَ صَادِقٍ مِنْ مُدَّعِ

ولم يكتف **الأخضري** بالنظم ـ في انتقاده لما وصل إليه العلم والعلماء في وقته ـ بل استعان بالنثر أيضاً؛ وذلك أثناء شرحه لمنظومة **"السلم المرونق"**؛ حيث قال: ((**وإذا كان العذر من حق المبتدي في الزمان المتقدم؛ فكيف في هذا الزمان الصعب الذي انقرض فيه أكابر العلماء، ولم يبق فيه إلاّ حثالة الحثالة**)).[1]

وقد خصص حيزاً كبيراً في المنظومة **"القدسية"** للتنديد بالمشعوذين والدجالين وعلماء السوء؛ حيث قال فيهم:

قَدْ ادَّعَوْا مَرَاتِباً جَلِيلَهْ
وَالشَّرْعُ قَدْ تَجَنَّبُوا سَبِيلَهْ
قَدْ نَبَذُوا شَرِيعَةَ الرَّسُولِ
فَالْقَوْمُ قَدْ حَادُوا عَنِ السَّبِيلِ

[1] شرح الأخضري على السلم المرونق، ص: 38، القاهرة، 1314هـ. وتاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 81.

ثـــم يقــول:

لَمْ يَبْقَ مِنْ دِينِ الْهُدَى إلاَّ اسْمَـــهُ
وَلاَ مِـــنْ الْقُـــرْآنِ إلاَّ رَسْمَـــهُ

هَيْهَاتَ قَدْ غَاضَتْ يَنَابِيعُ الْهُـــدَى
وَفَاضَ بَحْرُ الْجَهْـــلِ وَالزَّيْـــغُ بَدَا

أيْنَ رُعَـــاةُ الدِّيـــنِ أهْـــلُ الْعِلْـــمِ
قَدْ سَلَفُـــوا وَاللَّـــهِ قَبْـــلَ الْيَـــوْمِ

وَهَاجَـــتِ الطَّائِفَـــةُ الدَّجَاجِلَـــهْ
السَّالِكُـــونَ لِلطَّرِيـــقِ الْبَاطِلَـــهْ

وَكَثُرَتْ أهْلُ الدَّعَـــاوَى الكَاذِبَـــهْ
وَصَـــارَتِ الْبِدْعَـــةُ فِيهِمْ غَالِبَـــهْ

ثـــم يقـــول في إحـــدى قصائـــده الأخـــرى؛ محـــذراً مـــــن علمـــاء الســـوء:

وَاحْـــذَرْ عُلَمَـــاءَ السُّـــوءِ فَقَـــدْ
خُصُّـــوا بِالإفْـــكِ وَبِالخَطَـــلِ

حَفِظُـــوا الأقْـــوَالَ وَمَا عَمِلُـــوا
بِالْعِلْـــمِ فَسَـــاءَ القَـــوْمَ قُـــلِ

مَـــا حِرْفَتُهُـــمْ إلاَّ لَعِـــبٌ
وَلُحُـــومُ النَّـــاسِ بِـــلاَ قُلَـــلِ

أَرْبَــابُ قُلُــوبٍ قَاسِيَــةٍ
لِلطَّاعَــةِ أَصْـــلاً لَــمْ تَمِــلِ
لاَ نُطْــقَ لِذِكْــرِ اللَّــهِ لَهُــمْ
إلاَّ بِاللَّــهْــوِ وَبِالْهَــزَلِ
لاَ يَكْسِبُــونَ العِلْــمَ سِــوَى
لِرِيَــاءِ النَّــاسِ وَلِلْجَــدَلِ
طَمَــسَ الأَقْــوَالَ تَمَلُّقُــهُــمْ
لِــوُلاَةِ السُّــوءِ ذَوِي الخَلَــلِ

وإذا كـان **الأخضـري** قـد اشتـكى مـن الأوضـاع المزريـة للعلـم والعلمـاء في عصـره؛ فإننـا نـرى أن تلـك الظاهـرة السلبيـة قـد شرعـت بوادرهـا تظهـر في عصـر سابـق لعصـر **الأخضـري**؛ فنجـد أن علمـاء آخريـن في **الجزائـر** ــ أيضـاً ــ قـد اشتكـوا مـن الحـال المترديـة للعلـم والعلمـاء. فـفي وقـت سابـق بقليـل عـن أيـام **الأخضـري** ــ ظهـر رجـل مشهـود لـه بالعلـم والتقـوى؛ وهـو **عبـد الرحمـن الثعالـبي**؛ فقـال: **((وقـد قـل الاعتنـاء في هـذا الزمـان بالعلـم))**.[1]

ولـم يقـف الوضـع عنـد **الثعالـبي** الـذي عـاش في القـرن التاسـع مـن الهجـرة؛ بـل ازدادت الأوضـاع سـوءاً

---

[1] تاريـخ الجزائـر العـام، ج: 2، ص: 249، نقـلاً عـن مخطـوط الأمهـات للثعالـبي.

في القرن العاشر؛ الذي عاش فيه **عبد الرحمن الأخضري**. ففي هذا العصر توقف تدفق رُفَّادُ المعرفة، وانطفأت أنوار الاجتهاد والابتكار، وجفت منابع العلوم والفنون؛ إذ ابتليت موارد المعرفة بالغور والانحسار. فنُكِبت **البلدان المغربية** ـ عموماً ـ بالغزو الصليبي؛ الوافد من **إسبانيا ومالطا وصقلية**. وكانت **الممالك المغربية** في أسوء حالها من الضعف والتفكك. ووصل التعفن والفساد بدولتي: **بني زيان بتلمسان والحفصيين ببجاية وقسنطينة** إلى حد؛ سعى فيه أهل الغيرة من **الجزائريين** إلى الاستنجاد **بالعثمانيين**؛ قصد صد جيوش **الإسبان**، وردهم عن أسوار المدن الساحلية.

وباستقرار **العثمانيين في الجزائر**؛ ازدادت فجوة الجهل بين السكان اتساعاً، وتعاظمت الظواهر المؤدية للشعوذة والدروشة، وانتشرت عبر البلاد أفواج من العامة المتسببين زوراً للصوفية؛ إذ كوّنوا فرقاً لها ميول سلبية، مستسلمة لمقتضى الحال، ومنكمشة ضمن حلقات من الأتباع العاطلين والغاطسين في أعماق الغيبيات، والحالمين بالأوهام والخرافات التي لا تجدي ولا تفيد. وقد ساعدت هذه الظاهرة على بعث الشلل في الأوساط العلمية **ببلاد المغرب**؛ وتسببت في بث روح

التواكل والكسل والإهمال في صفوف طلاب العلم. ونتيجة لذلك؛ اكتفى عدد كبير من طلبة العلم، ومن المنتسبين إلى صفوف العلماء ـ في أعمالهم ومؤلفاهم ـ بكتب الأذكار والأوراد[1] والمواعظ.

واستمرت هذه الظاهرة قائمة طوال الفترة **العثمانية.** وقد عبر شارح **الأخضري** ومترجمه **عبد الكريم بن الفكون** ـ في بداية القرن الحادي عشر ـ عن استمرار ذلك الوضع المتردي للعلم والعلماء؛ حين قال في كتابه **"منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"**: **((فلما رأيت الزمان بأهله تعثر، وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل أظلت، وأسواق العلم قد كسدت، فصار الجاهل رئيساً، والعالم في مترلة يدعى من أجلها خسيساً... كل ذلك والقلب مني يتقطع؛ غيرة على حزب الله العلماء؛ أن ينسب جماعة الجهلة المعاندين الضالين المضلين لهم، أو يذكروا في معرضهم، وغيرة على جناب السادة الأولياء**

[1] الورد: تسمية مجازية لحزب من القرآن؛ أو بالأحرى: هو مقدار معلوم من قراءة القرآن يداوم الشخص على قراءته في أوقات معينة. ثم أصبحت هذه التسمية تطلق على قدر من الأدعية التي يدعو بها الصوفيون في أوقات محددة.وقد تبنوا كثيراً من الأوراد المأثورة، والمستمدة من شيوخ الصوفية المرموقين. وقد وصفها زكي مبارك بقوله: ((أن لتلك الأوراد ملامح أدبية وخلقية: فهي باب من الأدب؛ لأن مؤلفيها كانوا يتحرون دقة الأسلوب، وروعة الخيال، وهي من صميم الأخلاق؛ لأنها رياضة على التقرب إلى الله، والانقطاع إليه، والفناء فيما يريد)). التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، ج: 2، ص: 66.

الصوفيـــة؛ أن تكـــون أراذل العامــــة، وأنـــــذال الحمـــــقى المغروريـــن أن يتسمـــوا بأسمائهـــم، أو يظـــن بهـــم اللحـــوق بآثارهـــم)).[1]

وفي هـــذا الزمـــان بالـــذات؛ المترنـــح ـــ المعـــروف **بالعهـــد العثمـــاني** ـــ ظهـــر العلامـــة **عبـــد الرحمـــن الأخضـــري** للوجـــود؛ فحـــاول تغييـــر الاتجـــاه التقليـــدي آنئـــذ؛ حيـــث سلـــك نهجـــاً أكثـــر فعاليـــة، وأخصـــب نتاجـــاً، وأوفـــر ثمـــاراً. فأعـــاد للأذهـــان سنـــة أسلافـــه مـــن العلمـــاء الأفـــذاذ؛ **كعبـــد الرحمـــن بـــن خلـــدون، وابـــن مـــرزوق الحفيـــد، وقاســـم العقبـــاني، وسعيـــد العقبـــاني، وأحمـــد بـــن يحـــيى الونشريـــسي، ومحمـــد ابـــن يوســـف السنـــوسي، وعبـــد الرحمـــن الثعالـــبي، وأحمـــد الغبريـــني؛ وأحمـــد زروق الفـــاسي**..إلـــخ؛ فانكـــب عـــلى التدريـــس والتأليـــف، ووجـــه طـــلاب العلـــم الملتحقيـــن بحلقتـــه إلى تلـــقي العلـــوم النقليـــة والعقليـــة عـــلى الســـواء. فقـــد كـــان يعلمهـــم مـــن العلـــوم: **الفلـــك، والمنطـــق، والحســـاب، والبلاغـــة، واللغـــة، والنحـــو؛** إلى جانـــب مـــا كـــان يقدمـــه لهـــم مـــن علـــوم: **التوحيـــد، والفقـــه، والفرائـــض، والتصـــوف.**

[1] الأصالـــة، جانـــفي 1978، عـــدد: 53، ص: 29.

ـ الأخضري والصوفية:[1]

ومع هذا؛ يجب الاعتراف بأن **عبد الرحمن الأخضري** لم يأت من العدم؛ ولم يترعرع وينشأ في أرض عقيمة بالكل، ولم يكبر في تربة غير صالحة للحرث والإنبات بالتمام؛ بل هو سليل أسرة علمية صوفية؛ أنجبت علماء عديدين؛ منهم جده **محمد بن عامر**؛ الذي ألف **كتاباً في الفتاوي**، ثم أبوه **محمد الصَّغَيِّرْ**؛ الذي ألف **حاشية لكتاب سيدي خليل**،[2] كما ألف **كتاباً عالج فيه موضوع التصوف**؛ حيث انبرى لنقد المنحرفين والخارجين عن النهج السليم؛ من أصحاب البدع ممن سماهم بـ**((الدجاجلة))**.

ويبدو أنه تأثر بأستاذه **أحمد الزروق الفاسي**.[3]

---

[1] الصوفية هم المنسوبون لأهل التصوف. ولم يتفق الباحثون على تعريف واحد لعلم التصوف؛ بل اختلفت آراؤهم في تحديد تعريف جامع له؛ إذ ثمة من يقول أن معنى التصوف يتعلق بعبارات هي: الصفا والصافي والصفوة والتصفية؛ وآخرون يرجعون هذا الاسم إلى أهل صُفَّةِ مسجد رسول لله صلى الله عليه وسلم ؛ بينما يعتقد كثير منهم أن الاسم منسوب إلى الصوف؛ بسبب لبس أهل هذه الطريقة للصوف؛ زهداً منهم وابتعاداً عن اللباس الناعم الرفيع، وتقشفاً في حياتهم عن مباهج الدنيا ورفاهيتها.

[2] وهو من علماء المالكية في مصر؛ عرف بلقب ضياء الدين الجندي؛ لأنه كان يلبس لباس الجند؛ ألف "المختصر" في الفقه المالكي؛ وهو أهم كتبه، ثم "التوضيح"؛ وهو شرح لمختصر ابن الحاجب، وكتاب "المناسك"، و"مخدرات الفهوم فيما يتعلق بالتراجم والعلوم"، و"مناقب المنوفي". لا يعرف تاريخ ميلاده؛ كما اختلف الناس في سنة وفاته؛ فمن قائل أنها 776هـ/1374م، أو قائل أنها تكون في عام 767هـ/1365م، أو سنة 769هـ/1367م، أو 835هـ/1431م، أو كما قال صاحب الديباج المذهب: من أنه توفي بالطاعون سنة 749هـ/1348م.

[3] وردت ترجمة أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق في كتب عديدة؛ أهمها كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص ص: 45 ـ 50. وجاء فيه أنه ولد في سنة 846هـ وتوفي في سنة 899هـ. حفظ القرآن الكريم، وأخذ

إذن **فعبد الرحمن الأخضري** نشأ في وسط علمي متمسك بالشرع، حريص على نبذ البدع والأوهام التي تتعارض مع الكتاب والسنة؛ فأخذ العلم عن أبيه **محمد الصُّغَيَّر** وعن شقيقه الأكبر الشيخ **أحمد** في بلدهم **"بنطيوس"**؛ ثم التحق بحلقات علم أخرى؛ يشرف عليها علماء في بلاد **الزاب**؛ مثل الشيخ الصوفي الزاهد **عبد الرحمن بن لقرون** نزيل **لشانة**، والشيخ **أبو الطيب، وعبد الهادي الفطناسي ببسكرة**؛ ثم درس ــ بعد ذلك ــ في **قسنطينة** فأخذ العلم عن **عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني** المعروف باسم **الوزان**[1]. وثمة بعض الأقوال التي لم تتأكد؛ ترى أنه درس أيضاً **بالزيتونة** في **تونس**.[1]

العلم عن كبار العلماء بالمغرب في عصره مثل: علي السطي، وعبد لله الفخار، وعبد الرحمن المجدولي وأبي عبد الله القوري، وعبد الرحمن الثعالبي، وإبراهيم التازي، وأحمد ابن سعيد بن الحباك، والرصاع، والحافظ التنسي، والإمام السنوسي، وابن زكري، وأبو مهدي عيسى المواسي. كما أخذ عن بعض علماء المشرق مثل: النور السنهوردي، والحافظ الدميري، والحافظ السخاوي، والقطب أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي، والولي شهاب الدين الأقشيطي. وأهم مؤلفاته تنحصر في العبادات والتصوف كـ: شرح مختصر خليل، وشرح الوغليسية، وشرح القرطبية، وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، وشرح الأسماء الحسنى، وشرح المراصد في التصوف لأحمد بن عقبة، وكتاب القواعد في التصوف، وكتاب إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين، وكتاب النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، وكتاب النصح الأنفع والجنة للمعتصم من البدع بالسنة، وشرح العقيدة القدسية للغزالي، وغيرها من المؤلفات التي تربو عن 55 تأليفاً.

[1] وردت أهم ترجمة له في كتاب تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص ص: 387 ــ 392. وفيها أشار الدكتور سعد الله إلى أن الوزان يحتل مكانة مرموقة بين علماء قسنطينة في القرن العاشر من الهجرة. وقد كرس نفسه للتدريس والتأليف؛ ضارباً عرض الحائط الوظائف التي عرضت عليه. وتخرج على يديه كثير من العلماء؛ مثل: ابن الفكون الجد، وعبد الرحمن الأخضري، ويحيى بن عمر الزواوي، ويحيى بن سليمان الأوراسي. أما أهم

أما تلاميذه؛ فأتوه من جهات كثيرة؛ **كوادي ريغ، وقسنطينة ونواحيها، وتفلفال، وبلاد الزاب،** وغرها؛ وعرف منهم حتى الآن : الشيخ **أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي**؛ وهو الذي شرح كتاب أستاذه **الأخضري ((السراج في علم الفلك))**.

وشرع **الأخضري** ـ منذ صباه ـ في تحقيق ميوله العلمية؛ إذ ظهرت عليه نزعة قوية دفعته نحو العلوم العقلية؛ التي تتطلب قوة العقل، وسلامة الذوق، وطول النفس، والقدرة على الصبر. وإلى جانب ذلك؛ كان يعتني ـ أيضاً ـ بعملية التربية والتعليم؛ حيث أوقف نفسه في سبيل نشرهما نظرياً وتطبيقياً؛ إذ كان يؤلف الكتب المدرسية؛ ممثلة في المواد المراد تعليمها. فوجد أن خير وسيلة لتقريب المواد التعليمية إلى أذهان تلاميذه، وتيسير حفظ الضروري منها؛ هو أن يَنْظُم المواد العلمية المرغوب فيها، أو يلخص بعض المتون الأخرى نثراً؛ مثل: المتن الخاص بالعبادات. ولم يقتصر **الأخضري** على تأليف المتون فحسب؛ بل

مؤلفاته فهي: "البضاعة المزجاة"، و"الرد على الشابية المرابط عَرَفه القيرواني"، و"فتاوي في الفقه والكلام"، "حاشية على شرح القصيدة الصغرى للسنوسي"، و "تعليق على قول خليل (وخصصت نية الحالف)". وجاء في الترجمة أنه توفي في سنة 965هـ/1557م، أو في 960هـ/1552م. أما السنة التي ولد فيها فغير معروفة.

[1] رسالة العقد الجوهري في التعريف بالشيخ عبد الرحمن الشهير بالأخضري؛ وتاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 507.

أنجز شروحاً لها بنفسه؛ لأنه كان يدرك صعوبة تلقي تلك العلوم مختصرة دون توسع أو شرح. ومع كل ذلك؛ فقد كان يقوم بتدريس مؤلفاته وشرحها بنفسه أمام طلبته في **ببنطيوس**؛ حيث يوجد ضريحه اليوم.

ويبدو أنه كان ينظم تلك المواد العلمية تلبية لرغبة طلابه الذين يلازمون حلاقاته العلمية؛ وقد ذكر هذا في بداية منظومة **"الجوهر المكنون"**؛ إذ قال أنه نظمها استجابة لرغبة بعض الطلاب؛ وفيها يقول:

وَقَدْ دَعَا بَعْضٌ مِنَ الطُّلاَبِ
لِرَجَزٍ يَهْدِي إِلَى الصَّوَابِ
فَجِئْتُهُ بِرَجَزٍ مُفِيدِ
مُهَذَّبٍ مُنَقَّحٍ سَدِيدِ
مُلْتَقِطاً مِنْ دُرَرِ التَّلْخِيصِ
جَوَاهِراً بَدِيعَةِ التَّلْخِيصِ
سَلَكْتُ مَا أَبْدَى مِنَ التَّرْتِيبِ
وَمَا أَلَوْتُ الجُهْدَ فِي التَّهْذِيبِ
سَمَّيْتُهُ (بِالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ)
فِي صَدَفِ الثَّلاَثَةِ الفُنُونِ

وكان يراعي ــ في تعليم طلبته ــ واقع الحال؛ حيث يوظف ما يَنْظِمُه لهم من مواد علمية؛ بحيث تتماشى مع الغرض الأساسي في التعليم. وبهذا يعتبر **الأخضري** من المعلمين **"البيداغوجيين"** في زمنه. وبما أن الهدف الأساسي المقصود في تعليم الطلبة عنده؛ هو: حفظ القرآن وتمكينهم من امتلاك العلوم الدينية، والتقيد بالمنهج الصوفي؛ بنشر السلوك الأخلاقي الإسلامي، وبث حب العبادة في نفوس الطلبة، وتدربهم على الالتزام بالذكر؛ فإنه كان يعرض عليهم ــ في منظوماته المختلفة ــ بعض الأمثلة من المحيط الذي يستهدفه؛ فهو ــ مثلاً ــ عندما نظم **"الجوهر المكنون"** في البلاغة؛ تعمد تقديم الأمثلة والشواهد من صميم المواد الدينية؛ بل الصوفية بالتحديد؛ فها هو ذا يقول؛ في **"باب الإسناد الخبري"**:

كَقَوْلِنَا لِعَالِمٍ ذِي غَفْلَةٍ:

"الذِّكْرُ مُفْتَاحٌ لِبَابِ الحَضْرَةِ"

وفي باب المسند إليه يقول:

كـ **"حَبَّذَا طَرِيقَةُ الصُّوفِيَّهْ**

تَهْدِي إِلَى الْمَرْتَبَةِ العَلِيَّهْ"

ويقـــول في البـــاب نفســـه أيضـــاً:

وَفَصْلُـــهُ يُفِيـــدُ قَصْـــرَ المُسْنَـــدِ

عَلَيْهِ كَـ**"الصُّوفِيِّ وَهْوَ الْمُهْتَدِي"**

وفي بـــاب المسنـــد يقـــول:

وَأفْـــرَدُوهُ لاِنْعِـــدَامِ التَّقْوِيَـــــهْ

وَسَبَبٍ كَـ**"الزُّهْدُ رَأسُ التَزْكِيَـــهْ"**

ثـــم يقـــول في البـــاب نفســـه:

وَجُمْلَـــةٌ لِسَبَـــــب أوْ تَقْوِيَـــهْ

كَـ**"الذِّكْرُ يَهْدِي لِطَرِيقِ التَّصْفِيَهْ"**

ثـــم يضيـــف:

تَنْبِيـــهٍ أوْ تَفَـــــاؤُلٍ تَشَـــوُّفِ

كَـ**"فَازَ بِالْحَضْـــرَةِ ذُو تَصَـــرُّفِ"**

وفي بـــاب الإيجـــاز والإطنـــاب والمســـاواة يقـــول:

كَـ**"عن مجالـــس الفسوق بعـــدا**

ولا تصاحـــب فاسقـــا فتـــردى"

وفي باب "الحقيقة والمجاز" يقول:

كِلاَهُمَا شَرْعِيٌّ أوْ عُرفِيٌّ

نَحْوُ **"ارْتَقَى لِلْحَضْرَةِ الصُّوفِيِّ"**[1]

ويقول في **"**فصل الاستعارة**"** أيضاً:

نَحْوُ "ارْتَقَى إلَى سَمَاءِ القُدْسِ

فَفَاقَ مَنْ خَلْفَ أرْضِ الْحِسِّ"[2]

ثم يقول في فصل **"**في الحقيقيه والعقلية**"**:

كَـ"أشْرَقَتْ بَصَائِرُ الصُّوفِيَّهْ

بِشَمْسِ نُورِ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّة"[3]

وهذه الأمثلة وغيرها ـ كلها ـ تدل على حسن تصرف في اختيار الشواهد والأمثلة خلال عملية التدريس؛ فبما أن طلبة **الأخضري** مختصون أساساً في العلوم الدينية. وبما أن أستاذهم يعتبر من أقطاب الصوفية ومن أئمتها الكبار؛ فإن أمثلة الأستاذ تكون فعالة ومفيدة عندما يتم اختيارها من ذلك المحيط؛ وهذا هو ما حصل..

وقد اتضح من خلال ما تم الإطلاع عليه من منظومات **الأخضري:** في التصوف والسيرة، وفي

الفرائض والحساب، وفي البلاغة والمنطق وغيره؛ أن هذا العلامة متمكن في العلوم التي عالجها بواسطة النَّظْم؛ كما تبين أنه متفوق في نظم المطولات؛ إذ يتميز بقدرة كبيرة في هذا الفن؛ الذي يتطلب مكانة عظيمة في علوم اللغة والعروض وسليقة طلقة في ركوب أوزان البحور الشعرية. فمن قَصُرَ نظره في علم ما لا يمكنه النظم فيه أبداً؛ لأن النظم في علم من العلوم يتطلب استيعاباً شاملاً وفهماً كلياً ودقيقاً. لذا **فالأخضري** يتميز بالقدرة الفائقة، وبالنظرة الكلية الشاملة؛ التي تسمح له بالتنقل من فكرة إلى أخرى؛ لكي يساير الأوزان الشعرية ويراعي القياس اللغوي، ويواكب القواعد والمفاهيم التي يتظمنها العلم المراد نظمه.

وعلى الرغم من اعتكاف **الأخضري** وانشغاله بالدراسة والعبادة والتأمل في خلوته **ببنطيوس**، وفي بعض الجبال القريبة من قريته؛ إلاّ أنه لم يسعَ نحو تقمص دور الأولياء؛ المنقطعين كلياً عن الناس في خَلوات الذكر والخمول؛ ولم يدَّعِ يوماً أنه من المرابطين المنعوتين بالكرامات، أصحاب الخوارق والمعجزات،[1] ولم يزج بنفسه بين من يدعي

[1] يفرق المتكلمون بين الكرامات والمعجزات، ويشرح الباقلاني ذلك في كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات؛ حيث يرى أن

الدروشة المغالية في نشر الخرافات والبدع؛ من الذين يسبحون في الأوهام والميول السلبية؛ بل على الرغم من أنه صوفي التوجه، زاهد في الدنيا، ورع وصادق في تدينه؛ إلاّ أنه كان يتميز بعقل رياضي، منطقي، واقعي؛ وكان متمسكاً بالكتاب والسنة، لا يعطي بالاً للغيبيات السرابية، ولا يسمح بالغلو في الأوهام. وهذا ما أكده في منظومته المسماة **"بالقدسية"**؛[1] إذ يقول:

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الوَلِيَّ الرَّبَّانِي
لَتَابِعُ السُّنَّةِ وَالقُرْآنِ
وَالفَرْقُ بَيْنَ الإِفْكِ وَالصَّوَابِ
يُعْرَفُ بِالسُّنَّةِ وَالكِتَابِ
وَالشَّرْعُ مِيزَانُ الأُمُورِ كُلِّهَا
وَشَاهِدٌ لِأَصْلِهَا وَفَرْعِهَا

المعجزات والكرامات تتساوى في أنها تتناقض مع العادات؛ بينما وجه الخلاف يكون في أن المعجزات يختص بها الأنبياء، وهم يعلنونها ويصرحون بها؛ متحدين خصومهم بها. بينما تسند الكرامات للأولياء؛ فلا يصرحون بها ولا يدعون فضلها، ويكتمونها عن الناس؛ خوفاً من الفتنة وتبدل الحال.

[1] تسميته لمنظومته "بالقدسية" تؤكد ميوله الصوفية؛ كما تظهر تأثره بالإمام الغزالي؛ الذي ألف "العقيدة القدسية"؛ وقد شرحها شيخ أبيه أحمد الزروق الفاسي؛ الذي صرح عبد الرحمن الأخضري بكل وضوح أنه يتبع نهجه؛ حين نصح القراء في منظومته "القدسية" بقوله:

وَمَنْ يُرِدْ مَعْرِفَةَ بِالبِدَعِ وَمَا يُبْنَى عَلَيْهِ أَصْلُ المُدَّعِي
فَفِي كِتَابِ شَيْخِنَا الزَّرُّوقِ عَجَائِبٌ فَائِقَةُ الرُّتُوقِ

ومع هذا فقد نسب إليه بعض العامة خوارق وكرامات عجيبة؛ مثل انطواء الأرض بين **أكجال** (أين مات)، وبلدته **بنطيوس** (التي دفن فيها)؛ لكي يسهل على أهله ومحبيه دفنه بمسقط رأسه في اليوم الذي مات فيه، وحكاية سارق العنزة؛ الذي طلب منه القسم في ضريح **عبد الرحمن الأخضري**؛ فأقسم كذباً؛ فسمع صوت العنزة داخل أحشائه؛ فانكشف أمره. كما أن اشتهاره بين الناس كخصم للدجالين وأدعياء الخوارق والمعجزات؛ أسقط العامة في الخطأ نفسه الذي حذر منه **الأخضري**؛ إذ يزعم بعضهم أنه تصدى لأحد الأدعياء من المشعوذين؛ الذي كان يوهم الناس بأنه قادر على إطعامهم الرُّطَب في غير وقته؛ فأبطل **الأخضري** شعوذته؛ عندما حول ذلك الرطب إلى روث بهائم.

بالإضافة إلى ذلك؛ ثمة من يقول أن **عبد الرحمن الأخضري** يكون قد تلقى ورد الطريقة **الشاذلية والزروقية** من الشيخ **محمد بن علي الخروبي**؛[1]

[1] هو محمد بن علي الخروبي؛ أصله ـ في قول ـ من طرابلس الغرب ـ وفي قول آخر ـ من صفاقس؛ عاش في الجزائر وتوفي بها سنة 963هـ/ 1555م. ويقال أنه تربى في اسطنبول قبل مجيئه إلى الجزائر؛ وكان مقرباً من السلطات العثمانية. وهو من المتصوفة ذوي الاتجاه المشرقي؛ إذ تشبع بالفرق الصوفية المنتشرة في الدولة العثمانية؛ كالشاذلية والبكداشية والقادرية؛ وقد أهتم أكثر بالطريقة الشاذلية وعمل على نشرها والدعوة لها. ومن مؤلفاته بعض الأوراد والأذكار، وكتاب في التفسير، و"الأنس في التنبيه عن عيوب

وذلك عندما زار **بنطيوس**؛ وهو في طريقه لأداء فريضة الحج.[1] وحتى إن صح ذلك؛ **فالأخضري** لا ينأى بنفسه عن حلقات الذكر والدعاء في خلوته الخاصة؛ ما دامت في حدود الشرع. فهو يفرق جيداً بين فروض العبادة، وواجب التقوى؛ ضمن إطارها الشرعي المنسجم مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا لا يعني تبنيه ورضاه بكل ما يجري لدى أهل الصوفية ممن يقفز على حدود التقوى والاستقامة؛ إلى أوهام الكشف ورفع الحجاب؛ بالغلو في طقوس الغيب المبهمة؛ أو حلقات الذكر الجنونية. وعليه؛ فلا يستبعد تلقيه أوراد **الشاذلية والزروقية**؛ ما دامت في حدود الشرع. وقد أشار **الأخضري** بنفسه إلى ذلك مراراً في منظوماته **"كالقدسية"** وغيرها. من ذلك المنظومات التي اعترض فيها على حلقات الذكر التي تتم بالرقص والغناء؛ حيث يقول:

مِنْ شُرُوطِ الذِّكْرِ أنْ لاَ يَسْقُطَ
بَعْضُ حُرُوفِ الاسْمِ أوْ يُفْرَطَ

النفس". و"رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس"، و"شرح صلاة ابن مشيش"، و"مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس"، "كفاية المريد وحلية العبيد" في التصوف.

[1] تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 508.

فِي الْبَعْضِ مِنَ مَنَاسِكِ الشَّرِيعَهْ

عَمْداً فَتِلْكَ بِدْعَةٌ شَنِيعَهْ

وَالرَّقْصُ وَالصُّرَاخُ وَالتَّصْفِيقُ

عَمْداً بِذِكْرِ اللَّهِ لاَ يَلِيقُ

وَإِنَّمَا الْمطْلُوبُ فِي الأَذْكَارِ

الذِّكْرُ بِالْخُشُوعِ وَالْوَقَارِ

وفي قصيدة أخرى يقول:

لاَ نُطْقَ لِذِكْرِ اللَّهِ لَهُمْ

إلاَّ بِاللَّهْوِ وَبِالْهَزَلِ

ثم ينبه الناس إلى ضرورة التحري، وعدم تصديق كل من هب ودب؛ من المُدَّعين للعلم، والمنتسبين زوراً للصوفية؛ ثم يدعوهم إلى قياس ما يرونه ويسمعونه بمقياس الشرع؛ فإن توافق معه؛ فلا بأس؛ وإن خالف الشرع؛ فهو حتماً من البدع التي تستوجب الرفض التام. وفي هذا يقول في **"القدسية"**:

وَقَالَ بَعْضُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّهْ

مَقَالَةً صَادِقَةٍ جَلِيَّهْ

إِذَا رَأَيْتَ رَجُلاً يَطِيرُ

أَوْ فَوْقَ مَاءِ البَحْرِ قَدْ يَسِيرُ

وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ
فَإِنَّهُ مُسْتَدْرِج وَبِدْعِي
فَارْفُضْهُ إِنَّمَا الفَتَى دَجَّالُ
لَيْسَ لَهُ التَّحْقِيقُ وَالكَمَالُ

ـ النبي خالد بن سنان:

والأمر الذي يبقى غامضاً، وغير مفهوم، وعار عن أي مسوغ أو تعليل؛ هو تأكيد بعض الباحثين والرحالة على أن **الأخضري** هو الذي كشف وجود قبر **النبي خالد بن سنان** في المدينة التي تحمل اسمه الآن. على أن أولئك الباحثين لم يذكروا الدليل الذي اعتمد عليه **الأخضري** في البرهنة على صحة انتقال **النبي خالد بن سنان العبسي** إلى **الجزائر**، ووفاته بها.

وكل ما قيل؛ أنه أظهر سر القبر بواسطة "**الكشف وعلم التربيع**".[1] وإذا تأملنا هذه العبارة؛ سنجد أن "**الكشف**" مصطلح صوفي؛ يَدَّعي أصحابه القدرة على كشف ما يخفيه الغيب. وقد تناول كثير من العلماء هذا الموضوع بين مؤيد ومكذب.

---

[1] قال الحسين الورثلاني: ((سيدي عبد الرحمن الأخضري نفعنا الله ببركاته، وأفاض علينا من بحر أنواره؛ رضي الله عنه؛ وأنا سمعنا أنه هو الذي أظهر قبره بعلم التربيع)). نزهة الأنظار، ص: 5.

وخصص **ابن خلدون** لموضوع التصوف كتاباً كاملاً سماه: **"شفاء السائل لتهذيب المسائل"**؛ كما خصص له حيزاً كبيراً في مقدمته ضمن: **"فصل في كشف الغطاء عن المتشابه من الكتاب والسنة، وما حدث لأجل ذلك من طوائف السنة والمبتدعة في الاعتقادات"**؛ حيث أوضح فيه الفرق بين المتصوفة المتمسكين بالسنة؛ وبين أهل الغلو منهم؛ أدعياء الكشف المطلق ومبدأ الحلول.[1]

أما ما يسمى **"بعلم التربيع"** فهو ليس علماً على وجه الحقيقة؛ وإنما هو فن غريب؛ يَدَّعي أصحابه معرفة الغيب بواسطته. ويدخل في عداد فنون التنجيم والكهانة؛ الشاملة: **لأحكام النجوم، وأسرار الحروف أي السيميا وخط الرمل** وغيره من الفنون التي لا تستند إلى برهان، ولا يسعى أصحابها إلى إيجاد دليل يستوعبه العقل؛ وإنما يزعمون أنهم يتعاملون مع **الوجدانيات والروحانيات**.[2] وقد وضع **ابن خلدون** في

---

[1] المقدمة، ج: 3، ص ص: 1184 ـ 1214. ومما قاله في هذا الباب: ((ثم أن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف، وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك؛ فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة... وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب؛ ومعناه رأس العارفين؛ يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله؛ ثم يُورِّثُ مقامه لآخر من أهل العرفان)). ص ص: 1207 ـ 1208.

[2] وقد شرح ابن خلدون هذه الفنون في عدة فصول من مقدمته؛ ثم قال: ((وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها؛ وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر... فحدث لذلك علم أسرار الحروف؛ وهو من تفاريع علم السيميا... وتعددت فيه تآليف البوني وابن

مقدمته فصلاً مطولاً شرح فيه ما يعرف بعلم **أسرار الحروف وزايرجية استخراج أجوبة المسائل لأبي العباس أحمد السبتي.**[1]

المهم؛ أن هذه الفنون كلها؛ لم يثبت ـ حتى الآن ـ اهتمام **الأخضري** بها، أو انشغاله بالكتابة فيها، أو احتمال تحدثه بها في الحلقات التي يعلم فيها تلاميذه. بل صدر عنه ما ينفي ذلك. فها هو يقول في **منظمة السراج في الفلك:**

وبَعْدُ فاعْلَمْ أنَّ عِلْمَ الفَلَكِ
عِلْمٌ عَزيزٌ مِنْ أجَلِّ مَسْلَكِ
وَمَا بِهِ تَطَرُّقٌ لِلْغَيْبِ
فَذَلِكَ الحَرَامُ دُونَ رَيْبِ

إذن؛ **فالأخضري** يحرم الاشتغال بأمور الغيب. ومن هنا؛ لا يصح لنا أن نتهمه بتعاطي فنوناً تبحث في كشف الغيب، وأسرار أخفاها الله لحكمة سنها.

العربي وغيرهما ممن اتبع آثارهما... ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو؛ فمنه من جعله للمزاج الذي فيه، وقسم الحروف بقسمة الطبائع إلى أربعة أصناف كما للعناصر)). ج: 4، ص: **1271**.

[1] وهو من المتصوفة؛ عاش في أواخر القرن السادس من الهجرة بمراكش؛ وعاصر ملك الموحدين يعقوب ابن المنصور.

وكل الذي عرفناه ـ بخصوص هذا الموضوع ـ هو ما ذكره **الحسين بن محمد الورثلاني**؛ صاحب الرحلة المسماة **"بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"**؛ حين قال: **((وأنا سمعنا أنه هو الذي أظهر قبره بعلم التربيع)).**[1] والكلام هنا عن **الأخضري**؛ الذي زعم **الورثلاني** أنه اكتشف قبر **النبي خالد**؛ بواسطة **"علم التربيع"**. ولكنه لم يذكر ممن سمع هذا القول.. هل سمعه من علماء موثوق بهم.؟ أم من عامة الناس الذين تستهويهم الخرافات والأوهام..؟ علماً بأن **الورثلاني** نفسه يبدو ـ من خلال كتاباته ـ أنه ممن يعتقدون **بالوجدانيات والغيبيات**؛ ولا يعطي بالاً كبيراً **لأحكام المنطق، والعلوم العقلية.** وعليه؛ فالقول باستعمال **الكشف والتربيع** في معرفة قبر **النبي خالد بن سنان** مشكوك فيه، ولا يتفق مع الحركة العلمية **لعبد الرحمن الأخضري**، أو ما عرف عن منهجه العلمي؛ الذي يميل إلى أحكام المنطق، ويعتمد على البراهين الرياضية.

[1] نزهة الأنظار، ص: 5.

وكل ما في الأمر؛ أن أهم حجة استند إليها أصحاب الرأي في إظهار **الأخضري** لقبر **النبي خالد**؛ هي القصيدة الطويلة التي نسبت إليه؛ تلك القصيدة التي تحث الناس وتدعوهم لزيارة قبر **النبي خالد** في المدينة المعروفة باسمه؛ وهي:[1]

سِرْ يَا خَلِيلِي إِلَى رَسْمٍ شُغِفْتُ بِهِ
طُوبَى لِزَائِرِ ذَاكَ الرَّسْمِ وَالطَّلَلِ
جَلَّتْ شَوَاهِدُهُ عَزَّتْ دَوَائِرُهُ
مَا خَابَ زَائِرُهُ فِي الصُّبْحِ وَالأَصَلِ
يلقَى الجَواهِر من يَغشَى مَناكِبه
يُعطي الكَرامة منْ يَأتيه ذا وَجَلِ
القلبُ مضَى بهذا الرّمْس مُعتكفٌ
والشيخ مِنِّي خلال النَّاس لم يزل
فلسْتُ أملك من صَبرٍ ولا جَلَد
فاحْملْ سلامي لهذا الرّسم والطّلل
وقُلْ لَه قد ثَوَى عبدٌ يحُبّكُمُ
هذي تحِيَّةٌ مَوْصوفة المثَل
إنْ قلتَ أين أروم الرَّسْم والطَّلل
أقولُ إليكَ بالأخْبار إنْ تَسَلِ

[1] تحتوي القصيدة التي بين يدي على 40 بيتاً؛ بينما ذكر الدكتور سعد الله أنه يملك نسخة منها ضمن مخطوط "العقد الجوهري" لأبي محمد أحمد بن داود؛ بـ 42 بيتاً.

هذا مقامٌ عليه النَّاسُ قــدْ غَفلــوا

إذا حَلَّ بين بلادِ السُّــوء فأمْتَثــل

هذا مقامٌ رفيعُ الشَّــأنِ قــد شَهــدتْ

به الدَّلائِلُ هذا الأمــرُ فيــه جَــلي

هذا مقــامٌ بلادُ الغَــرْبِ مَسْكنُــه

شَرّ البقاعِ بهــا قــد حَــلّ في المِلَــلِ

هذا مقامٌ له خَطْــبٌ لــه عَجَــب

أخْفَتْهُ غُرْبَتُــه هذا المقــامُ عــلي

هذا مقامٌ بلادُ الغَــرْبِ حَــلَّ بهــا

وما لَهُ في بِلادِ الغَــرْبِ مِنْ مَثَــلِ

هَذا نَبيٌ كَــريمٌ في الأنــامِ ثَــوَى

بينَ البَوادي أشَرَّ النّاس في النِّحَــلِ

يا رُبَّ غُصْنٍ بَديعِ الحُسْنِ مُنْتَهــج

مُزَخْرفٍ ببقاعِ السُّــوءِ مُكْتَمِــلِ

إنَّ النُّبُوَّةَ قَدْ لاحَــتْ شَوَاهِدُهَــا

كَيفَ المَحَالَةُ وَالأنْــوَارُ لَمْ تَــزَلِ

فِي خَالِدِ بْنِ سِنــانِ البَدْرِ سَيِّدِنَــا

أخُصُّــهُ بِسَــلاَمٍ رَائِــقٍ حَفِــلِ

لِلّهِ مَا حَازَ مِنْ عِــزٍّ وَمِنْ شَــرَفٍ

نَالَ الرِّسَالَةَ يَا نَاهِيــكَ بِالرُّسُــلِ

أنْوَارُهُ سَطَعَتْ فَوْقَ الرُّبَى وَبَــدَتْ

عَلَى الفَيَافِي وَفَوْقَ السَّهْلِ وَالجَبَلِ

فاحْلُلْ بساحَتِه تُبْصِـــرْ عَجائِبَـــه
وكنْ أخــا أدَب إنّ المقــام عَــلي
أكــرِمْ بِزائِــرِه تَحْــظَ بِحُرْمَتِــه
ما حــل جرمه من قُلّــد بالرُّســل[1]
حاشــا الإله يرد المستغيــث بــه
خَــصّ النَّبئيـــن بالإكرام والجَلــل
حــاش النُّبُــوّة أيَخيــبُ زائِرُهــا
إنَّ النُّبُــوَّة بابُ الجــود والفضــل
إنّ النَّبيِّينَ ربُّ العَــرْشِ فَضَّلَهُــم
فهمْ مُلوك الــوَرَى يومَ المعاد قُــلِ
إنّ النَّبيئِينَ يومَ الفَصْلِ قد جَلســوا
على منابر فوقَ البســط والحلــل
إنّ النُّبــوءَةَ لا تَخْــفَى عَجائِبهــا
أمرُها كَضِيــاءِ الشَّمْسِ في المَثَــل
هذا المقامُ لدا المَــوْلَى لــه عِظَــمٌ
فيه النُّبــوَّءة ذات القُدسِ والنِّحَــل
وإنّمــا ضاعَـــهُ قَــوْمٌ بــه ثبتــوا
والقربُ يحتقر الإجــلال بالمهــل
أبا البقاء لقدْ جَلَّــتْ مَحاسِنُهُــم
والعبدُ يَخْشَى حِبــال الوِزْرِ من ثِقَــلِ

[1] هكـذا نسـخ بشكـل غيـر الشطـر غيـر موزون ولا مفهـوم.

وكيف يخْشَى لظًى من يستغيث بكـــم

إذا كم أنال إله العـــرش بالرّســـل

يا سيدي إن هذا العبـــد معتصـــم

بحبلكمْ وإنَّني أشْكو مـــن الزّلـــل

عسَى عبيدكـــم يحْـــظَى بقربكـــمُ

ويهتـــدي لطريـــق الخيـــر والسُّبُـــل

وأنْتَ يا سيّدي من جاءَ زائِركُـــمْ

يَنْجـــو من الهَمِّ والأهْـــوالِ والوَجَـــلِ

إن النَّبيئيـــنَ عنـــد اللَّـــهِ فـــي عِظَـــمٍ

مَنِ اسْتَغاثَ بِهِمْ يَنْجو مِنَ الوَحَـــلِ

وها أنا ذا كثيـــر الـــوِزْرِ مُسْتَنِـــدٌ

لِجاهِكُمْ فعَسَى مَـــوْلايَ يَغْفِـــرُ لِي

علَيكمْ صلواتُ اللَّـــــه يَتْبَعُـــهـــا

أزْكَى تَحِيَّته في الصُّبْحِ والأصَـــلِ

لا سيما خَيْر من جَلتْ مَحاسِنـــه

محمـــدٌ سيـــد الأمِـــلاك والرُّســـل

صلَّى عليهِ إلَهُ العَرش ما طَلَعَـــتْ

شَمْسٌ وما غَرُبَتْ ثُمَّ السَّلام يَـــلي

والآلِ والصُّحْبِ والصِّدِّيـــقِ ثم أب

حَفْصٍ ومُحْيِ الدجا[1] ثُمَّ الإمـــامِ عَلي

---

[1] هكـذا.

ما غَرَّدَ الطَّيْرُ في أفْنانِهِ أسَفاً
وما أقامَ بكاء الصَّبّ في الطَّلَلِ
وما أقام بكاء الوجْد مُضْطَربا
والحمدُ لله طولَ الدَّهر والدُّوَلِ

وهذه القصيدة صيغت في خمس وأربعين بيتاً؛ تمجد وتعظم **النبي خالد بن سنان**؛ وتبرز فضل زيارة قبر هذا النبي الذي ضيعه أهله؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ثم أهمله **أهل المغرب**؛ الذين يحتقرون العلماء؛ حسب ما نسب **للأخضري**. والقصيدة ــ حتى وإن صحت **نسبتها للأخضري** ــ فلا تكفي أن تكون دليلاً يثبت وجود قبر هذا **النبي** في المدينة التي تحمل اسمه الآن؛ لأن المصادر التاريخية تذكر: أن **النبي خالد بن سنان بن غيث العبسي** دفن في **شبه الجزيرة العربية**؛ بين قومه **بني عبس**؛ ضمن أحقاف رملية. بل ثمة رواية ــ نقلاً عن **ابن عباس** رضي الله عنه ــ تفيد بأن ابنة **النبي خالد بن سنان** أتت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وهي عجوز ــ وأسلمت

علـــى يديـــه.[1] فكيـــف ــ إذن ــ انتقـــل قبـــر هـــذا النـــــبي إلى **الجزائـــر..؟!**

والغريـــب؛ أن **الورثـــلاني** يقـــول أن **النـــبي خالـــــد بــــن سنـــان** بعـــث إلى قـــوم **في "جبـــل الـــــرس"**؛ معتقـــــداً أنـــــه **"جبـــل أوراس"**؛ تبعـــاً لمـــا استنجـــه **الخفـــاجي**[2] في رسالـــــة **"الشفـــاء"**.[3] بينمـــا تؤكـــد مصـــادر كثيـــرة أن **"الـــرس"** اســـم أطلـــق عـــلى عـــدد مـــن الأماكـــن في **شبـــه جزيـــرة العـــرب**؛ منهـــا مـــا جـــاء في القـــرآن الكريـــم عـــن أصحـــاب الـــــرّس: **((وَعَـــاداً وَثَمُـــوداً وَأَصْحَـــابَ الـــرَّسِّ وَقُرُونـــاً بَيْـــنَ ذَلِـــــكَ كَثِيـــراً))**.[4] ثـــم **((كَذَّبَـــتْ قَبْلَهُـــمْ قَـــوْمُ نُـــوحٍ وَأَصْحَـــــابُ الـــرَّسِّ وَثَمُـــودُ))**.[5] و**"الـــرّس"** كمـــا جـــاء في التفاسيـــر: كـــل مـــا حفـــر مثـــل البئـــر والقبـــر. والآيـــــة تقـــول أن قومـــاً كانـــوا يقيمـــون عنـــد بئـــر تعـــرف **"بالـــرّس"**؛ دمرهـــم اللـــه.

وبالإضافـــة إلى ذلـــك فقـــد ورد في بعـــــض المصـــــادر أن **"الـــرّس"** أحـــد أوديـــة نجـــد؛ وفي هـــذا يقـــول **بـــــدر ابــــن مالـــك بـــن زهيـــر ــ سيـــد بـــني عبـــس ــ** يـــرثي أبـــــاه؛ الـــذي قتلـــه أولاد **بـــدر الفـــزاري**؛ في ثـــأر لهـــــم ــ **وبنــــو**

---

[1] مـــروج الذهـــب، ج: 1، ص: 67. ج:2، ص: 226. والبـــدء والتاريـــخ، ج: 3، ص ص: 134 ــ 135.

[2] وهـــو شهـــاب الديـــن أحمـــد بـــن محمـــد الخفـــاجي المصـــري (1069هـ/1658م)؛ صاحـــب رسالـــة شفـــاء العليـــل فيمـــا في كـــلام العـــرب مـــن الدخيـــل.

[3] نزهـــة الأنظـــار، ص ص: 5. 87 ــ 88.

[4] ســـورة الفرقـــان، آيـــة: 38.

[5] ســـورة ق، آيـــة: 12.

عبس كما ترى؛ هم قوم **النبي خالد ابن سنان** ـــ فقال:[1]

أَحَلَّ بِهِ أَمْسِ جُنَيْدِبُ نَذْرِهِ
فَأَيُّ قَتِيلٍ كَانَ فِي غَطَفَانِ
إِذَا سَجَعَتْ بِالرَّقْمَتَيْنِ حَمَامَةٌ
أَوِ **الرَّسِّ**، تَبْكِي فَارِسَ الْكَتَفَانِ

ويقول زهير بن أبي سلمى في معلقته أيضاً:[2]

بَكَرْنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ
فَهُنَّ وَوَادِي **الرَّسِّ** كَالْيَدِ فِي الْفَمِ

إذن؛ فالمكان المسمى **"بالرَّس"** يوجد في **شبه الجزيرة العربية**؛ ـــ سواء أكان بئراً أم وادياً أم جبلاً ـــ ولا علاقة له بجبل **"الأوراس"**. ومن المضحك أن نتخيل ذلك بدون دليل. ولا يوجد ما يسوغ رأي **الورثلاني** وغيره في هذا الباب. أما القبر المنسوب **للنبي خالد بن سنان**؛ فإنه إذا كان قد عُرِف ونسب ـــ منذ زمن بعيد ـــ لرجل يسمى **خالد**، وتواترت الأخبار بذلك؛ فلا يعني هذا أن **خالداً** صاحب القبر ـــ هو بالضرورة ـــ **النبي خالد بن**

---

[1] معجم البلدان، ج: 1، ص: 205. كلمة الإصاد.

[2] شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص: 10.

سنان؛ إذ قد يكون صاحب ذلك القبر **خالداً** آخر.. وربما كان هو **خالد بن يزيد العبسي**[1] الذي تبنته **الكاهنة**، وآخت بينه وبين ابنيها. **فخالد** هذا كان متواجداً في منطقة **الأوراس وبسكرة**؛ فما الذي يمنع أن يكون قد استشهد حيث يتواجد القبر المذكور الآن..؟

ـ وفاة الأخضري:

وجملة القول؛ فقد انتهت حياة **عبد الرحمن الأخضري** بينما كان يقضي فصل الصيف ـ كعادة أهل الصحراء في التّل ـ إذ توفي رحمه الله في سنة 953هـ/1546م؛ **بكجال** بجهات **سطيف.** فنقل جثمانه إلى مسقط رأسه **بنطيوس؛** أين يتواجد الآن ضريحه؛ الذي بقي طوال السنين التالية لوفاته مزاراً للعلماء والرحالة من **بلاد المغرب** كافة.

وقد زعم بعضهم أن **الأخضري** لم يتزوج، ولم يخلف أولاداً. وهذا ما اعتقدته ـ بدوري في البداية ـ كما قال به الدكتور **سعد الله**[2]؛ ولكن تبين لي ـ

---

[1] سماه بعضهم خالد بن يزيد القيسي، وبعضهم الآخر يزيد بن خالد العبسي أو القيسي. فإن صحت تسميته بخالد بن يزيد العبسي؛ ألا يبعث هذا إلى الرغبة في المقارنة بينه وبين خالد المدفون في المدينة المسماة بسيدي خالد في ولاية بسكرة. راجع أخبار خالد ابن يزيد العبسي في: رياض النفوس للمالكي، ج: 1، ص: 54.

[2] تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 508.

فيمـــا بعـــد ـــ بالدليـــل؛ أنـــه تـــزوج؛ ولـــه خَلَـــفٌ ـــ مـــن صلبـــه ـــ بقيـــت سلسلتهـــم إلى الآن. وتجـــلى لي ذلـــك مـــن خـــلال وثيقـــة مستخرجـــة مـــن المحكمـــة الشرعيـــة **بطولقـــة**؛ كتبـــت بتاريـــخ 21 فبرايـــر 1915م الموافـــق ليـــوم مـــن محـــرم الحـــرام سنـــة 1334هـــ. تفصـــل هـــذه الوثيقـــة الشرعيـــة في ميـــاه الســـقي لفائـــدة أبنـــاء **الأخضـــري**؛ فجـــاء مـــا نصـــه: ((**الـــولي الصالـــح سيـــدي عبـــد الرحمـــن بـــن صغيـــر...... واتفقـــوا واصطلحـــوا عـــلى هـــذا......** [فـــلان بـــن فـــلان، وفـــلان بـــن فـــلان]**..... وأولاد سيـــدي عبـــد الرحمـــن بـــن صغيـــر**))[1].

كمـــا ذكـــر المستشـــرق الفرنـــسي **لوسيـــاني** .Luciani. J.D؛ (1932 – 1851)؛ في كتـــاب السلـــم المرونـــق في المنطـــق ـــ الـــذي قـــام بترجمتـــه إلى الفرنسيـــة بعنـــوان ;LE SOULLAM TRAITÉ DE LOGIQUE ـــ قـــال فيـــه: أن ثمـــة وثائـــق صـــادرة عـــن **البـــاي التـــركي بقسنطينـــة**. وإحـــدى تلـــك الوثائـــق مؤرخـــة في محـــرم سنـــة 1060هجريـــة [1650م]؛ تقـــضي بالتقديـــر والتبجيـــل والاحتـــرام لثلاثـــة مـــن أحفـــاد **عبـــد الرحمـــن الأخضـــري**؛ هـــم الإخـــوة: **رحمـــون، وعبـــد المالـــك، ومحمـــد**؛ أبنـــاء **عامـــر بـــن عـــلي بوستـــة ابـــن المقـــدس سيـــدي عبـــد الرحمـــن الأخضـــري**. وقـــد اطلـــع **لوسيـــاني**

[1] رقـم هـذه الوثيقـة المستخرجـة مـن محكمـة طولقـة هـو: 1915/124.

Luciani. J.D.؛ على عدد من تلك الوثائق الصادرة عن الإدارة **التركية بقسنطينة** بخصوص أحفاد **الأخضري** وزاويتهم؛ تحمل التواريخ التالية: 1078 ـ 1103 ـ 1132 ـ 1147 ـ 1149 ـ 1246؛ وهذه الأخيرة تحمل توقيع **باي قسنطينة الحاج أحمد باي.** إذن؛ **فلعبد الرحمن الأخضري** أحفاد؛ وقبل الأحفاد؛ ابن اسمه **علي بوستة.** من هنا يتبن بأن للأخضري ابن اسمه **علي بوستة.**

أما اعتقاد بعضهم بعدم زواجه؛ نظراً لكونه مات في العقد الثالث من عمره؛ فهذا ليس بدليل قاطع؛ خاصة إذا علم أن الشباب في الزمن الذي عاش فيه **الأخضري**؛ كانوا يتزوجون صغاراً؛ وبالخصوص أبناء العائلات المتمسكة بالتعاليم الدينية. والحريصة على تقاليد السلف.

*****

مؤلفات الأخضري

ذاك ما أمكن ذكره بخصوص حياة **عبد الرحمن الأخضري**. وبقي الآن؛ الحديث عن بعض مؤلفاته؛ التي تيسرت وتم الإطلاع عليها. إذ أن معظم كتبه غير متوفرة الآن؛ إما لكونها مفقودة، وإما أن تكون في حوزة من تعذر الاتصال بهم. ومجمل القول؛ فإن مؤلفات **الأخضري** قد يصل عددها حوالي عشرين تأليفاً؛ بل ثمة من يرى أنه أنجز زهاء الثلاثين عملاً؛ منها ما هو معروف، وما هو مفقود.

ومنهجه في التأليف يغلب عليه الطابع المدرسي؛ بسبب اهتمامه بالتربية والتعليم. حيث كان يعمل على ترويض ذاكرة المتعلمين؛ إذ ينجز لهم أولاً المتن الخاص بالمادة المراد تعليمها ــ بغرض تلخيص الموضوع؛ ضمن قواعد محددة؛ لكي لا يجهد ذاكرة المتلقي ــ ثم يسعى ــ بعد ذلك ــ إلى إعداد الشرح اللازم؛ لتوضيح ما يقصده في المتن.

لذلك نجد أن **الأخضري** عمل على إنجاز شروح وافية لمعظم منظوماته في شتى العلوم. وهذه الطريقة التعليمية ــ حتى وإن كانت تقليدية ــ فقد أفادت عدداً كبيراً من طلبة العلم. ولولاها لتفاقم أمر الجهل بين الناس؛ في زمن كانت الدولة فيه لا تهتم بتعليم أبنائها. وعلى هذا؛ أصبحت معظم كتب **الأخضري** تدرس في أهم المعاهد **بالمغرب والمشرق: كالأزهر والزيتونة والقرويين**؛ بالإضافة إلى المدارس والزوايا **بتلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة وبسكرة** وغيرها من البلدان الإسلامية في **آسيا...**

وبعد استكمال الحديث حول حياة **الأخضري**، ومستوى تفاعله مع عصره، ومدى قيمة أفكاره وأعماله؛ التي انحصرت في عملية التربية والتعليم، وفي تأليف الرسائل والكتب نظماً ونثراً، إلى جانب القيام الواجبات الدينية؛ التي كان حريصاً على أدائها؛ في إطارها الشرعي؛ الملتزم بالكتاب والسنة؛ عندها؛ نصل الآن إلى موضوع مؤلفاته العديدة؛ على أننا سنلمح ــ بإيجاز ــ لبعضها؛ بينما نتوسع ــ بعض الشيء ــ في الكلام عما توفر منها لدينا؛ ولكن في حدود يسمح بها مجال هذه الدراسة. وعلى هذا فأهم كتب **الأخضري** هي:

أولاً ـــ رسالـــة في علـــم الحســـاب:

نظمهـــا في مائـــة وسبـــع عشـــرة بيتـــاً. ولم تكـــن مـــــادة الحســـاب ـــ عـــلى مـــا يبـــدو ـــ هي الغايـــة الـــــتي يرغـــــب فيهـــا **الأخضـــري**؛ حيـــن وضـــع هـــذه الرسالـــة؛ بـــل كـــــان الحســـاب وسيلـــة لفهـــم وتطبيـــق مـــادة **"الفرائـــض"** و**"قسمـــة التركـــات"**. لـــذا فقـــد خصـــص القســـم الأول مـــن كتابـــه **"الـــدرة البيضـــاء"** لتعليـــم الحســـاب. وقـــد صـــاغ **"رسالـــة الحســـاب"** بأسلـــوب بسيـــط وواضـــح؛ وضـــع فيهـــا القواعـــد الأوليـــة الهامـــة للحســـاب. وحظيـــت هـــذه المنظومـــة باهتمـــام المشرفيـــن عـــلى المعاهـــد التعليميـــة في **المغـــــرب والمشـــــرق**. وطبعـــت عـــدة طبعـــات؛ منهـــا طبعـــة **القاهـــرة** سنـــة 1369 هـــ/ 1949م؛ ضمـــن **"مجمـــوع مهمـــات المتـــون"**. ولَـــدَى كاتـــب هـــذه السطـــور نسخـــة منهـــا. سيتـــم شـــرح بعـــض فصولهـــا؛ بغـــرض توضيـــح طـــرق تدريـــس الحســـاب في عصـــر **الأخضـــري**. وهـــذه المنظومـــة تبـــدأ بـــ:

ـ ***الباب الأول:*** الذي يشرح فيه **الأخضري** ماهية **"حروف الغبارى"**.[1] ثم يحدد مراتب الأعداد في أربع مراتب؛ هي: **الآحاد والعشرات والمئات والآلاف.** وبعدها تتبدل الأعداد؛ حيث تصبح الآلاف كالآحاد. وفي ذلك يقول:

حُرُوفُهُ مَعْلُومَةٌ مَشْهُورَهْ
مِنْ وَاحِدٍ لِتسْعَةٍ مَذْكُورَهْ
وَجَعَلُوا صِفْراً عَلاَمَةَ الخَلاَ
وَهْوَ مُدَوَّرٌ كَحَلْقَةٍ جَلاَ

ومن خلال البيت الثاني؛ الذي يصف فيه الناظم الصفر على أنه **"مدور كحلقة"**؛ يتبين لنا أن الأرقام المتبعة في **الجزائر** ـ أيام **الأخضري** ـ هي **"الأرقام العربية"** المعمول بها الآن؛ وليست **"الأرقام الهندية"** المعتمدة في **المشرق العربي**؛ التي يكون الصفر فيها عبارة عن نقطة.

[1] **حروف الغبارى أو الحروف الغبارية: هي الأعداد من واحد إلى تسعة؛ حسب الطريقة المتبعة في بلدان المغرب. وهي المعروفة بالأعداد العربية.**

وبعد الحديث عن **حروف الغبارى**؛ ينتقل **الأخضري** مباشرة ـ مبدياً قدرة كبيرة على النظم ـ إلى وصف عملية الجمع بالشكل المبسط نفسه؛ فيقول في:

ـ ***الباب الثاني:*** المخصص للجمع:

وَالجَمْعُ ضَمُّ عَدَدٍ لِعَدَدِ
لِكَيْ تَعُدَّهُ بِلَفْظٍ مُفْرَدِ
فَتَجْمَعُ الآحَادُ لِلآحَادِ
وَهَكَذَا البَاقِي عَلَى التَّمَادِي

وعملية الجمع ـ كما يقول **الأخضري** هنا ـ هي عبارة عن ضم عدد معين لعدد آخر؛ بحيث يُنْطَقُ ـ بعد ذلك ـ بصيغة المفرد؛ كأن تقول: **إثنان** زائد **ثلاثة** يساوي **خمسة**؛ فتأتي النتيجة مفردة أي **خمسة**؛ بعد أن قدمت في البداية في شكل عددين هما: **إثنان وثلاثة.** ثم يسترسل ـ بعدئذ ـ في وصف الكيفية التي تمت بها عملية الجمع؛ وذلك بإضافة كل رتبة إلى مثيلتها: (الآحاد للآحاد والعشرات للعشرات والمئات للمئات والآلاف للآلاف)؛ بحيث توضع نتيجة كل رتبة ـ إن كانت دون التسعة ـ تحت أختها؛ وما كان فوق التسعة يضاف للرتبة الموالية؛ كأن يضاف

الفائض عن الآحاد إلى العشرات، والفائض عن العشرات يضاف إلى المئات؛ وهكذا حتى تنتهي المراتب المقصودة بالجمع. ويلخص **الأخضري** هذا بقوله:

ضِفْ كُلَّ رُتْبَةٍ إِلَى الْمَوْضُوعِ
مِنْ تَحْتِهَا وَانْظُرْ إِلَى الْمَجْمُوعِ
فَإِنْ يَكُنْ تِسْعاً فَأَدْنَى فَلْتَضَعْ
جُمْلَتَهُ فَوْقَ الَّذِي مِنْهُ اجْتَمَعْ
وَمَا يَكُونُ زَائِداً عَلَيْهَا
فَانْزِلْ بِهِ تَحْتَ الَّذِي تَلِيهَا
وَاجْمَعْهَا مَعْ أَعْدَادِهَا بِالضَّبْطِ
فَخَارِجٌ مَا كَانَ فَوْقَ الخَطِّ

هذا في الأعداد من: واحد إلى تسعة؛ أما في حال جمع عدد منها إلى صفر؛ فالنتيجة لا تتغير عن قيمة العدد المذكور، أما إذا جُمِع صفران إلى بعضهما؛ فالنتيجة تكون صفراً من الصفرين. وهكذا دواليك في كل الحالات.

وَإِنْ جَمَعْتَ عَدَداً لِصِفْرِ
فَاطْلَعْ إذاً بِعَدَدٍ لِتَدْرِي

فَإِنْ جَمَعْتَ هَاهُنَا صِفْرَيْنِ
فَاطْلَعْ بِوَاحِدٍ مِنَ الإِثْنَيْنِ
وَإِنْ تَكَرَّرَ الَّذِي قَدْ نَزَلاَ
بِهِ لِكَوْنِ الْجَمْعِ قَدْ تَسَلْسَلاَ
فَاجْمَعْهُ مَعْ أعْدَادِ مَا بِهِ عَرَى
منْ دُونِ تَغْيِيرٍ لَـهُ كَذَا جَرَى

ويتبين لنا من خلال ما أنجزه **الأخضري** في هذه المنظومة وغيرها من المتون؛ أنه يضع قواعد جاهزة للحفظ؛ قصد استيعاب العلم المراد تعليمه؛ وهذا لا يتناقض مع الطرق **البيداغوجية** المعمول بها حديثاً؛ إذ يخصص في الكتب المدرسية الحالية فقرة أو فقرات لكل درس؛ يطلب من التلاميذ حفظها؛ وتسمى هذه الفقرة **"بالقاعدة"**. وهذا ما كان يرمي إليه **الأخضري** من إعداد المتن؛ خاصة المنظوم منه؛ الذي يسهل حفظه؛ خلافاً للفقرات المنثورة المعتمدة حالياً. على أنه كان يسعى ـ فيما بعد ـ لإعداد شروح وتفاسير لتلك القواعد المسماة بالمتون؛ حتى يتمكن الطلبة من التوسع وهضم الدروس وفهمها من جميع جوانبها.

وكما هو الحال بالنسبة لموضوع الجمع فقد خصص أيضاً للطرح باباً في منظومته.

ـ **الباب الثالث:** وبدأه بـ:

الطَّرْحُ إسْقَاطُ قَلِيلٍ مِنْ كَثِيرْ
وَهْوَ عَلَى سِتَّةِ أقْسَامٍ يَصِيرْ
فَإنْ طَرَحْتَ القَدْرَ مِن كَثِيرِ
فَالطَّرْحُ فِيهِ وَاضِحُ التَّقْدِيرِ

إذن؛ فالطرح عبارة عن إسقاط العدد القليل من العدد الكثير. ويتم ذلك بإتباع ست طرق:

ـ **الطريقة الأولى:** هي العادية، البسيطة؛ التي يتم فيها طرح القدر القليل من القدر الكثير؛ مثل:

444
- 222
= 222

ـ **أما الطريقة الثانية والثالثة:** فتتطلب استعارة عدد من الرتبة الموالية ليضاف إلى المرتبة الناقصة؛ يقول فيها:

وَالْحَمْلُ فِي قِسْمَيْنِ إنْ صِفْرٌ عَـــلاَ
أوْ كَانَ الأعْـــلَى أدْنَ مِمَّا سَفَـــلاَ
فَاحْمِـــلْ عَلَيْهِمَا بعَشْـــرٍ وَافِيَـــهْ
وَاطْرَح وَأدْخِلْ وَاحِداً فِي الثَّانِيَـــهْ

مثـــال هـــذا يكـــون عـــلى شكليـــن: إمـــا أن يكـــون القـــدر الـــذي يطـــرح منـــه صفـــراً بينمـــا القـــدر المطـــروح مـــن واحـــد إلى تسعـــة، أو يكـــون القـــدر المطـــروح منـــه مـــن واحـــد إلى تسعـــة ولكنـــه أكثـــر مـــن المطـــروح منـــه؛ عندئـــذ تستوجـــب العمليـــة الحمـــــل إلى المرتبـــة المواليـــة؛ فنحمـــل عشـــر، ثـــم نطـــرح ذلـــك العـــدد المجـــاور بعـــــد أن ندخـــل الواحـــد في الأولى. ويتـــم ذلـــك كمـــا يـــلي:

$$\begin{array}{r} 440 \\ -\ \underline{222} \\ =2\ 1\ 8 \end{array}$$

وهنـــا لا يصـــح القـــول: 2 مـــن صفـــر؛ بـــل نستعيـــر 1 مـــن العـــدد 4 المجـــاور، ونضيفـــه للصفـــر؛ فيصبـــح العـــــدد المطلـــوب 10؛ بينمـــا ينقـــص مـــــن العـــــدد 4 واحـــــد؛ فيضـــحى 3 . إذن نطـــرح 2 ــ 10 = 8 . ثـــم ننتقـــل إلى مرتبـــة العشـــرات؛ فنطـــرح 2 مـــن 3؛ بعـــــد أن أصبحـــت هكـــذا؛ بسبـــب الواحـــد الـــذي استعيـــر منهـــا؛ فتكـــون

النتيجة = 1. ثم نطرح ـ في النهاية ـ مرتبة المئات: 4 ـ 2 = 2. فتغدو النتيجة النهائية: 218.

ـ **أما الطريقة الرابعة والخامسة والسادسة:** فيقول فيها:

وَالصِّفْرُ كَافٍ إنْ طَرَحْتَ العَدَدَا
مِنْ مِثْلِهِ كَالصِّفْرِ مِنْ صِفرٍ بَدَا
وَإنْ يَكُ الصِّفْرُ الَّذِي مِنْ أسْفَلاَ
فَاقْنَعْ إذاً بِعَدَدٍ قَدِ اعْتَلَى
وَكُلٌّ مَا ذَكَرْتُ مِنْ أَقْسَامِ
فِيمَا عَدَا الآخِرِ ذِي الإتْمَامِ
لأَنَّهُ حَتْماً يَكُونُ أكْثَرَا
مِنَ الَّذِي مِنْ تَحْتِهِ قَدْ شُهِرَا

وبيانها أن تكون في حال طرح صفر 0 من 0 مثله؛ فتكون النتيجة 0 . أو طرح 0 من أعداد تتراوح من: 1 إلى 9 ؛ فالنتيجة تكون حسب مقدار العدد المطروح منه. مثل: 6 ـ 0 = 6. والأخرى تتم عند طرح أي عدد من 1 إلى 9 من صفر. وهنا يتعذر الطرح.

وقد اشتملت هذه المنظومة أيضاً على باب خاص بعملية الضرب.

ـ ***الباب الرابع:*** استهله الناظم بـ:

إعْلَمْ بِأنَّ الضَّرْبَ تَضْعِيفُ العَدَدْ

بِقَدْرِ مَا فِي آخَرٍ مِنَ العَدَدْ

فَاجْعَلْهُمَا سَطْرَيْنِ كُلٌّ مَرْتَبَهْ

مَقْرُونَةٌ بِأخْتِهَا مُرَتَّبَهْ

فَكُلُّ رُتْبَةٍ لأعْلَى تُنْسَبُ

فِي رُتْبَةِ الآخَرِ طُرًّا تُضْرَبُ

الضرب يختلف عن الجمع والطرح؛ في أنه تضعيف للعدد بقدر العدد المضروب فيه. وإذا كان الضرب يتفق معهما في ترتيب المراتب؛ بحيث توضع الآحاد تحت الآحاد والعشرات تحت العشرات وغيره؛ فإنه لا يكتفي مثلهما بضرب مرتبة الآحاد مع الآحاد مثلاً؛ بل يمكن لعدد في مرتبة الآحاد أن يُضْرب بعدد آخر في مرتبة العشرات وهكذا دواليك.

وإذا تمت عملية الترتيب؛ تبدأ عملية الضرب بـ:

وَاحْسِبْ مِنَ المَضْرُوبِ لِلْمَضْرُوبِ فِيهْ
وَالتَّرْكُ لاَ مِنْ وَاحِدٍ تَكُــنْ نَبِيــهْ
وَلْتَجْعَــلِ الخَارِجَ فَوْقَ الأَسْطُــرِ
بِقَــدْرِ ذَلِــكَ الْحِسَــابِ الأَشْهَــرِ
وَيُجْمَــعُ الخَــارِجُ ثُــمَّ يُجْعَــلُ
مِــنْ فَوْقِـــهِ وَبَعْــدَ ذَاكَ يُفْعَــلُ

والعمليــة تتــم بضــرب المضــروب في المضــروب فيــه ضمــن خانــة الآحــاد عــلى حــد ســواء؛ ثــم تضــرب الآحــاد بالعشــرات وبعدهــا المئــات إلــخ.. وبعــد انتهــاء ضــرب خانــة الآحــاد بالخانــات الأخــرى تنتقــل العمليــة نفسهــا انطلاقــاً مــن خانــة العشــرات إلى غيرهــا؛ وهكــذا بالتنــاوب. وتوضــع النتيجــة مرتبــة بعــد مرتبــة عــلى التــوالي؛ وإذا فــاض عــدد يوضــع فــوق الخانــة المواليــة ثــم يجمــع مــع أعدادهــا؛ مثــل:

```
   44
 × 44
 ----
 1 76
176
 ----
=1836
```

وذلــك بضــرب $4 \times 4 = 16$ ؛ فنثبــت 6 في الموضــع المخصــص للنتيجــة؛ ونرفــع الواحــد؛ الــذي يمثــل العشــرات فــوق العــدد 4 الــتي تحتــل خانــة العشــرات أيضــاً؛ ثــم

نضيف ذلك الواحد إلى 16 وهي النتيجة الثانية؛ فتصبح 17 . هذه هي المرحلة الأولى. أما المرحلة الثانية فتتطلب ضرب الأربعة الأخرى في خانة العشرات السفلى بخانة الآحاد العليا وتثبت 6 أيضاً ثم يرفع الواحد كذلك فوق خانة العشرات مثل الأولى، ويجمع مع نتيجة العشرات؛ فتكون النتيجة هي 176 أيضاً فترتب بترك خانة يمين الأعداد؛ ثم تجمع المراتب كلها لتحصل النتيجة النهائية وهي: 1836.

ثم يضيف **الأخضري** قائلاً:

وَإِنْ ضَرَبْتَ وَاحِداً فِي وَاحِدِ
فَوَاحِدٌ يَكُونُ دُونَ زَائِدِ
وَإِنْ ضَرَبْتَ ذَاكَ فِي الأَعْدَادِ
فَقَدْرُ مَا فِيهَا مِنَ الآحَادِ
فَاقْنَعْ بِصِفْرٍ انْ ضَرَبْتَ الصِّفْرَ فِي
نَظِيرِهِ أَوْ عَدَدٍ فَلْتَقْتَفِي

وستكون النتيجة ــ حين تضرب واحداً في واحد ــ هي واحد دون زيادة؛ أما إذا ضربت واحداً في عدد ما؛ فالناتج يكون بقدر ذاك العدد؛ كأن تضرب: 1 × 4 ؛ ستكون النتيجة حتماً 4. ومن جهة أخرى فإذا ضربت الصفر في الصفر؛ فالنتيجة هي صفر بالطبع.

وكذلـك هـو الحـال إذا ضربـت الصفـر بعـدد مـا؛ فـلا بـد أن تكـون النتيجـة صفـراً؛ كـأن تضـرب 4×0 فالنتيجـة $= 0$.

أمـا بـاب القسمـة فقـد قسمـه **الأخضـري** إلى فصليـن:

ـ البـاب الخامـس: يقـول في أولهمـا:

وَعَمَـلُ القِسْمَـةِ فِي الحِسَـابِ
مِنْ أَحْسَنِ الفُصُـولِ وَالأَبْـوَابِ
فَلْتَجْعَـلِ المَقْسُومَ فَـوْقَ الآخَـرِ
وَتَجْعَلِ الأَمَـامَ تَحْـتَ الآخِـرِ
وَلاَ يَجُـوزُ أَنْ يَكُـونَ الأَكْثَـرُ
تَحْـتَ الأَقَـلِّ مِنْـهُ بَلْ يُقَهْقَـرُ
ثُمَّ تَـرُومُ عَـدَداً يُضْـرَبُ فِيـهْ
مِنْ تَحْتِـهِ تُفْـنَى بِهِ الَّذِي عَلَيْـهْ
وَمَا بَـقِي فَضَعْـهُ فَـوْقَ ذَاكَـا
وَقَهْقَـرِ الأَمَـامَ مِـنْ هُنَـاكَ
فَـإِنْ تَعَـدَّى رُتْبَـةً فَلْتَجْعَـلاَ
صِفْـراً قُبَالَـةَ المُعَـدَّى أَسْفَـلاَ
وَافْعَـلْ كَمَا ذَكَرْتُهُ إِلَى التَّمَـامْ
فَخَـارِجٌ مَا تَحْتَ ذَلِكَ الأَمَـامْ

وَمَا بَــقِي مِنْ الكُسُــورِ يُطْلَــبُ

فَــوْقَ الأَمَــامِ ثُمَّ مِنْــهُ يُنْسَــبُ

لفهـم مـا يـرمي إليـه **الأخضـري** في موضـوع القسمـة هنـا؛ لا بـد مـن التنبيـه إلى أن عمليـة القسمـة ــ قديمـاً ــ كانـت تتبـع بطـرق تختلـف عمـا هـو معـروف الآن؛ وقـد تعـددت الطـرق في هـذا الموضـوع؛ مـن ذلـك أنهـم كانـوا يجـرون القسمـة بعـدة أساليـب؛ منهـا طريقـة الشطـب الـتي تشبـه الطـرح.[1] لأن القسمـة في حقيقتهـا عبـارة عـن طـرح متكـرر؛ بغـرض معرفـة كـم مـن المـرات الـتي يوجـد فيهـا عـدد في عـدد آخـر؛ عـلى أن يتـم ذلـك بسرعـة.

1 5 النتيجـة

2 6 7

4 0 0 9 5 المقسـوم

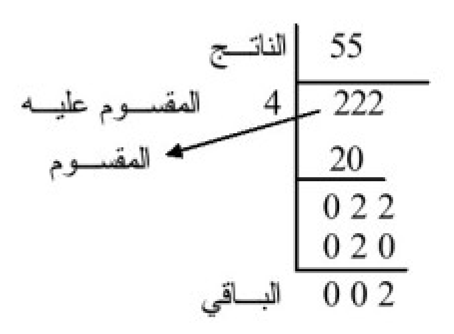
2 4 3 المقسـوم عليـه

وتتـم هـذه العمليـة بوضـع المقسـوم فـوق المقسـوم عليـه؛ وينطلـق العمـل مـن بالرقـم الأمـامي أي مـن يسـار الأعـداد؛ فنقـول 400 ÷ 243 = 1. ثـم نقـوم بضـرب 243 × 1 = 243. وبعدهـا نطـرح الناتـج بواسطـة الشطـب؛ وهـو 243 مـن 400 ؛ أي مـن أمـام المقسـوم أو

[1] أنظـر كتـاب علـم الحسـاب تطـوره وأهـدافـه وطـرق تدريسـه، ص ص: 126 ــ 138.

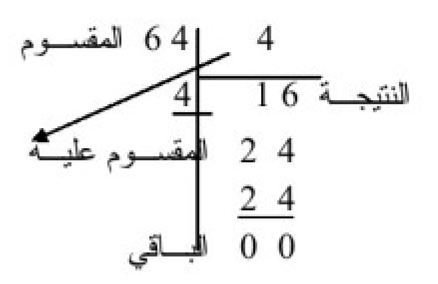
بالأحرى بدءاً باليسار نحو اليمين؛ وذلك بشطب كل رقم يتم طرحه؛ على التوالي.

كما كانوا ــ أيضاً ــ يجرون القسمة بوضع النتيجة في الأعلى؛ مثل:



ويبدو أن الطريقة الأخيرة هي التي اعتمدها **الأخضري** في منظومته؛ وهي لا تختلف عما هو متبع في جل البلدان الآن؛ سوى في وضع النتيجة في الأعلى؛ بينما توضع عندنا تحت المقسوم عليه. وتجري: بالبدء من أمام العدد المقسوم؛ أي من جهة اليسار؛ فنبدأ برقم 22؛ فنقسمه على 4؛ فنتكون النتيجة الأولية: 5؛ فنضرب 5 × 4= 20؛ فنطرح 20 من 22= 02؛ عندها ننزل رقم 2 الباقي في العدد الإجمالي للمقسوم؛ بعد أن أجلناه في المرة الأولى؛ فيصبح العدد المراد قسمته هو 22؛ فنقسمه مرة أخرى على 4 ؛ فيساوي 5 أيضاً؛ فنطرح ــ كالمرة الأولى ــ فيبقى: 002 ؛ وهو الرقم الذي لا يقبل القسمة على 4.

وكما ترى فالناتج يوضع في الأعلى أيام **الأخضري.** وهذا يختلف عن الطريقة الحالية التي تضع الناتج تحت المقسوم عليه؛ مثل:



أما الفصل الثاني فيقول فيه:

وَإنْ تَشَأ فَتَأخُذُ الوَفْقَيْنِ
وَاعْمَلْ عَلَيْهِمَا بِغَيْرِ مَيْنِ
أوْ حُلَّ مَقْسُوماً عَلَيْهِ وَاقْسِمَا
عَلَى أئِمَّةٍ لَهُ لِتَعْلَمَا
أوْ تَقْسِمَ المَقْسُومَ بِالتَّفْضِيلِ
وَتَجْمَعَ الخَارِجَ بِالتَّعْدِيلِ

وكما هو واضح من الأبيات أعلاه؛ فكل اهتمام **الأخضري** من عملية الحساب كان منصباً في الغرض الأساسي من شرحه لمادة الحساب؛ وهي الكيفية التي يقرب بها فكرة تقسيم التركات؛ وهذا ما جعله يستعمل بعض المصطلحات المعمول بها في

الفرائض وتقسيم التركات؛ مثل: **الوفق والتفضيل والتعديل والتسمية.** لذا فعملية استخراج القاسم المشترك الأعظم هنا ضرورية؛ كما أن تقسيم الأعداد أقساماً متساوية؛ يستدعي أحياناً اللجوء لعملية الاختزال من أجل الحصول على النتيجة النهائية للقسمة.

ثم يواصل **الأخضري** نظمه الذي يبين فيه عمليات الكسور وكيفية إجراء الاختبار؛ من أجل تصحيح العمليات الأربعة في الحساب. وكل هذا يمكن متابعته من خلال المقاطع الآتية:

الباب السادس: في التسمية

تَسْمِيَةٌ نِسْبَتُكَ القَلِيلاَ
مِنَ الكَثِيرِ فَاعْرِفِ التَّمْثِيلاَ
فَأَلْقِهِ أئِمَّةً لِتَقْسِمَا
مِنْ بَعْدِ أنْ تُحِلَّهُ فَلْتَعْلَمَا
وَالبَدْءُ فِي تَنْزِيلِهَا بِالأَكْبَرِ
وَالبَدْءُ فِي قِسْمَتِهَا بِالأصْغَرِ
وَمَا بَقِي مِنَ الكُسُورِ يُرْسَمُ
فَوْقَ الأمَامِ ثُمَّ مِنْهُ يُعْلَمُ

وَاقْسِمْ عَلَى الَّذِي يَلِيهِ مَا خَــرَجْ

وَافْعَــلْ كَمَا ذَكَرْتُــهُ فَلاَ حَــرَجْ

فَكُــلُّ مَا عَلَى الأئِمَــةِ تُصِــبْ

هُوَ المُسَمَّى مِثْلُ كَسْــرٍ يَنْتَسِــبْ

وَإنْ تَشَــأ فَانْظُــرْ إِلَى الأوْفَــاقِ

وَاعْمَــلْ عَلَيْهَــا عِنْــدَ الاِتِفَــاقِ

فصـــل: في حـــل الأعـــداد

قَــدْ ذَكَــرُوا لِحَلِّــهِ مُقَدِّمَــهْ

لاَزِمَــةً لِكُــلِّ مَــنْ تَعَلَّمَــهْ

النِّصْفُ وَالعُشْرُ مَعَ الخُمْــسِ لَمَــا

الصِّفْــرُ فِي أوَّلِــهِ تَقَدَّمَــا

وَإنْ يَكُــنْ مُفْتَتَحــاً بالْخَمْسَــهْ

فَــذَاكَ ذُو خَمْــسٍ تَفَهَّــمْ اسَّــهْ

وَاعْلَــمْ بِأنَّ جُمْلَــةَ الأعْــدَادِ

مَقْسُومَــةٌ لِلــزَّوْجِ وَالإفْــرَادِ

وَلْيُطْرَحِ الزَّوْجُ بِطَــرْحِ التِّسْعَــةِ

مَعَ الثَّمَــانِ ثُمَّ طَــرْحِ السَّبْعَــةِ

فَــإِنْ طَرَحْتَــهُ بِتِسْــعٍ فَالسُّدُسْ

لَــهُ وَتِسْــعٌ مَعَ ثُلْــثٍ فَاقْتَبِــسْ

وَحَيْثُ سِــتٌّ أَوْ ثَلاَثٌ عَبَــرَا
فَالسُّدْسُ وَالثُّلْــثُ لَهُ قَــدَ شُهِــرَا
وَإِنْ بَقِي ثَلاَثَـــةٌ فَالسُّدْسُ لَـــهْ
وَالثُّــلْثُ أَيْضاً فَادْرِ تِلْكَ المَسْأَلَـــهْ
وَاطْرَحْهُ إِنْ بَـــقِيَ غَيْـــرُ ذَلِـــكَ
طَــرْحَ الثَّمَـــانِ تَتْبَــعِ المَسَالِـــكَ
فَالثُّمْـــنُ وَالرُّبْــعُ لَهُ إِنِ انْطَـــرَحْ
وَإِنْ بَـــقِي رُبْــعٌ فَرُبْــعٌ اتَّضَــحْ
وَإِنْ بَقِي مَا عَدَا مَا قَــدْ شُــرِحْ
فَاطْرَحْهُ طَرْحَ سَبْعَــةٍ إِنِ انْطَــرَحْ
فَذَاكَ ذُو سُبْــعٍ وَإِنْ لَمْ يَنْطَــرِحْ
فَلَيْسَ إِلاَّ النِّصْــفُ فَرْداً يَتَّضِــحْ
وَفَقْدُهَــا بِطَرْحِ تِسْــعٍ يُطْــرَحُ
وَطَــرْحُ سَبْعَـــةٍ بِـــذَاكَ يُوضَــحُ
فَـــإِنْ طَرَحْتَـــهُ بِتِسْعٍ فَالتُّسُــعْ
لَـــهُ وَثُلْـــثٌ فَتَفَهَّـــمْ وَاتَّبِـــعْ
وَإِنْ بَــقِي ثَلاَثَـــةٌ أَوْ سِتَّـــةٌ
فَـــذَاكَ ذُو ثُلْـــثٍ فَحَسْـــبُ يُثْبَـــتُ
وَإِنْ بَـــقِي غَيْـــرُ مَا قَــدْ ذُكِــرَا
فَاطْرَحْـــهُ طَــرْحَ سَبْعَــــةٍ وَاعْتَبِــرَا
فَإِنْ طَرَحْتَـــهُ بِـــــذَاكَ الطَّــرْحِ
فَـــذَاكَ ذُو سُبْــعٍ تَفَهَّـــمْ شَــرْحِي

وَإنْ يَكُنْ لَمْ يَنْطَرِحْ فَهْوَ الأصَـمْ

فَسَـمٌ مِنْ أجْزَائِـهِ مَا قَدْ عُلِـمْ

البـاب السابـع: في الاختبـار

الاخْتِبَـارُ آلَـةٌ قَـدْ عُلِمَـا

يُفِيـدُ فِي جَمِيـعِ مَـا تَقَدَّمَـا

فَاخْتِبَـارُ الجَمْـعِ ذُو وَجْهَيْـنِ

إمَّـا بِطَـرْحِ أحَـدِ السَّطْرَيْـنِ

مِنْ خَارِجٍ فَاعْلَـمْ وَيَبْقَى الآخَـرُ

فَوَاضِـحٌ بَيَانُـهُ وَظَاهِـرُ

أوْ تَطْرَحُ الخَارِجَ وَالبَاقِي الجَوَابْ

فَجِيماً اجْعَلْ فَوْقَـهُ بِلاَ ارْتِيَـابْ

ثُمَّ اطْرَحِ السَّطْرَيْنِ وَاجْمَعْ مَا بَقِي

وَاطْرَحْهُ يَبْقَى كَالْجَوَابِ السَّابِـقِ

وَاخْتَبِرِ الطَّرْحَ بِجَمْـعِ الطَّرَفَيْـنْ

لِكَيْ يَكُونَ وَسَطـاً بِغَيْـرِ مَيْـنْ

كَـذَا بِطَـرْحِ مَا بَقِي مِنْ أوْسَطِ

يَبْـقَى كَمِثْـلِ وَسَطٍ بِلاَ شَطَـطِ

أوْ تَطْرَحِ البَاقِي فَبَاقِيـهِ الجَـوَابْ

وَاطْرَحْ بِذَاكَ الآخَرَيْنِ بِاحْتِسَـابْ

وَاطْرَحْ بَقِيَّ أسْفَـــلٍ مِمَّـــا بَـــقِي

مِـــنْ أوْسَـــطٍ وَبَعْـــدَ ذَاكَ وَفِّـــقِ

فَإِنْ يَكُـــنْ أقَـــلَّ مِنْـــهُ فَاحْمِـــلاَ

عَلَيْهِ مِثْلَ مَا بِـــهِ الطَّـــرْحُ جَـــلاَ

وَالضَّرْبُ فِي اخْتِبَـــارِهِ وَجْهَـــانِ

فَاحْفَظْهُمَـــا تَصِـــلْ إلَى البَيَـــانِ

فَاخْتَبِـــرُوا بِقِسْـــمِ خَارِجٍ عَـــلَى

سَطْرٍ مِنَ السَّطْرَيْنِ فَاعْلَمْ مُسْجَلاَ

كَذَا بِطَـــرْحِ كُلِّ سَطْـــرٍ مِنْهُمَـــا

بِوَاحِـــدٍ مِنَ الطُّـــرُوحِ فَاعْلَمَـــا

فَمَا بَقِي فِي وَاحِـــدٍ فَاضْرِبْـــهُ فِي

مَـــا قَـــدْ بَـــقِي لآخَـــرٍ لِتَقْتَـــفِي

فَمَا بَدَا فَاطْرَحْـــهُ مِثْلَ مَا أُلِـــفْ

فَمَا بَقِي فَهْـــوَ الجَوَابُ قَدْ عُـــرِفْ

وَاطْرَحْ بِذَاكَ خَـــارِجَ الحِسَـــابِ

يَبْـــقَى كَمِثْـــلِ ذَلِـــكَ الجَـــوَابِ

وَإنْ تُرِدْ كَيْفَ اخْتِبَـــارُ القِسْمَـــةِ

فَاعْمَـــلْ عَلَى قَوْلِي تَكُنْ ذَا هِمَّـــةِ

فَتَضْـــرِبُ الخَـــارِجَ فِي الأمَـــامِ

فَيَخْـــرُجُ المَقْسُـــومُ بِالتَّمَـــامِ

أوْ تَطْرَحُ المَقْسُومَ وَالبَاقِي المَـــرَامْ

وَاطْرَحْ بِذَاكَ خَارِجـــاً مَعَ الأمَـــامْ

وَاضْرِبْ بَقِيَّ وَاحِدٍ فِيمَـا بَـقِي

لِوَاحِـدٍ وَاطْرَحْـهُ مِثْلَ السَّابِـقِ

فَـإِنْ يَكُـنْ مَا بَقِي كَالجَـوَاب

فَهْـوَ صَحِيحٌ دُونَ مَـا ارْتِيَـابِ

وَالسَّبْـعُ حَيْثُمَـا كُسُـورٌ تَقَـعُ

فَخَـارِجُ البَاقِيَتَيْـنِ تُجْمَـعُ

وَإِنْ تَسَـلْ عَنِ اخْتِبَـارِ التَّسْمِيَهْ

فَافْعَـلْ كَمَا أَقُولُـه بِالتَّسْوِيَـهْ

فَابْـدَأْ بِضَـرْبِ أَوَّلِ المُسَـمَّى

فَمَا يَـلِي مَا تَحْـتَ ذَا المُسَـمَّى

وَاجْمَعْـهُ لِلَّذِي عَلَيْـهِ وَافْعَـلاَ

فِي خَـارِجٍ كَمَـا فَعَلْـتَ أَوَّلاَ

فَإِنْ يَـكُ المَجْمُوعُ كَالْمَنْسُـوب

فَهْـوَ صَحِيحُ الْعَمَـلِ المَطْلُـوبِ

هَذَا اخْتِبَـارُ التَّسْمِيَـةَ المَعْهُـودَهْ

وَاخْتَبِـرِ الأئِمَّـةَ المَوْجُـودَهْ

بِضَـرْبِ مَا قَدَّمْتَـهُ فِيمَـا أَتَى

مِنْ بَعْـدِهِ عَلَى الـوَلاَءِ يَا فَـتَى

وَخَارِجـاً فِيمَـا قَـدِ اسْتَقَـرَّا

مِـنْ بَعْـدِ إِلَى هَلُـمَّ جَـرَّا

فَيَخْـرُجُ المَنْسُوبُ مِنْـهُ بِالتَّمَـامْ

وَاحْفَظْ جَمِيعَ مَا ذَكَرْتُ وَالسَّلاَمْ

بـــاب الكســـور، ويشتمـــل عـــلى فصليـــن:

الفصـــل الأول في أقسامهـــا

الكَسْــرُ مِنْهُ مُفْــرَدٌ وَمُخْتَلِــفْ
مُبَعَّــضٌ مُنْتَسِــبٌ كَــذَا عُــرِفْ
فَذُو اخْتِــلاَفٍ مِثْلُ ثُلْثٍ وَرُبُــعْ
وَذُو انْتِسَابٍ مِثْــلُ خُمْسٍ وَسُبُــعْ
خَمْسٍ وَذُو التَّبْعِيضِ فَهْوَ يَنْتَسِبْ
بالعَكْــسِ مِنْ كَسْرٍ أمَامَهُ نُســبْ
وَبَسْطُ ذِي الإِفْرَادِ وَافَقَ الأَمَــامْ
وَبَسْطُ ذِي التَّبْعِيضِ فَافْهَمِ الكَــلاَمْ
بِضَــرْبِ مَــا عَلَى الأَمَــامِ الأوَّلِ
فِي كُــلِّ مَــا يَلِيــهِ فَلْيُكَمَّــلِ
وَذُو انْتِسَابٍ كَاخْتِبَــارِ النِّسْبَــةِ
وَقَــدْ مَضَى تَقْدِيــرُهُ بِالْجُمْلَــةِ
وَالُمخْتَلِفْ بِضَرْبِ بَسْطِ مَا قُصِــدْ
فِي كُلِّ مَا مِنْ تَحْتِ غَيْرِهِ عُهِــدْ
وَضَــرْبُ بَسْطِ ذَاكَ فِي أمَــامِ ذَا
وَيُحْمَلُ الَمجْمُوعُ فَافْعَــلْ هَكَــذَا
وَإِنْ يَكُنْ هُنَــا صَحِيــحٌ يُــدْرَى
كَأنَّــهُ بَسْــطُ الْكُسُــورِ شُهِــرَا

الفصـــل الثـــاني
في أعمـــــال الكســـــور

وَإنْ تُرِدْ ضَرْبَ الكُسُورِ فَاضْرِبَـــا

البَسْــطَ فِي البَسْطِ وَكُنْ مُرَتِّبَــا

فَقَــدِّمِ الكَبِيــرَ فِي الأئِمَّـــةِ

يَبْـــدُو لَكَ المَطْلُوبُ بَعْدَ القِسْمَــــةِ

وَوَصْــفُ قِسْمَـــةِ الكُسُورِ هَكَذَا

بِضَــرْبِ بَسْطِ ذَاكَ فِي أمَــامِ ذَا

وَالعَكْسُ وَاقسِمْ خَارِجَ المَقْسُـــومِ

عَنْ خَــارِجِ الأمَــامِ كَالمَعْــلُومِ

وَهَكَــذَا تَسْمِيَـــةُ الكُسُــورِ

وَيُقْسَـــمُ الأدْنَى عَــلَى الكَثِيــرِ

وَمِثْــلُ ذَاكَ الجَمْعُ لَكِنْ تُجْمَــعُ

وَالخَارِجَــاتُ بَعْــدَهُ تُــوَزَّعُ

وَالطَّرْحُ يُطْــرَحُ الأقَــلُّ مِنْهُمَــا

مِــنَ الكَثِيــرِ فِيــهِ ثُمَّ تَقْسِمَــا

وَاختَبِرِ الطَّرْحَ بِطَــرْحِ بَسْطِ مَــا

بَــدَا وَسَطْرَيْــهِ كَمَــا تَقَدَّمَــا

وَخَارِجاً فَابْسُطْهُ كَالْمَقْسُومِ فِي
جَمْعٍ وَقِسْمَةٍ وَنِسْبَةٍ تَفِي
يُطْرَحُ بَسْطُ مَا بَقِي وَمَا ظَهَرْ
مِنْ ذَيْنِكَ الشَّطْرَيْنِ طَرْحاً يُخْتَبَرْ

*****

ثانياً ـ الدرة البيضاء:

في الحساب والفرائض؛ وقد نظمها **الأخضري** في خمسمائة بيت؛ مقسمة إلى ثلاثة أقسام: أولها يدرس موضوع الحساب؛ وقد شرحناه؛ والثاني فقه الفرائض والتركات، أما الثالث فيهتم بالجانب العملي في قسمة التركات. ويبدو أن هذا التأليف قد سرق مخطوطه ـ في بداية الأمر ـ من **الأخضري** ثم وجده؛ فقام بشرح القسم الثاني بنفسه، ثم شرح بعض الفصول من القسم الثالث. وربما يكون **عبد اللطيف المسبح المرداسي** قد تولى شرح **"الدرة البيضاء"**؛ حسبما قال **عبد الكريم الفكون**.[1]

المهم أن كتاب **"الدرة البيضاء"** قد نشر عدة مرات؛ منها طبعة **القاهرة** سنة 1309هـ/1891م وطبعة مشروحة سنة 1325هـ/1907م. كما قام

[1] تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص: 92.

الشيخ **محمد الصادق الشطي** بشرح القسم المتعلق بالفقه من **"الدرة البيضاء"** ونشره في **تونس** سنة 1355هـ/1936م؛ وقد تقرر تدريس هذا الشرح في **جامع الزيتونة**. وفي هذا السياق سنتكلم في بعض العينات من القسم الثاني **"للدرة البيضاء"**. ويوجد لدى كاتب هذه الدراسة نسخة منها. ومن شرحها الصادر بالقاهرة سنة 1325هـ/1907م.

1 ـ كيفية التصرف بأموال الميت:

1

تَرْتِيبُ مَا يُبْدَى بِهِ فِي الْمَالِ
تَدْرِيهِ مِنْ **"تَدُومُ"** فِي مَقَالِ

كل ما يهم في هذا البيت هي كلمة **"تدوم"**؛ أوردها **الأخضري** في سياق نظمه؛ لتحفظ بغرض التذكر؛ وهي **أربعة حروف** توضح **المراتب** التي يصرف فيها مال الميت شرعاً؛ وهي **أربع مراتب**؛ نتذكر كل واحدة؛ كلما نطقنا حرفاً بعد حرف. لذلك فهو يقول: أن الترتيب المطلوب عند البدء في التصرف بأموال الميت؛ هو أن نبدأ بحرف **"التاء"**

من كلمة **"تدوم"** والتاء ــ هنا ــ ترمز **لتجهيز الميت**. أما **"الدال"** فترمز **للدين** الذي عليه، و**"الواو"** تشير **للوصية** التي يكون الميت قد أوصى بها، و**"الميم"** ترمز **للميراث** الذي لا يصح؛ إلا بعد إتمام ما سبق ذكره بالترتيب الذي وضع في كلمة **"تدوم"**. ثم يشرع في تعداد الوارثين بالفرض فيقول:

2

الْوَارِثُونَ فِي الرِّجَالِ عَشَرَهْ

مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ أَتَتْ مُقَرَّرَهْ

أبٌ وَجَدٌّ لأبٍ إنِ انْفَصَلْ

بِذَكَرٍ وَابْنٌ وَمَنْ مِنْهُ انْسَفَلْ

زَوْجٌ أخٌ وَابْنُ أخٍ إنْ لَم يَكُنْ

لِلأمِ مَوْلَى نِعْمَةٍ أيْضاً قَمِنْ

وَالعَمُّ لاَ لِلأُمِّ وَابْنُهُ كَذَا

وَغَيْر مَنْ ذَكَرْتُهُ قَدْ نُبِذَا

أوضح **الأخضري** ــ هنا ــ أن أصحاب الحق في الإرث من **الرجال عشرة أصناف**؛ طبقاً لما نص عليه الشرع؛ هم: **1 ــ الأب. 2 ــ والجد من جهة الأب**؛ بشرط ألا يشوب التسلسل انقطاع أو انفصال

بسبب أنثى تربك تسلسل الآباء. **3 ــ والابن. 4 ــ وابن الابن**؛ وليس ابن البنت؛ أي الذي من أبيه انبثق. **5 ــ والزوج 6 ــ والأخ**؛ سواء كان من الأب أم من الأم. **7 ــ وابن الأخ**؛ على أن يكون ابن أخ شقيق من جهة الأب وليس الأم. **8 ــ مولى النعمة**؛ سواء كان مولى عتق أو مولى الولاء؛ لأنه قَمِنْ أي جدير. **9 ــ والعم**؛ على أن يكون عماً شقيقاً، أو لأب وليس عماً لأم. **10 ــ وابن العم** كذلك؛ وينطبق عليه ما ينطبق على أبيه.

3

وَسَبْعٌ النِّسَاءُ وَهْيَ الْبِنْتُ
وَبِنْتُ الإبْنِ زَوْجَةٌ وَأُخْتُ
أُمٌّ وَمَوْلَاةٌ وَجَدَّتَانِ
فَمَا عَلاَ بِالْمِثْلِ تُدْلَيَانِ
وَهُنَّ أُمَّهَاتُ الأُمِ وَالأَبِ
وَعَدُّ زَيْدٍ أُمَّ جَدٍّ قَدْ أُبِي

أما النساء فالوارثات منهن **سبعة أصناف**؛ هي: **1 ــ البنت** التي خرجت من صلب الميت. **2 ــ وبنت الابن**؛ ويدخل في هذا الاعتبار بنت ابن الابن أيضاً.

3 ـ **والزوجـة**. 4 ـ **والأخـت**؛ سـواء كانـت شقيقـة أو مـن أب أو أم. 5 ـ **والأم**. 6 ـ **ومـولاة النعمـة**؛ ويقصـد بها المعتقـة. 7 ـ **والجـدة**؛ أي أم الأب وأمهاتهـا، أو أم الأم وأمهاتهـا. أمـا قولـه: **وَعَـدُّ زَيْـدٍ أُمَّ جَـدٍ قَـدْ أُبِي**؛ يعـني أن مـا قالـه زيـد بـن ثابـت رضي اللـه عنـه بخصـوص ميـراث أم الجـدة رفضـه جمهـور العلمـاء.

2 ـ موانـع الإرث:

4

مَوَانِـعُ الْمِيرَاثِ سَبْـعٌ وَهْيَ فِي

"عِشْ لَكَ رِزْقٌ" حُصِرَتْ فَلْتَقْتَفِي

وَقَاتِـلُ الْعَمْـدِ بِإِطْلاَقٍ سَقَـطْ

وَيَـرِثُ الْمُخْطِئُ فِي الْمَالِ فَقَـطْ

أمـا الأسبـاب الـتي تمنـع مـن الإرث؛ فـهي **سبعـة موانـع**؛ حصرهـا **الأخضـري في سبعـة حـروف**؛ ترمـز للحـالات المانعـة؛ وقـد جمعـت في كلمـات ثلاثـة هـي: **"عـش لـك رزق"**. 1 ـ **فالعيـن** ترمـز **"لعـدم الاستهـلال"**؛ أي استهـلال الطفـل عنـد مولـده بالصـراخ؛ لأن ذلـك يعـني أنـه ولـد حيـاً؛ ومرجـع ذلـك إلى مـا رواه جابـر عـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلـم أنـه قـال:

((إذا استهلَّ الصبيُّ وُرِّث وصلى عليه)).[1] 2 ـ وحرف **الشين** يرمز **"للشك"**؛ تبعاً لقوله صلى الله عليه وسلم: **((لا ميراث بشك))**؛ مثل الشك في النسب، أو الشك في كون زوجة الميت حامل، أو الشك فيمن سبقته الموت من المتوارثين؛ في حالات الغرق أو الهدم؛ وعلى هذا فقد قال الإمام مالك: **((لا ينبغي أن يرث أحدٌ أحداً بالشك، ولا يرث أحدٌ أحداً إلاَّ باليقين من العلم والشهداء)).**[2] 3 ـ وحرف **اللام** يرمز **"للعان"**؛ ويحدث في حال عدم اعتراف الزوج بمولود من زوجته بعد أن اهمها بخيانته مع رجل آخر؛ فيتلاعنان أمام القاضي؛ فيقول كل منهما: **"علي لعنة الله إن كنت من الكاذبين"**؛ ففي هذه الحال لا يرث المولود من الرجل المشكوك في أبوته؛ بينما يرث من أمه.[3] 4 ـ وحرف **الكاف** يرمز **"للكافر"**؛ الذي لا يرث؛ تبعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم)).**[4] 5 ـ وحرف **الراء** يرمز **"لِلرِّق"**؛

---

[1] وعن أبي هريرة: ((إذا استهلَّ المولودُ وُرِّثَ)). معالم السنن، ج: 4، ص: 104. السراجية للجرجاني، ص: 322.

[2] موطأ الإمام مالك، رواية الليثي، ص: 353.

[3] قال أبو داود؛ بعد الأسانيد: ((جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ميراث بن الملاعنة لأمه ولورثتها من بيعدها)). معالم السن، ج: 4، ص: 100.

[4] صحيح البخاري، ج: 8، ص: 10. وموطأ الإمام مالك؛ رواية الليثي، ص: 351. وسنن الترميذي، ج: 3، ص: 287.

وبيانه أن من بقي على رقه، أو قال له سيده أنت حر بعد موتي، أو اشترى حريته من سيده بمال؛ فكل هذه الأصناف لا يرث أصحابها. 6 ــ وحرف **الزاي** يرمز **"للزنا"**؛ ومفاده أن المولود عن طريق الزنا لا يتوارث مع أبيه؛ بينما يتوارث مع أمه. 7 ــ وحرف **القاف** يرمز **"للقتل"**؛ إذ لا ميراث للقاتل؛ تبعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((القاتل لا يرث))**.[1] وقد اعتبر أتباع مالك أن المقصود بالقاتل ــ هنا ــ هو القاتل بإطلاق؛ أي القتل عمداً. وفي البيت الأخير **للأخضري** ــ وهو مالكي ــ يقول أن القاتل عمداً لا يرث، أما القاتل بالخطأ فيرث في المال.

5

وَيَمْنَعُ الإرْثَ نِكَاحٌ فِي الْمَرَضْ
وَلَيْسَ يَمْنَعُ الطَّلاَقُ إنْ عَرَضْ
وَالْمَوْتُ فِي النِّكَاحِ بِالتَّفْوِيضِ لاَ
يَمْنَعُ إرْثاً وَالصَّدَاقُ حُظِلاَ
وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ التَّوَارُثِ البِنَا
إذِ الْوَفَاةُ كَالدُّخُولِ عِنْدَنَا

[1] سنن الترميذي، ج: 3، ص: 288.

وَحَيْثُ فِي فَسْخِ النِّكَاحِ خُيِّرَا
فَالإِرْثُ قَبْلَ فَسْخِهِ لَنْ يُحْضَرَا

وَيَمْنَعُ الإِرْثَ نِكَاحٌ مُجْمَعُ
عَنْ فَسْخِهِ وَالْعَكْسُ لَيْسَ يُمْنَعُ

وَحَيْثُمَا طَلَّقَهَا فِي الصِّحَّةِ
رَجْعِيَّةً تَوَارَثَا فِي الْعِدَّةِ

ولما كان **الأخضري** قد حدد في البيتين السابقين **الموانع الحقيقية** للميراث؛ فقد وجد أنه من الأفضل إضافة **موانع أخرى تابعة** للأولى، وتدخل في باب النكاح وصحته؛ فالنكاح ــ مثلاً ــ فيه مسائل تتعلق بالميراث؛ لذا فقد أشار **لنكاح المريض** في صدر البيت الأول؛ فقرر أن الإرث فيه باطل. والمقصود هنا **المرض المميت**؛ الذي لا أمل في الشفاء منه؛ ولا يطول بصاحبه حتى يقضي عليه.[1] أما الطلاق لمن كان مريضاً؛ فلا يمنع الإرث إن مات الزوج؛ حتى وإن انتهت عدة المرأة. وهذا ما أشار إليه الناظم في عجز البيت. وقد وُضِعَ فَصْلٌ في موطأ الإمام مالك

[1] هذه مسألة اختلف فيها العلماء؛ ومن بينهم علماء المالكية أنفسهم؛ إذ وردت لهم أقوال متباينة في هذا الموضوع؛ ومرد خلافهم راجع إلى اختلاف أحوال المرضى؛ إذ فيهم من كان مريضاً؛ وطال به المرض إلى ثلاث سنوات؛ لذا فقد أجاز بعض العلماء الإرث للمرأة في حال كهذه. أنظر كتاب المعيار المعرب، ج: 3، ص ص: **149 ــ 152**.

يجيز ميراث المطلقة في حال مرض الزوج.[1] أما البيت الثاني فيتناول **الأخضري** فيه موضوع موت الشخص **المتزوج بالتفويض**؛ أي **بدون تسمية الصداق**؛ فإذا مات أحد الزوجين ــ في هذه الحال ــ يمكن لأحدهما أن يرث الآخر؛ ولكن الصداق يمنع وهو ما عبر عنه بكلمة **"حظل"** أي منع. ثم يصرح في البيت الثالث أن الإرث **لا يشترط فيه البناء**؛ لأن الوفاة في مذهبه كالدخول تماماً. وما يقصده **الأخضري** من البيت الرابع هو: إذا ترك أحد الزوجين للآخر الخيار في الطلاق أو الإبقاء على عقد الزوجية؛ ومات أحدهما قبل الفصل في الاختيار؛ سلباً أم إيجاباً؛ فإن الميراث يبقى ثابتاً، ولا يسقط؛[2] ما دام فسخ عقد الزوجية لم يحدث؛ وقد استعمل كلمة **"يحظر"** تبعاً لقوله سبحانه وتعالى: **((وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً))**.[3] وفي البيت الخامس يقول **الأخضري**: أن **النكاح المتفق على فسخه بالإجماع** ــ كنكاح الزوجة الخامسة ــ يُمْنَعُ الإرث فيه؛ إذ هو باطل بالإجماع؛ على العكس

[1] وقال مالك ابن أنس: ((أنه سمع ابن شهاب يقول: " إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً وهو مريض فإنها ترثه". قال مالك: وإن طلقها وهو مريض قبل أن يدخل بها؛ فلها نصف الصداق، ولها الميراث، ولا عدة عليها؛ وإن دخل بها ثم طلقها فلها المهر كله والميراث؛ البكر والثيب في هذا عندنا سواء)). الموطأ؛ برواية الليثي، ص: **391**.

[2] ورد في كتاب المعيار ما يبيح ذلك، ج: **3** ، ص: **135**.

[3] سورة الإسراء، من الآية **20**.

من النكاح المختلف في أمره بين العلماء؛ **كنكاح الشغار** مثلا؛[1] فإنه لا يسقط الإرث. أما البيت الخامس فينبه الناظم من خلاله: إلى أن المرأة؛ عندما يطلقها زوجها ـ في حال الصحة السليمة ـ طلاقاً رجعياً؛ ثم توفي واحد منهما؛ فلا يسقط عنهما حق الميراث؛ ما دامت العدة لم تنته؛ فإذا انتهت مدة العدة لا يرثان.؛ وهو ما أراده بقوله: **(توارثا في العدة).**

6

إذَا أَتَتْ أُمُّ الْفَتَى بِوَلَدِ
مِنْ بَعْدِهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْتَبْعَدِ
إنْ وَضَعَتْهُ قَبْلَ سِتٍّ أشْهُرِ
يَرِثْ وَحَيْثُ لاَ فَمَنْعُهُ حَرِي

إذا مات أحدهم دون أن يترك ولداً يحجب إخوة للأم؛ وفي وقت مماته تكون أمه متزوجة برجل آخر؛ فتلد ولداً بعد موت ابنها المذكور. ففي هذه الحال؛ أجمع العلماء على أن المولود الجديد إن ولد

[1] ورد في صحيح البخاري((أن رسول الله r نهى عن الشغار. والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته؛ ليس بينهما صداق)). ج: 6، ص: 128. ((وقال أصحاب الرأي وسفيان الثوري: "النكاح جائز؛ ولكل واحدة منهما مهر مثلها؛ وهي معنى النهي؛ في هذا عندهم؛ أن يستحل الفرج بغير مهر)). معالم السنن، ج: 3، ص: 192.

قبل ستة أشهر من وفاة أخيه يرث؛ وهذا ما قصده **الأخضري** بقوله: **((إن وضعته قبل ست يرث...))**. أما إذا تجاوزت المدة ستة أشهر فلا يرث؛ لأنه غير حري؛ أي جدير بالإرث؛ إذ **"لا ميراث بشك"**.[1] ولكي يصح الإرث لابد من دليل قاطع؛ سواء بمصادقة من الوارث قبل وفاته؛ بإقراره المسبق أنها كانت حاملاً، أو بشهادة موثقة.

3 ــ السهام:[2]

1

الثُّلْثُ وَالثُّلْثَانِ نصْفٌ وَسُدُسْ
وَالرُّبْعُ وَالثُّمْنُ فُرُوضٌ فَاقْتَبِسْ

يشير هذا البيت إلى ما يرثه أصحاب الفرض؛[3] وهذا يختلف عما يورث بالعصبة.[4] وقد حدد سهام الفروض في **ستة أجزاء** هي: **الثلث والثلثان والنصف**

[1] قال الإمام ملك: ((لا ينبغي أن يرث أحد أحداً بالشك، ولا يرث أحد أحداً إلاّ باليقين من العلم والشهداء)). موطأ الإمام ملك؛ رواية الليثي، ص: 353.

[2] مفرد السهام: سهم؛ وهو الحظ والنصيب.

[3] الفرض جمعه فروض: وهي السهام المقدرة شرعاً للورثة. والفرض هو التقدير والقطع والبيان؛ يقول سبحانه وتعالى: ((وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ))؛ أي فنصف ما قدرتم. سورة البقرة، من الآية 237.

[4] العصبة: هم قرابة الرجل لأبيه؛ واختص بها ــ في الغالب ــ الذكور من قرابة الرجل.

والسدس والربع والثمن. ويقصد بكلمة **"اقتبس"** ــ في عجز البيت ــ إلى ضرورة الرجوع إلى القرآن والاقتباس منه. فكل هذه السهام مقدرة بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والإجماع. وهذه السهام كلها يختص بها اثنا عشر نوعاً من أصحاب الفروض وهم:

ــ من الذكور أربعة: الزوج، والأب، والجد الصحيح، والأخ لأم.

ــ ومن الإناث ثمانية وهن: الزوجة، والأم، والجدة الصحيحة، والبنت، والبنت لأبن، والأخت الشقيقة، والأخت لأب، والأخت لأم.

2
من يرث النصف

نِصْفٌ لِزَوْجٍ عِنْدَ فَقْدِ الاِبْنِ
وَلاِبْنَةِ الصُّلْبِ وَبِنْتِ الإِبْنِ
أُخْتٌ شَقِيقَةٌ وَأُخْتٌ لأَبِ
فِي فَقْدِهَا لاَ غَيْرُهُمْ بِهِ حَبِي[1]

[1] يقصد بِحَبِي: أعطي.

أصحاب **النصف** ـ كما عدهم **الأخضري** ـ **خمسة** وهم:

1 ـ **الزوج**؛ على أن لا يكون للموروث فرع يحق له الإرث؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ مثل: الابن، وابن الابن، وبنت الابن، والبنت.

2 ـ **وبنت الصلب**؛ ولكي تحظى بنت الصلب بالنصف لا بد أن تكون وحيدة.

3 ـ **وبنت الابن**؛ حتى وإن تدرجت في الانحدار التسلسلي إلى بنت ابن الابن؛ بشرط انفرادها عن بنت الصلب ووحدانيتها.

4 ـ **والأخت الشقيقة**؛ فيشترط فيها كي تحوز النصف؛ أن تكون وحيدة، وأن تنفرد عن البنت وبنت الابن.

5 ـ **والأخت لأب**؛ فلا بد أن تنفرد عن الشقيقة والبنت وبنت لابن، أن تكون وحيدة.

3
من يرث الربع

وَالرُّبْعُ سَهْمُ الزَّوْجِ إِنْ كَانَ الْوَلَدْ
وَمَعَ فَقْدِهِمْ لِزَوْجَةٍ وَرَدْ

أصحاب **الربع** هما: الزوج والزوجة.

1 ــ فالزوج: يرث الربع إذا كان للميت فرع آخر يحق له الإرث؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ أم كان منه أو من أب آخر؛ أو ابن زنا؛ لأنه يلحق بأمه ويرثها.مثل: الابن، وابن الابن، والبنت، وبنت الابن.

2 ــ الزوجة: أو الزوجات: ترث الربع إذا لم يكن للميت فرع آخر؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ خرج منها أو من غيرها؛ حتى وإن انحدر تسلسلياً مثل: الابن، وابن الابن، والبنت، وبنت الابن. وقد عبر **الأخضري** في نظمه عن الشرط في أحقية الزوجة للربع، بفقد الفروع المذكورة؛ حيث قال: **"ومع فقدهم"**؛ عندها يرد الربع للزوجة.

4

من يرث الثمن

وَالثُّمْنُ سَهْمُهَا إِذَا مَا وُجِدَا

وأصحاب **الثمن** هي الزوجة، أو الزوجات في حال التعدد؛ على أن يشترك معها أو معهن فروع أخرى لها حق في الإرث؛ سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً؛ منها أم

مـــن غيرهـــا؛ مثـــل: الابـــن، وابـــن الابـــن، والبنـــت وبنـــت الابـــن.

5

مـــن يـــرث الثلثيـــن

وَالثُّلُثَـــانِ لِابْنَتَيْـــنِ وَرَدَا
وَابْنَـــتَيْ إِبْـــنٍ وَلِأُخْتَيْـــنِ وَرَدْ

أمـــا أصحـــاب **الثلثيـــن**؛ فهـــم ــ كمـــا جـــاء في البيـــت ــ **أربعـــة**؛ وهـــم:

1 ــ البنتـــان فأكثـــر.

2 ــ بنتـــا الابـــن فأكثـــر: حـــتى وإن سلفـــن؛ أي انحـــدر التسلســـل إلى بنـــات ابـــن الابـــن؛ ويشتـــرط في ذلـــك انفرادهـــن عـــن البنـــت وبنـــت الابـــن.

3 ــ الأختـــان الشقيقتـــان فأكثـــر: ؛ ويشتـــرط أيضـــاً انفرادهـــن عـــن البنـــت وبنـــت الابـــن.

4 ــ الأختـــان لأب فأكثـــر: ويشتـــرط كذلـــك انفرادهـــن عـــن البنـــت وبنـــت الابـــن والشقيقـــة.

6

مـــن يـــرث الثلـــث

وَالثُّلْـــثُ لِلأُمِّ لَـــدَى فَقْـــدِ الْوَلَـــدْ

وَالأَخَوَيْنِ وَلأُخْوَةٍ لأُمْ
وَالْجَدُّ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ قَدْ عُلِمْ

وأصحاب **الثلث** ــ كما يقول **الأخضري** ــ **ثلاثة**؛ هم:

1 ــ الأم: على أن لا يكون ثمة فرع آخر وارث. وفي قوله تعالى: ((**فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ؛ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ**)).[1]

2 ــ الأخوين والإخوة: إخوة لأم؛ ويشترط أن يكون عددهم من اثنين فأكثر؛ سواء كانوا ذكوراً أم إناثاً؛ فهم شركاء في الثلث. وقال مالك في هذا: ((**"فإن كانوا أكثر من ذلك** [أي من اثنين]؛ **فهم شركاء في الثلث"؛ يقتسمونه بينهم بالسوية؛ للذكر مثل حظ الأنثيين**)).[2] ويشترط في ذلك كله؛ عدم وجود الفرع الأصلي الوارث. وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ((**فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ**)).[3]

3 ــ الجد: ويحدث هذا في بعض الحالات؛ مثل أن يكون معه إخوة ذكوراً من ثلاثة فأكثر. وقد أقر

---

[1] سورة النساء، من الآية: **11**.
[2] موطأ الإمام مالك، رواية الليثي، ص: **341**.
[3] سورة النساء، من الآية:**12**.

مالك بن أنس هذا: **((عن مالك؛ أنه بلغه عن سليمان بن يسار؛ أنه قال: "فرض عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت للجد مع الإخوة الثلث"))**.[1]

7
من يرث السدس

سُدْسٌ لِجَدٍ أَوْ أَبٍ لَدَى الْوَلَدْ
وَوَاحِدِ الإِخْوَةِ لِلأُمِّ وَرَدْ
وَالأُمِّ مَعْ إِخْوَةٍ أَوْ أَبْنَاءِ
وَهْوَ لِلْجَدَّةِ أَيْضاً جَائِي
وَلابْنَتِ إِبْنٍ مَعَ بِنْتِ الصُّلْبِ
وَمَعْ شَقِيقَةٍ لِذَاتِ الأَبِ

حددت هذه الأبيات أصحاب **السدس** ضمن **سبعة ورثة؛ هم:**

1 ــ الجد: على أن يكون للميت فرع آخر يحق له الإرث؛ سواء كان ذكراً أم أنثى؛ حتى وإن انحدر في التسلسل إلى الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن

2 ــ الأب: يجري عليه ما يجري على الجد.

[1] موطأ الإمام مالك؛ رواية الليثي، ص: 344.

3 ــ الأخ لــلأم: لا بــد ــ هنــا ــ أن يكـــون الأخ لـــلأم واحــداً؛ ســواء كــان ذكــراً أم أنــثى.

4 ــ والأم: لا بــد أن يكــون ــ في هــذه الحــال ــ معهــا فــرع آخــر يــرث الميــت؛ وحــتى وإن كــان واحــداً؛ ســواء كــان ذكــراً أم أنــثى؛ كالابــن، وابـــن الابـــن، والبنـــت وبنــت الابــن؛ أو مجموعــة مــن الإخــوة يتجــاوز عددهـــم الاثنيـــن؛ ذكـــوراً أم إناثـــاً.

5 ــ الجـــدة: ســـواء كانــــت أم الأب وأمهاتهــــا، أو أم الأم وأمهاتهـــا؛ عـــلى أن لا تكـــون منفصلــــة بولـــد في كـــل الحـــالات؛ فتـــرث الســـدس. أمـــا إذا مـــا انفصلــــت بذكـــر فـــلا تـــرث.

6 ــ وبنــت الابـــن: لا بــد أن تكــون مــع بنــت الصلــب الواحــدة.

7 ــ والأخــت لــلأب: يشتــرط في وراثتهـــا الســـدس؛ أن تكــون مــع شقيقــة.

ونظــرا لضيــق المجــال؛ نكتــفي بهـــذا القـــدر مـــن الشـــرح؛ عـــلى أن نكمـــل كتابـــة المنظومـــة كمـــا هـــي؛ لأن الغـــرض مـــن شـــرح هـــذه الأبيـــات في الفرائـــض؛ هـــو تقديـــم صـــورة نموذجيـــة توضـــح للقـــارئ؛ الطريقـــة المتبعـــة في الفرائـــض مـــن جهـــة؛ ومـــن جهـــة أخـــرى يتعـــرف عـــلى

مكانـــة **الأخضـــري** العلميـــة، ومنهجـــه في عـــرض المـــواد التعليميـــة عـــلى الراغبيـــن في العلـــم.

وَأعْـطِ فَضْلَـةً لِبَيْـتِ المَـالِ
فِي فَقْـدِ عَاصِبٍ بِكُـلِّ حَـالِ
وَمَنْ يَـرِثْ بِالجِهَتَيْـنِ حَصَّـلاَ
سِهَامَـهُ وَمَـا بَـقِي إنْ فَضَـلاَ
وَالعَـوْلُ فِي تَزَاحِـمِ السِّهَـامِ
وَخَـابَ عَاصِبٌ لَـدَى الإتْمَـامِ
الحَجْـبُ إسْقَاطٌ وَنَقْصٌ فَاقْتَـدِي
وَهَا أنَا بِحَجْبِ نَقْـصٍ أبْتَـدِي
فَيُصْرَفُ الزَّوْجُ لِرُبْـعٍ بِالْوَلَـدْ
وَزَوْجَـةٌ لِثُمْنِهَـا بِـهِ تُـرَدْ
وَالأمُّ بِالإخْـوَةِ وَالأوْلاَدِ
لِسُـدُسٍ عَـنْ ثُلْثِهَـا المُعْتَـادِ
كَـرَدِّ بِنْتِ الإبْنِ بِنْتُ الصُّلْـبِ
كَـذَا شَقِيقَـةٌ لِـذَاتِ الأبِّ
وَالأخَـوَاتُ عَاصِبَـانٌ لِلْبَنَـاتْ
وَإخْـوَةٌ يُعَصِّبُـونَ الأخَـوَاتْ
إلاَّ ذَوِي الأمِّ

وَالإبْــــــــــنُ رَدَّا

لِلسُّــدْسِ وَإبْنُــهُ أبــاً وَجَــدَّا

وَبِنْتُ الإبْنِ فَاسْتَمِــعْ يَا سَائِــلْ

يُعْصِبُهَــا ابْنُ عَمِّهَــا الْمُعَــادِلْ

مِنْ غَيْرِ شَرْطٍ وَابْنُ عَــمٍّ أسْفَــلُ

إنْ لَمْ تَكُــنْ فِي الثُّلُثَيْــنِ تَدْخُــلُ

ذُكُــورُ صُلْبٍ حَجْبُهُمْ قَدْ عَمَّــا

مَــنْ تَحْتَهُــمْ وَإخْــوَةً وَعَمَّــا

ثُــمَّ أبٌ أبَــاهُ قَــدْ أبَانَــا

وَأمَّــهُ وَالْعَــمَّ وَالإخْوَانَــــا

وَالأمُّ أيْضــاً تَحْجُــبُ الجَــدَّاتِ

جَــدٌ لِمَــنْ عَــلاَهُ ذُو بَتَــاتِ

وَإخْــوَةً لِــلأمِّ وَالأعْمَامَــا

كَذَا بَــنِي الإخْــوَةِ قَدْ أضَامَــا

وَالجَدَّتَــانِ اقْتَسَمَــا إنْ وُجِــدَا

فِي رُتْبَــةٍ أوْ ذَاتُ الأمِّ أبْعَــدَا

وَإنْ تَــكُ الَّــتِي لِــلأمِّ أقْرَبَــا

فَتَحْجُبُ الأخْرَى بِحُكْــمٍ وَجَبَــا

لأنَّهَــا الَّتِي بِهَا النَّــصُ صَــدَرْ

وَوَرَّثَ الأخْرَى أبُو حَفْصٍ عُمَــرْ

وَالبِنْتُ ثُمَّ بِنْــتُ الإبْنِ تَحْجُــبُ

الأخَ لِــلأمِّ فَلَيْــسَ يَقْــرُبُ

وَتَحْجُــبُ البِنْتَــانِ بِنْتَ الإبْــنِ

مَا لَمْ يَكُــنْ أخٌ لَهَــا فَيُــدْنِي

أوْ ابْنَ عَــمٍّ إنْ يَكُــنْ مُسَاوِيــاً

فِي رُتْبَــةٍ أوْ نَــازِلاً لاَ عَالِيــاً

وَيَحْجُبُ الشَّقِيــقُ ذَا أبٍ وَعَــمْ

وَمَــا لَــهُ حَجْــبٌ عَلَى أخٍ لأمْ

وَهَكَــذَا أبْنَاؤُهُــمْ لِــلأَبَــدِ

كُــلُّ قَرِيــبٍ حَاجِــبٌ لِلأبْعَــدِ

عَــمٌّ شَقِيقٌ حَاجِــبٌ لِــذِي أبٍ

وَهَكَــذَا أبْنَاؤُهُــمْ فِي الرُّتَــبِ

وَابْــنُ الشَّقِيــقِ صَــدَّهُ أخٌ لأبْ

وَالبِنْــتُ مَعْ شَقِيقَــةٍ أخْتــاً لأبْ

وَيَحْجُبُ الْعَــمَّ بَنُــو الإخْــوَانِ

وَالأخْــتَ لِــلأبِ الشَّقِيقَتَــانِ

إلاَّ إذَا تَكُــونُ مَــعْ أخِيهَــــا

فَإنَّــهُ حِينَئِــذٍ يُدْنِيهَــــا

مَنْ لَمْ يَرِثْ لَمْ يَحْجُبْ إلاَّ الإخْوَةَ

فَنَقْصُهُــم لِــلأمِّ وَالْجَـــدِّ أتَى

وَكُلُّ مَنْ يَلْـقَى بِظَهْـرٍ أقْعَـدَا

أوْلَى مِنَ الَّـذِي بِظَهْـرٍ أبْعَـدَا

وَفِي اخْتِلاَفِ الطَّبَقَاتِ وَاسْتَـوَى

فِي الظَّهْرِ فَالأعْـلَى أحَقُّ بِالنَّـوَى

فَـإنْ تَسَـاوَوْا فَالشَّقِيـقُ أوْلَى

لأنَّـهُ بِالْقُرْبَتَيْـنِ أدْلَى

وَكُلُّ مَنْ يُدْلِي بِشَخْـصٍ يَسْقُـطُ

بِـهِ سِـوَى الإخْـوَةِ لِلأمِّ قَـطُ

وَذَكَـرٌ كَأنْثَيَيْـنِ فِي سِـوَى

الأخْـوَةِ لِـلأمِّ فَإنَّهُـمْ سَـوَا

وَمِثْلُهُـمْ فِي ذَلِـكَ الأشِقَّـا

فِي قِصَّـةِ الحِمَـارِ أيْضـاً حَقَّـا

مِـنْ ذَلِـكَ الْغَـرَّا فَرِيضَتَـانِ

زَوْجَـةٌ أوْ زَوْجٌ وَوَالِـدَانِ

لِـلأمِّ ثُلْـثُ فَضْلِ كُلٍّ مَسْألَـهْ

عَلَى خِـلاَفِ مَا مَضَى مُفَصَّلَـهْ

كَـذَا الْحِمَارِيَّـةُ وَالْمُشْتَرَكَـهْ

يَدْعُونَهَـا بِاسْمَيْـنِ أهْلُ المَلَكَـهْ

أمٌّ أشِقَّـا إخْـوَةٌ لأمِّ

وَالـزَّوْجُ فَالسُّدْسُ نَصِيـبُ الأمِّ

وَالثُّلْـــثُ لِلإِخْـــوَةِ لِـــلأُمِّ وَرَدْ

وَالنِّصْــفُ لِلزَّوْجِ فَإِذْ تَمَّ العَـــدَدْ

قَالَ الأَشِقَّـــاءُ عِنْدَمَا قَضَى عُمَـــرْ

هَبْكُـــمْ أَبَانَـــا كَالْحِمَـــارِ يُعْتَبَـــرْ

لأَنَّنَـــا نَحْـــنُ إِذَا سَـــوَاءُ

مِـــنْ جِهَـــةِ الأُمِّ فَمَـــا القَضَـــاءُ

فَقَسَـــمَ الثُّلْـــثَ عَلَى الجَمِيـــعِ

لَكِـــنْ عَلَى الـــرُّؤُوسِ بِالتَّوْزِيـــعِ

فَإِنْ يَكُنْ جَـــدٌّ فَزَيْـــدٌ اعْتَبَـــرْ

سُدْســـاً لَهُ وَلِلأَشِقَّـــا مَا غَبَـــرْ

وَمَالِـــكٌ أَعْطَـــاهُ مَـــا تَبَـــقَّى

جَمِيعـــاً إِذْ يَقُـــولُ لِلأَشِقَّـــا

مِنْ جِهَـــةِ الأُمِّ وَرِثْتُـــمْ وَأَنَـــا

أَحْجُـــبُ كُلَّ مَـــنْ بِأُمِّـــهِ دَنَـــا

فَـــإِنْ يَكُونُـــوا لأَبٍ فَتَنْسَـــبُ

لِمَالِـــكٍ وَكُلُّهُـــمْ يُخَيَّـــبُ

وَالجَـــدُّ فِي انْفِـــرَادِهِ فَعَاصِـــبْ

إِلاَّ إِذَا كَـــانَ هُنَـــاكَ حَاجِـــبْ

وَمَعْ ذَوِي السِّهَـــامِ ذُو نَصِيـــبِ

وَيَأْخُـــذُ البَـــاقِيَ بِالتَّعْصِيـــبِ

وَمَـــعَ إخْـــوَةٍ فَيُعْـــطَى الأفْضَـــلُ

مِنْ قَسْمٍ أوْ ثُلْـــثٍ لَـــهُ يُكَمَّـــلُ

وَمَـــعْ كِلَيْهِمَـــا فَثُلْـــثُ التَّـــالِي

أوْ قَسْمُـــهُ أوْ سُدْسُ كُـــلِّ المَـــالِ

وَالأخُ لِـــلأبِ عَلَيْـــهِ يُحْسَـــبُ

وَلِلشَّقِيـــقِ مَـــا لِـــذَاكَ يُنْسَـــبُ

فَإنْ يَكُـــنْ شَقِيقَتَـــانِ أوْ شَقِيـــقْ

فَمَا لِذِي أبٍ إلَى الإرْثِ طَرِيـــقْ

فَإنْ تَكُـــنْ شَقِيقَـــةٌ فَـــإنْ تَلَـــتْ

أخْـــتٌ فَمِنْ نَيْلِ التُّرَاثِ حُظِلَـــتْ

وَإنْ تَـــلاَ أخٌ أوْ أخْتَـــانِ فَمَـــا

فَوْقُ فَالبَاقِي عَلَى النِّصْفِ أُحْكُمَـــا

وَقَاسَمَتْـــهُ الأخْـــتُ فِي البَقِيَّـــهْ

إلاَّ الَّـــتِي تُـــدْعَى بِالأكْدَرِيَّـــــهْ

زَوْجٌ وَجَـــدٌّ أمٌّ أخْـــتٌ لأبِ

فَالنِّصْفُ لِلزَّوْجِ وَجَـــدٌّ قَدْ حُـــبِي

بِالسُّـــدْسِ وَالثُّلْثُ لِـــلأمِّ كَمُـــلاَ

ثُمَّ أعِـــلْ لِلأخْـــتِ نِصفَ الْمَسْألاَ

وَاجْمَعْ سِهَامَ الْجَدِّ وَالأخْتِ مَعَـــا

وَأعْطِـــهِ ثُلْثَيْـــنِ مِمَّـــا اجْتَمَعَـــا

أبٌ يَكُـــونُ عَاصِبـــاً إذَا انْفَـــرَدْ

وَافْرُضْ لَهُ سُدْساً إذَا كَانَ الوَلَـــدْ

وَمَـــعْ ذَوِي السِّهَـــامِ بِالْوَجْهَيْـــنِ

الْفَــرْضِ وَالتَّعْصِيــبِ دُونَ مَيْـــنِ

أَفْرُضْ لِخُنْثَى مُشْكِلٍ نِصْفَ الذَّكَرْ

وَنِصْفَ حَظِّ امْــرَأَةٍ بِــلاَ حَــذَرْ

وَحَيْثُمَـــا الإِشْكَالُ عَنْـــهُ ذَهَبَـــا

فَانْسُبْـــهُ لِلَّـــذِي عَلَيْـــهِ غَلَبَـــا

لِعَاصِـــبٍ إِرْثُ الْـــوَلاَءِ يَحْصُـــلُ

وَلَيْـــسَ فِيـــهِ لِلإِنَـــاثِ مَدْخَـــلُ

إِلاَّ بِعِتْـــقٍ أَوْ بِجَـــرٍّ وَحَجَـــبْ

مَنْ يَرِثُ الْوَلاَءَ عَاصِبُ النَّسَـــبْ

وَهْوَ لأَدْنَى النَّـــاسِ بِالَّـــذْ أَعْتَقَـــا

يَـــوْمَ يَمُـــوتُ مُعْتَـــقٌ مُحَقَّقَـــا

لِمُعْتِـــقٍ ثُـــمَّ ابْنِـــهِ ثُـــمَّ الأَبِ

ثُـــمَّ الأَخِ الشَّقِيـــقِ ثُمَّ ذِي الأَبِ

ثُـــمَّ ابْنِ ذَاكَ فَابْـــنِ ذَا فَالْجَـــدِّ

فَالْعَـــمِّ فَابْنِـــهِ بِغَيْـــرِ حَـــدِّ

وَهَاهُنَـــا انْتَـــهَى بِنَـــا الْمَقَـــالُ

فِي الفِقْـــهِ ثُمَّ بَعْـــدَهُ الأَعْمَـــالُ

*****

ثالثاً ـ متن الأخضري في العبادات:

وضع **الأخضري** هذا المختصر ـ نثراً ـ في فقه العبادات على مذهب الإمام **مالك بن أنس**. وقد طبع عدة مرات: منها طبعة **الجزائر**، وطبعة **مصر**؛ التي شرحها **عبد اللطيف بن المسبح المرداسي القسنطيني** (توفي سنة 980هـ/1572م.)، ثم طبعة أخرى صححها وراجعها الشيخ **حبيب الله الشنقيطي المالكي**؛ برعاية المكتبة المحمدية **بالقاهرة**، والمكتبة الأهلية بواد مدني **بالسودان**؛ وقد حظيت بالحصول على نسخة **ابن المسبح**، ونسخة **الشنقيطي**.

هذا؛ وقد قمت بإعداد بعض التعاليق والإحالات الضرورية؛ أضفتها في هوامش ما

أثبته ـ هنا ـ من متن **الأخضري**؛ بغرض الزيادة في التوضيع، وسهولة الطرح؛ فأرجوا من الله أن تفيد القارئ الكريم؛ كما ألتمس العذر عن كل تقصير ظهر فيها.

المهم؛ أن **الأخضري** بدأ مختصره في العبادات هذا ـ المعنون بـ**"متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك بن أنس"** ـ بفقرات استهلها في البداية بعنوان مصغر؛ جاء فيه: **(أَوَّلُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ)**[1] ثم ختمه بـ**"باب السهو"** الذي توسع فيه بعض الشيء.[2] ومن خلال ما جاء في متن العبادات هذا يتبين

---

[1] المكلف بالشيء: المولع به. والمقصود ـ هنا ـ هو الإنسان العاقل البالغ؛ بحيث يستطيع التمييز والنظر. وهو المكلف بالصلاة والصوم والعبادات كافة، والمعني بترك المحرمات كـ: الزنا والسرقة وأكل السحت وغيره.

[2] السهو: نسيان الشيء والغفلة عنه.

أن **الأخضري** لم يتمكن من إكماله. وآخر ما جاء في المتن هذا هو: **سهو الإمام**. وقد تضمن **متن الأخضري** عدة فصول صغيرة؛ هي:

1 ـ فصل في مبحث الإيمان:[1] استهله **الأخضري** بفقرات يحدد فيها الشروط الواجب توفرها في **المكلف**؛ لتصحيح إيمانه؛[2]

---

[1] في الإيمان: يقول تعالى: ((لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ؛ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلائِكَةِ وَالكِتَابِ وَالنَبِيِّينَ، وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَكَاةَ، وَالمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي البَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ البَأْسِ؛ أُولَئِكَ الذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ المُتَقُونَ)). سورة البقرة، الآية: 177. وَالبِرُّ هنا يعني: الصدق والطاعة والإيمان والعبادة والتُّقَى. وفي الحديث: ((عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بارزاً للناس؛ فأتاه رجل فقال: "يا رسول الله؛ ما الإيمان"؟ قال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر...))؛ إلى آخر الحديث. صحيح مسلم، ج: 1، ص ص: 161 ـ 162.

[2] يصحح المكلف إيمانه بـ: السعي لمعرفة الله بصفاته؛ وهي: الوجود: الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ)). سورة الزمر، الآية: 62. ويقول: ((أَفِي اللَّهِ شَكٌّ؟ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)). سورة إبراهيم، من الآية: 10. إذن فلا يمكن أن يتوهم

وتتلخص في الأعمال والواجبات؛ التالية: فلكي يصحح إيمانه؛ يتوجب عليه إدراك ما يلزمه لإصلاح فرض عينه[1] من: **طهارة وصلاة وصيام...** كما يتوجب عليه صيانة

صاحب العقل الراجح أن هذا الكون المحكم الترتيب؛ قد وجد بدون صانع له، أو ضابط لحركته وسننه. ثم القدم: إذ لا بد من التيقن بأن الله قديم قدم الأزل؛ فهو أول كل شيء وقبل أي شيء؛ لأنه لو لم يكن قديماً لاحتاج إلى محدث؛ ومحدثه يحتاج إلى محدث؛ وهكذا إلى ما لا نهاية؛ ؛ حتى يصل الأمر إلى المحدث القديم وهو الأول والأقدم؛ خالق كل شيء في هذا العالم؛ وهو الله. ثم البقاء: فهو الأزلي والأبدي الواحد الأحد والظاهر والباطن؛ ((لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه)). أنظر في هذا كتاب إحياء علوم الدين، ج: 1، ص: 184. ثم معرفة رسله الصادقين والأمناء، المبلغين لأمر الله ونهيه؛ والإيمان بهم وبرسالتهم الصادقة؛ لأن حاجة البشرية للأنبياء مثل حاجتها للأطباء: ((ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة، ويعرف صدق النبي بالمعجزة)). إحياء علوم الدين، ج: 2، ص: 6.

[1] الفرض: فرض عين، وفرض كفاية. وفرض عين هو ما ذكره الأخضري من: طهارة وصلاة وصيام .. إلخ، أما فرض كفاية: ((فهو كل علم لا يستغني عنه في قوام أمور الدنيا: كالطب ؛ إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب ؛ فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما. وهذه العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حَرِجَ أهْلُ البلدِ، وإذا قام بها واحد كفي وسقط الفرض عن الآخرين)). إحياء علوم الدين، ج: 1، ص: 28.

حدود الله،[1] والمحافظة عليها؛ بالالتزام بما يأمر به، والبعد عما ينهى عنه.[2] ثم يتكلم عن **"شروط التوبة"**[3] التي تستهل

---

[1] حدود الله: هي العقوبة التي يتوجب تنفيذها فيمن خالف أمر الله وأمر رسوله؛ وهي نوعان: عقوبة تنفذ في حق القاذف والزاني والسارق، وعقوبة تنفذ فيمن عصى وخالف ما أمر به الله من تحريم وتحليل. يقول سبحانه وتعالى: ((وَالنَاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ؛ وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ)). سورة التوبة، من الآية: **112**. ويقول: ((وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)). سورة النساء، الآية: **14**.

[2] ما ينهى عنه الله سبحانه وتعالى هو: ((قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ؛ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ؛ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ؛ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ؛ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيزَانَ بِالقِسْطِ؛ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا؛ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ؛ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)). سورة النساء، الآيات من: **151 إلى 153**.

[3] نقول: تاب الإنسان: أي رجع عن ذنبه وآب إلى الطاعة. ويقول سبحانه وتعالى: ((وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). سورة النور، من الآية: **31**. ثم يقول: ((فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ؛ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). سورة المائدة، الآية: **39**. وفي الحديث: ((قال أبو هريرة: سمعت رسول الله صلى عليه

بالندم على ما فات من خطايا، وإبداء النية في عدم العودة لارتكاب الذنوب، وترك المعصية[1] في الحين؛ لأن التوبة لا يجوز تأجيلها.[2] ثم يتكلم عن ضرورة

وسلم يقول: والله إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم أكثر من سبعين مرة)). صحيح البخاري، ج: 7، ص: 145.

[1] نقول: عَصَاهُ عَصْياً وَعِصْيَاناً وَمَعْصِيَة فهُوَ عَاصٍ وَعَصِيٌّ؛ جَمْعُ عُصَاة: أي خالف أمره ولم يطعه. قال الله تعالى: ((وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ)). سورة النساء، الآية: 14. ويقول: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ؛ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)). سورة الحجرات، من الآية: 7. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ؛ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 120.

[2] قال تعالى: ((فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ؛ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)). سورة المائدة، الآية: 39. ويقول: ((إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً؛ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ؛ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً. وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً)). سورة الفرقان، الآيتين: 70 ـ 71. وكتب الإمام الحافظ النووي: ((قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب؛ فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى؛ لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط: أحدها أن يقلع عن المعصية [أي يكف عنها فوراً]، والثاني أن يندم على فعلها، والثالث أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً؛ فإن [غاب] أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة؛ هذه الثلاثة؛ وأن يبرأ من

حفظ اللسان[1] [وهو صيانته من كل ما يشينه من قول منكر] أو النطق **بفاحش**،[2]

حق صاحبها؛ فإن كانت مالاً أو نحوه رد إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب؛ فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي)). رياض الصالحين، ص: 6.

[1] يقول سبحانه وتعالى: ((فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَولاً سَدِيداً)). سورة النساء، من الآية: 9. ويقول: ((مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)). سورة النساء، الآية: 46. وفي الحديث: ((عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ يَنْزِلُ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ)). صحيح مسلم، ج: 18، ص: 117. وقال عليه السلام أيضاً: ((امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ)). سنن الترميذي، ج: 4، ص: 31. وهو حديث حسن. وسأل سفيان بن عبد الله الثقفي رسول الله صلى اللته عليه وسلم فقال: ((يا رسول الله؛ ما أخوف ما تخاف علي؟ فاخذ بلسان نفسه ثم قال: "هذا)). سنن الترميذي، ج: 4، ص: 32. حديث حسن صحيح. يقول الإمام الغزالي: ((حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء، وإلزامه السكوت، وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن)). إحياء علوم الدين، ج: 3، ص: 39.

[2] الفاحش: القبيح من القول والفعل. وينهى سبحانه وتعالى عن الفواحش: ((وَلا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ؛ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ)). سورة الأنعام، من الآية: 151. وفي الحديث: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاَ أَحَدَ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ؛ وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا

ويجب عليه ـــ كما يقول ـــ حفظ لسانه من استسهال **أيمان الطلاق**[1] بغير مسوغ ضروري، ولابد أيضاً من الابتعاد عن إهانة الناس[2] قولاً وفعلاً، والامتناع عن

بطن؛ ولا أحد أحب إليه المدح من الله)). صحيح مسلم، ج: 17، ص: 77. وعن أنس: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه)). سنن الترمذي، ج: 3، ص: 225. و((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذي)). سنن الترمذي، ج: 3، ص: 236. حديث حسن. وعن عبد الله بن مسعود: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سباب المسلم فسوق وقتاله فسوق)). سنن الترمذي، ج: 4، ص: 132.

[1] يقول سبحانه وتعالى: ((ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم؛ أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس؛ والله سميع عليم)). سورة البقرة، الآية: 224. ((ولا تطع كل حلاف مهين)). سورة القلم، الآية 10. وفي الحديث عن أبي هريرة: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة)). سنن الترمذي، ج: 2، ص: 328.

[2] أهان الناس: استخف بهم واحتقرهم. وفي قوله تعالى: ((ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب؛ بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان؛ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)). سورة الحجرات، من الآية: 11. وفي قوله: ((لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم؛ وكان الله سميعاً عليماً)). سورة النساء، الآية 148.

ترويعهم وتخويفهم بدون حق شرعي.[1] كما يجب على المكلف أيضاً أن يغظ الطرف ويحفظ بصره من المشاهد المُحَرَّمَة.[2] ومطلوب أيضاً من المكلف أن يحفظ جوارحه كلها من الزيغ[3] والمعصية. وأن

[1] قال سبحانه وتعالى: ((وَسَيَعْلَمُ الذينَ ظلمُوا أيَّ مُنقلَبٍ ينقلبُون)). سورة الشعراء، من الآية: 227. وفي الحديث: ((أن رسول الله صلى اللته عليته وسلم قال: اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)). صحيح مسلم، ج: 16. وقال: ((المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 49.

[2] قال سبحانه وتعالى: ((قُلْ للمُؤمنينَ يَغُضُّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فرُوجَهُمْ؛ ذلكَ أزكى لهُمْ؛ إنَّ اللَّهَ خبيرٌ بمَا يَصْنَعُون)). سورة النور، الآية: 30. وفي الحديث؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله؛ فمن تركها خوفاً من الله أتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه)). إحياء علوم الدين، ج: 3، ص: 38.

[3] زَاغَ زَيْغاً وَزَيَغاناً: اعْوجَّ وَمَالَ، وَالزَّيْغُ: المَيْلُ عَنِ الحَقِّ وَالشَّكُّ فِيهِ. (القاموس). ويقول سبحانه وتعالى: ((هُوَ الذِي أنْزَلَ عليْكَ الكِتَابَ؛ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ؛ هُنَّ أمُّ الكِتَابِ؛ وَأخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ؛ فأمَّا الذينَ فِي قلوبِهِمْ زَيْغٌ فيَتَّبِعُونَ مَا تشَابَهَ مِنْهُ؛ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تأويلِهِ؛ وَمَا يَعْلَمُ تأويلَهُ إلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ؛ يَقولُونَ آمَنَّا بِهِ؛ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا؛ وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أولُوا الألبَابِ. رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قلوبَنَا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لنَا مِنْ لدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أنْتَ الوَهَّابُ)). سورة آل عمران، الآيتين: 7 ـ 8.

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛[1] ثم يعدد **الأخضري** بعض الصفات المخالفة للخلق الإسلامي ومقتضى الشرع:

((ويحرم عليه الكذب[2] [أي يحرم الكذب على المكلف]، **والغيبة** [أي التعرض

---

[1] يقول تعالى: ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ؛ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ؛ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ))، سورة آل عمران، الآية: 110 وفي الحديث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار؛ فتندلق أقتاب بطنه [أي أمعاؤه]؛ فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى؛ فيجتمع عليه أهل النار فيقولون: "يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟" فيقول: "بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه")). صحيح مسلم، ج: 18، ص: 118. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه؛ وذلك أضعف الإيمان)). صحيح مسلم، ج: 2، ص: 22.

[2] يقول الله سبحانه وتعالى: ((إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ؛ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ)). سورة النحل، الآية: 105. ويقول: ((وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ)). سورة الحج، من الآية: 30. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)). سورة الصف، الآيتين: 2. 3. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة)). الأخلاق والواجبات، ص: 62.

للناس بالطعن والإساءة في غيبتهم] **والنميمة**[1] [وهي الفعل المشين الذي يقوم به من يتحرش بالآخرين ليوقع بينهم الفتنة؛ بالخبث والكذب الناعم]، **والكِبْر والعُجْب**[2]

---

[1] في الغيبة يقول تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ؛ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ؛ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً؛ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ)). سورة الحجرات، الآية: 12. أما النميمة لغة؛ فنقول فيها: نَمَّ نَمّاً ونَميمَة ونميماً به ونم عليه: وَشَى: سَعَى بِهِ لِيُوقِعَ فِتْنَةً أَوْ وَحْشَةً. (القاموس). ويقول سبحانه وتعالى: ((هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ)). سورة القلم، الآية: 11. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يدخل الجنة نمام)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 228.

[2] يقول سبحانه وتعالى في الكبر: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)). سورة النساء، من الآية: 36. ويقول: ((لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ؛ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ)). سورة النحل، الآية: 23. ويقول: ((وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً؛ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً)). سورة الإسراء، الآية: 37. وفي الحديث: ((عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر)). رياض الصالحين، ص: 114. أما العُجْبُ: فهو الزهو والكبر. وقال الله سبحانه وتعالى في هذا: ((وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً؛ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)). ومعنى "لا تصعر خدك للناس": هو النهي عن إمالة الوجه عن رؤية الناس؛ من فرط التكبر والتهاون بهم. سورة لقمان، الآية: 18. ومن أمثلة العُجْب التي ذكرها الله في كتابه العزيز؛ مثال ذلك الرجل الذي ملكه العجب؛ عندما رأى جنته محفوفة بالأشجار؛ ومزدانة بمياهها الجارية؛ فقال لصاحبه: ((أَنَا أَكْثَرُ

[الكبر هو التجبر والعظمة والإثم العظيم؛ أما العُجْب فهو التكبر في زهو وتيه وتعاظم]، **والرياء والسَّمْعَة**[1] [الرِّياء والرِّءاء هو الفعل المقصود به إظهار صفات الخير

منكَ مَالاً وَأعَزُّ نفراً. وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لنفسِهِ؛ قَالَ: مَا أَظُنُّ أنْ تبيدَ هَذِهِ أَبَداً. وَمَا أظُنُّ السَّاعَةَ قائمَةً؛ وَلَئِنْ رُدِدْتُ إلى رَبِّي لأجِدَنَّ خَيْراً مِنهَا مُنقلباً. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نطفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً؟. لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي؛ وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أحَداً. وَلَوْلاَ إذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ: مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ؛ إنْ تَرَنِ أنَا أقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً. فَعَسَى رَبِّي أنْ يُؤتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلُ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ؛ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً. أوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً؛ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً. وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ؛ فَأصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا؛ وَيَقُولُ: يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أحَداً)). سورة الكهف، الآيات من: 32 إلى 42. وفي الحديث عن أبي هريرة: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 114.

[1] يقول سبحانه وتعالى في الرياء: ((يَا أيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأذَى؛ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؛ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ)). سورة البقرة، الآية، 264. وفي الحديث: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ يُسَمِّعْ يُسَمِّعُ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِ يُرَائِ اللَّهُ بِهِ)). أي من سَمَّعَ الناس بعمله بغرض الرياء؛ سَمَّعَ الله به وكشفه يوم القيامة. صحيح مسلم، ج: 18، ص: 116. وكل هذا يتفق مع ما سبق ذكره عن الرياء.

والصلاح لكي يراها الناس؛ بينما هي على خلاف الواقع]؛ أما **السَّمْعَة** [وَالسُّمْعَة: فهو التنويه بالعمل لِيُرَى وَيُسْمَع]، **والحسد والبغض** [فالحسد هو تمني زوال النعمة عن الآخرين؛ أما البغض فهو نقيض الحب، وهو الشنآن والكراهية والمقت والعداء]، **ورؤية الفضل على الغير** [أي ظهور الحسد والبغض عند رؤية علامات الفضل على الآخرين] **والهمز واللمز**[1] [الهمز

[1] يقول سبحانه وتعالى في الحسد: ((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)). سورة الفلق. وفي الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: ((ليس مني ذو حسد)). الأخلاق والواجبات، ص: 158. وقوله عليه الصلاة والسلام: ((الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب)). الأخلاق والواجبات، ص: 158. وقال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن يغبط والمنافق يحسد)). الأخلاق والواجبات، ص: 159. ويقول سبحانه وتعالى في البغض والشنئان: ((إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)). سورة الكوثر، الآية: 3. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ؛ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا؛ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَاتَّقُوا اللَّهَ؛ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)). سورة المائدة، الآية: 8. وفي الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تباغضوا ولا

واللمز لهما معنى واحد تقريباً؛ غير أن الهمز هو الفعل المؤذي في غياب المتأذى، أما اللمز فهو الفعل المؤذي في حضور المتضرر؛ ويكون في الغالب الهمز بالعين، أما اللمز فباللسان.] **والعبث والسخرية**[1] [العبث هو الأمر الذي لا فائدة فيه؛ أما السخرية فهي الاستهزاء بالآخر]، **والزِّنا**

تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا؛ وكونوا عباد الله إخواناً؛ ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 234. ويقول الله تعالى: ((وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ)). سورة الهمزة، الآية: 1. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)). الأخلاق والواجبات، ص: 163. ويقول: ((إن أبغضكم إلى الله المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان، الملتمسون للبراء العثرات)). أي الباحثون عن عثرات وهفوات يوصمون بها الأبرياء. الأخلاق والواجبات، ص: 166.

[1] يقول الله تعالى: ((أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ. وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ)). سورة الشعراء، الآيتين: 128 ـ 129. ويقول: ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً، وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ)). سورة المؤمنون، الآية 115. ويقول تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ، وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ، وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ، وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ؛ بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ؛ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)). سورة الحجرات، الآية: 11.

[وهو إتيان المرأة من غير عقد شرعي] والنظر إلى الأجنبية والتلذذ بكلامها،[1] وأكل أموال الناس بغير طيب نفس[2] [أي بدون رضاهم في داخلهم] **والأكل بالشفاعة**

---

[1] يقول سبحانه وتعالى: ((وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى؛ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً)). سورة الإسراء، الآية: 32. يقول سبحانه وتعالى في ضرورة غض البصر: ((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)). سورة النور، الآية: 30. ويقول: ((إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً)). سورة الإسراء، من الآية: 36. ويقول: ((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)). سورة غافر، الآية: 19. ((إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)). سورة الفجر، الآية: 14. وفي الحديث: ((عن النبي r قال: إياكم والجلوس في الطرقات. قالوا: "يا رسول الله مالنا من مجالسنا بد نتحدث فيها". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه". قالوا: "وما حق الطريق يا رسول الله؟" قال: "غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي ع، المنكر")). حديث متفق عليه. رياض الصالحين، ص: 242.

[2] يقول سبحانه وتعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً؛ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً؛ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً)). سورة النساء، الآية: 10. ويقول: ((وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً. وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً)). سورة الفجر، الآيتين: 19 ـ 20. ويقول: ((سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ)). والسحت هنا هي الرشوة. سورة المائدة: من الآية: 42. ويقول: ((وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ؛ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)). سورة المائدة، الآية: 62.

أو بالدين[1] [أي أكل أموال الناس عن طريق الشَّفاعَةِ أو بسبب الدَّيْنِ]، **وتأخير الصلاة عن أوقاتها**[2] **ولا يحل له صحبة**

---

[1] الشفاعة: المطالبة بوسيلة أو ذمام؛ وهي الانضمام إلى آخر بغرض نصرته؛ على أن يتم انضمام من هو أعلى مقاماً لنصرة من هو أدنى منه؛ فيقولون شفع فلان في فلان. وما يقصده الأخضري هنا هو أكل أموال الناس في مقابل الشفاعة لهم، أو بدين يؤخذ من الغير بالضغط عليهم أو بربى. وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ((وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ، وَتُدْلُوا بِهَا إِلى الحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)). سورة البقرة، الآية: 188. ويقول: ((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا؛ لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً؛ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)). سورة آل عمران، الآية: 130.

[2] قال سبحانه وتعالى: ((فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّينَ. الذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ)). سورة الماعون، الآيتين: 4 ـ 5. ويقول: ((حَافِظُوا عَلى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ)). سورة البقرة، الآية: 238. ويقول: ((إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً)). سورة النساء، من الآية: 103. ويقول: ((إِنَّ المُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ؛ وَهُوَ خَادِعُهُمْ؛ وَإِذَا قَامُوا إِلى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً)). سورة النساء، الآية: 142. ويقول: ((إِلاَّ المُصَلِّينَ. الذِينَ هُمْ عَلى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ)). سورة المعارج، الآيتين: 22 ـ 23. وفي الحديث : ((عن ابن مسعود t قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم "أي الأعمال أفضل"؛ قال: "الصلاة على وقتها". قلت: "ثم أي"؛ قال: "بر الوالدين"؛ قلت: "ثم أي"؛ قال: "الجهاد في سبيل الله")). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 174.

فاسق ولا مجالسته لغير ضرورة[1] ولا يطلب رضا المخلوقين بسخط الخالق؛ قال الله تعالى: "والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين"[2] وقال عليه الصلاة والسلام: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"،[3] ولا يحل له أن يفعل فعلا حتى

---

[1] يقول سبحانه وتعالى: ((وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ: أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا؛ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ؛ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ؛ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً)). سورة النساء، الآية: 140. ويقول: ((وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ؛ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)). سورة الأنعام، الآية: 68. وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم في مجالسة أهل الصلاح والإعراض عن أصحاب السوء: ((إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء؛ كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إمَّا أن يُحْذِيَكَ [أي يعطيك]، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة؛ ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة)). صحيح مسلم، ج: 16، ص: 178.

[2] الآية كاملة هكذا: ((يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ)). سورة التوبة، الآية: 62.

[3] وجاء هذا الحديث أيضاً هكذا: ((لا طاعة في معصية الله؛ إنما الطاعة في المعروف)). صحيح مسلم، ج: 12، ص: 227. ومعالم السنن، ج: 2، ص: 266. وورد أيضاً: ((عن النبي صلى اللع عليه وسلم قال: على المرء

يعلم حكم الله فيه ويسأل العلماء ويقتدي بالمتبعين لسنة محمد صلى الله عليه وسلم؛ الذين يَدُلُّونَ على طاعة الله ويحذرون من إتباع الشيطان، ولا يرض لنفسه ما رضيه المفلسون[1] الذين ضاعت أعمارهم في غير طاعة الله تعالى؛ فيا حسرتهم، ويا طول بكائهم يوم القيامة. نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لإتباع سنة نبينا وشفيعنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية؛ فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)). حديث متفق عليه، رياض الصالحين، ص: 120.

[1] المفلس هو كما قال رسول الله r لأصحابه: (("أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟" قالُوا: "الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ" فقَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ؛ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا؛ فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ؛ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ؛ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)). صحيح مسلم، ج: 16، ص ص: 135 ـ 136.

2 ـ فصل في الطهارة: ويبدأه **الأخضري** بتقسيم الطهارة إلى قسمين: طهارة حدث، وطهارة خبث؛ وإزالتهما لا تصح إلا بالماء الطاهر المطهر؛ ويصفه بقوله: **((وهو الذي لم يتغير لونه أو طعمه أو رائحته؛ بما يفارقه غالباً كالزيت والسمن والدسم كله والوذح[1] والصابون والوسخ ونحوه؛ ولا بأس بالتراب والحمأة والسبخة والآجر ونحوه)).**

ويتكلم بعد ذلك **الأخضري** في موضوع **النجاسة** وشروط إزالتها. ثم يدخل في موضوع **الوضوء** وفرائضه السبع، وسننه، وفضائله. وبعدها يشير إلى **نواقض**

---

[1] الوذح: هو كل ما علق في أصواف الغنم من بَعْرٍ وبَوْلٍ.

الوضـــوء بأحداثهـــا وأسبابهـــا. ثـــم يحـــذر مـــن القيـــام ببعـــض الأعمـــال دون وضـــوء؛ مثـــل **الصـــلاة والطـــواف ومـــس نســـخ القـــرآن** إلا في حـــال التعليـــم. ثـــم يتطـــرق لموضـــوع **الغســـل** بفرائضـــه وسننـــه وفضائلـــه؛ ويقـــول بأنـــه مطلـــوب في ثـــلاث حـــالات: **الجنابـــة والحيـــض والنفـــاس.** وكذلـــك **التيمـــم** بفرائضـــه وسننـــه ونواقضـــه الـــتي قـــال فيهـــا: **((كالوضـــوء؛ ولا تصـــلى فريضتـــان بتيمـــم واحـــد؛ ومـــن تيمـــم لفريضـــة جـــاز لـــه النوافـــل بعدهـــا، ومـــس المصحـــف والطـــواف والتـــلاوة؛ إن نـــوى ذلـــك، واتصلـــت بالصـــلاة؛ ولـــم يخـــرج الوقـــت، وجـــاز بتيمـــم النافلـــة كـــل مـــا ذكـــر إلا الفريضـــة، ومـــن صـــلى العشـــاء بتيمـــم قـــام للشفـــع والوتـــر بعدهـــا مـــن غيـــر تأخيـــر.**

ومـــن تيمـــم مـــن جنابـــة فـــلا بـــد مـــن نيتهـــا)).

3 ــ فصــل في الحيــــض: وبعــــد أن صنــــف **الأخضــري** النســاء ــ في هـــذا البـــاب ــ إلى **مبتــدأة ومعتــادة وحامــــل،** وبعـــد تقديـــره للأيــام الــتي تتعــرض فيهــا النســـاء للحيـــض؛ يقــول: **((ولا يحــل للحائــض صــلاة ولا صـــوم ولا طــواف ولا مـــس مصحـــف ولا دخـــول مسجــد؛ وعليهــا قضــاء الصــوم دون الصــلاة، وقراءتمــا جائــزة، ولا يحــل لزوجهــا فرجهــا ولا مــا بيـــن سرتمــا وركبتيهــا حــتى تغتســـل))**.

4 ــ فصــل في النفــاس: ويـــرى أنـــه شبيـــه بالحيــض فيمــا يجــري عليــه؛ وقــد تصــل أيــام المنــع فيــه إلى ستيــن يومــــاً تقريبــــاً: **((فـــإن**

انقطع الدم قبلها ــ ولو في يوم الولادة اغتسلت وصلت؛ فإذا عاودها الدم؛ فإن كان بينهما خمسة عشر يوماً فأكثر؛ فأكثره كان الثاني حيضاً؛ وإلاّ ضم إلى الأول؛ وكان من تمام النفاس)).

ثم ينتقل **الأخضري** ــ بعد ذلك ــ إلى مواضيع عديدة معنونة بالفصول التالية: **الأوقات، وشروط الصلاة، وفرائض الصلاة، وسنن الصلاة، وفضائل الصلاة،** وفي الأخير **باب السهو**؛ الذي يشمل حالات: **الوسوسة والشك والسهو، والضحك في الصلاة، والالتفات، والغلط في الصلاة، والنوم في الصلاة، وسجود السهو، وإذا زاد المصلي في الصلاة أو أنقص منها،**

والسهـــو في صـــلاة القضـــاء، وأخيـــراً سهـــو الإمـــام.

5 ـ (فصـــل في الأوقـــات): الوقـــت المختـــار للظهـــر مـــن زوال الشمـــس إلى آخـــر القامـــة، والمختـــار للعصـــر مـــن القامـــة إلى الاصفـــرار، وضروريهمـــا إلى الغـــروب، والمختـــار للمغـــرب قـــدر مـــا تصـــلى فيـــه بعـــد شروطهـــا، والمختـــار للعشـــاء مـــن بغيـــب الشفـــق إلى ثلـــث الليـــل الأول، وضروريهمـــا إلى طلـــوع الفجـــر، والمختـــار للصبـــح مـــن الفجـــر إلى الإسفـــار الأعـــلى، وضروريـــه إلى طلـــوع الشمـــس، والقضـــاء في الجميـــع مـــا وراء ذلـــك، ومـــن أخـــر الصـــلاة حـــتى خـــرج وقتهـــا؛ فعليـــه ذنـــب عظيـــم إلاّ أن يكـــون ناسيـــاً، أو نائمـــاً؛ ولا تصـــلى نافلـــة بعـــد صـــلاة الصبـــح إلى ارتفـــاع الشمـــس، وبعـــد

صلاة العصر إلى صلاة المغرب، وبعد طلوع الفجر؛ إلاّ الورد لنائم عنه، وعند جلوس إمام الجمعة على المنبر، وبعد الجمعة حتى يخرج من المسجد.

6 ـ (فصل في شروط الصلاة): وشروط الصلاة: **طهارة الحدث**، وطهارة الخبث من: **البدن، والثوب، والمكان، وستر العورة**، واستقبال **القبلة، وترك الكلام، وترك الأفعال الكثيرة**، وعورة الرجل ما بين السرة والركبة، والمرأة كلها عورة؛ ما عدا الوجه والكفين؛ وتكره الصلاة في السراويل؛ إلاّ إذا كان فوقها شيء؛ ومن تنجس ثوبه ولم يجد ثوباً غيره، ولم يجد ماء يغسله به، أو لم يكن عنده ما يلبس حتى يغسله وخاف خروج الوقت

صلى بنجاسته؛ ولا يحل تأخير الصلاة لعدم الطهارة؛ ومن فعل ذلك فقد عصى ربه؛ ومن لم يجد ما يستر به عورته صلى عرياناً، ومن أخطأ القبلة أعاد في الوقت؛ وكل إعادة في الوقت فهي فضيلة، وكل ما تعاد منه الصلاة في الوقت فلا تعاد منه الفائتة والنافلة.

7 ـ (فصل): فرائض الصلاة: **نية الصلاة المعينة، وتكبيرة الإحرام، والقيام لها، والفاتحة، والقيام لها، والركوع، والرفع منه، والسجود على الجبهة، والرفع منه، والاعتدال، والطمأنينة، والترتيب بين فرائضها، السلام وجلوسه الذي يقارنه.**

ـ **(وشرط):** النية مقارنتها لتكبيرة الإحرام.

ـ **(وسننها): الإقامة، والسورة التي بعد الفاتحة، والقيام لها، والسر فيما يسر فيه، والجهر فيما يجهر فيه، وسمع الله لمن حمده،** وكل تكبيرة سنة؛ إلاّ الأولى، **والتشهدان، والجلوس لهما، وتقديم الفاتحة على السورة، والتسليمة الثانية والثالثة للمأموم، والجهر بالتسليمة الواجبة، والصلاة على رسول الله ‌r، والسجود على الأنف، والكفين، والركبتين، وأطراف القدمين، والسترة لغير المأموم**، وأقلها غلظ رمح، وطول ذراع طاهر ثابت غير مشوش.

ـ **(وفضائلها)**: رفع اليدين عند الإحرام حتى تقابلا الأذنين، وقول المأموم والفذّ: ربنا ولك الحمد، والتأمين بعد الفاتحة للفذ والمأموم، ولا يقولها الإمام، إلاّ في قراءة

السر، والتسبيح في الركوع، والدعاء في السجود، وتطويل القراءة في الصبح والظهر، تليها، وتقصيرها في العصر والمغرب، وتوسطها في العشاء؛ وتكون السورة الأولى قبل الثانية وأطول منها، والهيئة المعلومة في الركوع، والسجود، والجلوس، والقنوت سراً قبل الركوع، والدعاء بعد التشهد الثاني أطول من الأول، والتيامن بالسلام، وتحريك السبابة في التشهد؛ ويكره الإلتفات في الصلاة، وتغميض العينين، والبسملة، والتعوذ في الفريضة، ويجوزان في النفل؛ والوقوف على رجل واحدة؛ إلاّ أن يطول قيامه واقتران رجليه، وجعل درهم أو غيره في فمه، وكذلك كل ما يشوشه في جيبه، أو كمه، أو على ظهره، والتفكر في أمور

الدنيا، وكل ما يشغله عن الخشوع في الصلاة.

8 ـ (فصل): للصلاة نور عظيم تشرق في قلوب المصلين؛ ولا يناله إلا الخاشعون؛ فإذا أتيت إلى الصلاة ففرغ قلبك من الدنيا وما فيها، واشتغل بمراقبة مولاك؛ الذي تصلي لوجهه، واعتقد أن الصلاة خشوع وتواضع لله سبحانه؛ بالقيام والركوع، والسجود، وإجلال وتعظيم له؛ بالتكبير، والتسبيح، والذكر؛ فحافظ على صلاتك؛ فإنها أعظم العبادات؛ ولا تترك الشيطان يلعب بقلبك، ويشغلك عن صلاتك؛ حتى يطمس قلبك، ويحرمك من لذة أنوار الصلاة؛ فعليك بدوام الخشوع فيها؛ فإنها

تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ بسبب الخشوع فيها؛ فاستعن بالله إنه خير مستعان.

9 ـ (فصل): للصلاة المفروضة سبعة أحوال مرتبة؛ تؤدى عليها أربعة؛ منها على الوجوب، وثلاثة على الاستحباب: أولها القيام بغير إسناد، ثم القيام بإسناد، ثم الجلوس بغير إسناد، ثم الجلوس بإسناد؛ فالترتيب بين هذه الأربعة؛ على الوجوب إذا قدر على حالة منها، وصلى بحالة دونها؛ بطلت صلاته؛ والثلاثة التي على الاستحباب هي: أن يصلي العاجز عن هذه الثلاثة المذكورة على جنبه الأيمن، ثم على الأيسر، ثم على ظهره؛ فإن خالف في الثلاثة؛ لم تبطل صلاته؛ والاستناد الذي تبطل به صلاة القادر على تركه؛ هو

الذي يسقط بسقوطه؛ وإن كان لا يسقط بسقوطه فهو مكروه؛ وأما النافلة فيجوز للقادر على القيام أن يصليها جالساً؛ وله نصف أجر القائم؛ ويجوز أن يدخلها جالساً؛ ويقوم بعد ذلك، أو يدخلها قائماً ويجلس بعد ذلك؛ إلاّ أن يدخلها بنية القيام فيها؛ فيمتنع جلوسه بعد ذلك.

10 ـ (فصل): يجب قضاء ما في الذمة من الصلوات؛ ولا يحل التفريط فيها؛ ومن صلى كل يوم خمسة أيام؛ فليس بمفرط؛ ويقضيها على نحو ما فاتته؛ إن كانت حضرية قضاها حضرية، وإن كانت سفرية قضاها سفرية؛ سواء كان حين القضاء في حضر أو في سفر؛ والترتيب بين الحاضرتين وبين يسير الفوائت مع الحاضرة

واجب مع الذكر؛ واليسير أربع صلوات فأدنى؛ ومن كانت عليه أربع صلوات فأقل؛ صلاها قبل الحاضرة؛ ولو خرج وقتها ويجوز القضاء في كل وقت؛ ولا يتنفل من عليه القضاء؛ ولا يصلي الضحى، ولا قيام رمضان، ولا يجوز له إلاّ الشفع، والوتر، والفجر، والعيدان، والخسوف، والاستسقاء؛ ويجوز لمن عليهم القضاء أن يصلوا جماعة إذا استوت صلاتهم؛ ومن نسي عدد ما عليه من القضاء صلى عدداً لا يبقى معه شك.

11 ـ (باب في السهو): وسجود السهو في الصلاة سنة.

ـ فلنقصان سجدتان قبل السلام، بعد تمام التشهدين، يزيد بعدهما تشهداً آخر.

ـ وللزيادة سجدتان بعد السلام، يتشهد بعدهما، ويسلم تسليمة أخرى.

ـ ومن نقص وزاد؛ سجد قبل السلام.

ـ ومن نسي السجود القبلي حتى سلم؛ سجد إن كان قريباً؛ وإن طال أو خرج من المسجد؛ بطل السجود، وتبطل الصلاة معه إن كان على ثلاث سُنَنٍ أو أكثر من ذلك؛ وإلاّ فلا تبطل.

ـ ومن نسي السجود البعدي سجده ولو بعد عام.

ـ ومن نقص فريضة فلا يجزيه السجود عنها.

ـ ومن نقص الفضائل؛ فلا سجود عليه.

ـ ولا يكون القبلي إلا لترك سنتين فأكثر.

ـ وأما السنة الواحدة فلا سجود لها؛ إلاّ السر والجهر؛ فمن أسر في الجهر سجد قبل السلام، ومن جهر في السر سجد بعد السلام.

ـ ومن تكلم ساهياً سجد بعد السلام.

ـ ومن سلم من ركعتين ساهياً سجد بعد السلام.

ـ ومن زاد في الصلاة ركعة أو ركعتين سجد بعد السلام، ومن زاد في الصلاة مثلها بطلت.

ـ ومن شك في كمال صلاته أتى بما شك فيه؛ والشك في النقصان كتحققه؛ فمن شك في ركعة أو سجدة أتى بها وسجد بعد السلام.

ـ وإن شك في السلام سلم إن كان قريباً ولا سجود عليه، وإن طال بطلت صلاته.

ـ والموسوس يترك الوسوسة من قلبه، ولا يأتي بما شك فيه؛ ولكن يسجد بعد السلام؛ سواء شك في زيادة أو نقصان.

ـ ومن جهر في القنوت فلا سجود عليه؛ ولكنه يكره عمده.

ـ ومن زاد في السورة في الركعتين الأخيرتين فلا سجود عليه.

ـ ومن سمع ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ـ وهو في الصلاة ـ فصلى عليه فلا شيء عليه؛ سواء كان ساهياً، أو عامداً، أو قائماً، أو جالساً.

ـ ومن قرأ سورتين فأكثر في ركعة واحدة، أو خرج من سورة إلى سورة، أو ركع قبل تمام السورة فلا شيء عليه في جمع ذلك.

ـ ومن أشار في صلاته بيده أو رأسه فلا شيء عليه.

ـ ومن كرر الفاتحة ساهياً سجد بعد السلام؛ وإن كان عامداً فالظاهر البطلان.

ـ ومن تذكر السورة بعد انحنائه إلى الركوع فلا يرجع إليها.

ـ ومن تذكر السر أو الجهر قبل الركوع أعاد القراءة؛ فإن كان ذلك في السورة وحدها أعادها ولا سجود عليه؛ وإن كان في الفاتحة أعادها وسجد بعد السلام، وإن فات بالركوع سجد؛ لترك الجهر قبل

السلام، ولترك السر بعد السلام؛ سواء كان من الفاتحة أو السورة وحدها.

ـ ومن ضحك في الصلاة بطلت؛ سواء كان ساهياً أو عامداً؛ ولا يضحك في صلاته إلاّ غافل متلاعب؛ والمؤمن إذا قام للصلاة أعرض بقلبه عن كل ما سوى الله سبحانه، وترك الدنيا وما فيها؛ حتى يحضر بقلبه جلال الله سبحانه وعظمته، ويرتعد قلبه، وترهب نفسه من هيبة الله جل جلاله؛ فهذه صلاة المتقين؛ ولا شيء عليه في التبسم.

ـ وبكاء الخاشع في الصلاة مغتفر.

ـ ومن أنصت لمتحدث قليلاً فلا شيء عليه.

ـ ومن قام من ركعتين ـ قبل الجلوس ـ فإن تذكر قبل أن يفارق الأرض بيديه وركبتيه؛ رجع إلى الجلوس ولا سجود عليه؛ وإن فارقها تمادى ولم يرجع وسجد قبل السلام؛ وإن رجع بعد المفارقة، وبعد القيام ساهياً، أو عامداً صحت صلاته وسجد بعد السلام.

ـ ومن نفخ في صلاته ساهياً سجد بعد السلام، وإن كان عامداً بطلت صلاته.

ـ ومن عطس في صلاته فلا يشتغل بالحمد، ولا يرد على من شمته، ولا يشمت عاطساً؛ فإن حمد الله فلا شيء عليه.

ـ ومن تثاءب في الصلاة سد فاه.

ـ ولا ينفث إلاّ في ثوبه من غير إخراج حروف.

ـ ومن شك في حدث أو نجاسة؛ فتفكر في صلاته قليلاً، ثم تيقن الطهارة فلا شيء عليه.

ـ ومن التفت في الصلاة ساهياً فلا شيء عليه؛ وإن تعمد فهو مكروه.

ـ وإن استدبر القبلة قطع الصلاة.

ـ ومن صلى بحرير أو ذهب، أو سرق في الصلاة، أو نظر محرماً؛ فهو عاص، وصلاته صحيحة.

ـ ومن غلط في القراءة بكلمة من غير القرآن سجد بعد السلام، وإن كانت من القرآن فلا سجود عليه؛ إلاّ أن يتغير اللفظ، أو يفسد المعنى؛ فيسجد بعد السلام.

ـ ومن نعس في الصلاة فلا سجود عليه، وإن ثقل نومه أعاد الصلاة والوضوء.
ـ وأنين المريض مغتفر، والتنحنح للضرورة مغتفر، وللإفهام منكر؛ ولا تبطل الصلاة به.
ـ ومن ناداه أحد؛ فقال له: سبحان الله؛ كره وصحت صلاته.
ـ ومن وقف في القراءة ولم يفتح عليه أحد؛ ترك تلك الآية وقرأ ما بعدها؛ فإن تعذرت عليه ركع؛ ولا ينظر مصحفاً بين يديه؛ إلاّ أن يكون في الفاتحة؛ فلا بدّ من كمالها بمصحف، أو غيره؛ فإن ترك منها آية سجد قبل السلام، وإن كان أكثر بطلت صلاته، ومن فتح على غير إمامه بطلت صلاته؛ لا يفتح على إمامه إلاّ أن ينتظر الفتح، أو يفسد المعنى.

ـ ومن جال فكره قليلاً في أمور الدنيا نقص ثوابه ولم تبطل صلاته.

ـ ومن دفع الماشي بين يديه، أو سجد على شق جبهته، أو سجد على طية أو طيتين من عمامته؛ فلا شيء عليه.

ـ ولا شيء في غلبة القيء، والقلس في الصلاة.

ـ وسهو المأموم يحمله الإمام؛ إلاّ أن يكون من نقص الفريضة.

ـ وإذا سها المأموم، أو نعس، أو زوحم عن الركوع ـ وهو في غير الأولى ـ فإنْ طمع في إدراك الإمام قبل رفعه من السجدة الثانية؛ ركع ولحقه؛ وإن لم يطمع ترك الركوع وتبع إمامه، وقضى ركعة في موضعها بعد سلام إمامه.

ـ وإن سها عن السجود، أو زوحم، أو نعس حتى قام الإمام إلى ركعة أخرى سجد؛ إن طمع في إدراك الإمام قبل عقد الركوع؛ وإلاّ تركه وتبع الإمام، وقضى ركعة أخرى أيضاً؛ وحيث قضى الركعة فلا سجود عليه؛ إلاّ أن يكون شاكاً في الركوع، أو السجود.

ـ ومن جاءته عقرب، أو حية فقتلها؛ فلا شيء عليه؛ إلاّ أن يطول فعله، أو يستدبر القبلة؛ فإنه يقطع.

ـ ومن شك: هل هو في الوتر، أو في ثانية الشفع؛ جعلها ثانية الشفع وسجد بعد السلام، ثم أوتر.

ـ ومن تكلم بين الشفع والوتر ساهياً؛ فلا شيء عليه، وإن كان عامداً؛ كره ولا شيء عليه.

ـ والمسبوق إن أدرك مع الإمام أقل من ركعة؛ فلا يسجد معه لا قبلياً ولا بعدياً؛ فإن سجد معه بطلت صلاته، وإن أدرك ركعة كاملة، أو أكثر سجد معه القبلي، وأخر البعدي حتى يتم صلاته؛ فيسجد بعد سلامه، فإن سجد مع الإمام عامداً؛ بطلت صلاته، وإن كان ساهياً سجد بعد السلام.

ـ وإن سها المسبوق بعد سلام الإمام؛ فهو كالمصلي وحده.

ـ وإذا ترتب على المسبوق بعدي من جهة إمامه، وقبلي من جهة نفسه؛ أجزأه القبلي.

ـ ومن نسي الركوع وتذكره في السجود؛ رجع قائماً، ويستحب له أن يعيد شيئاً من القراءة، ثم يركع ويسجد بعد السلام.

ـ ومن نسي سجدة واحدة وتذكرها بعد قيامه؛ رجع جالساً، وسجدها؛ إلاّ أن يكون قد جلس قبل القيام؛ فلا يعيد الجلوس.

ـ ومن نسي سجدتين؛ خر ساجداً؛ ولم يجلس، ويسجد في جميع ذلك بعد السلام.

ـ وإن تذكر السجود ـ بعد رفع رأسه من الركعة التي تليها ـ تمادى على صلاته، ولم يرجع، وألغى ركعة السهو، وزاد ركعة في موضعها بانياً، وسجد قبل السلام.

ـ إن كانت من الأوليين، وتذكر بعد عقد الثالثة، وبعد السلام؛ إن لم تكن من الأوليين، أو كانت منهما وتذكر قبل عقد الثالثة؛ لأن السورة والجلوس لم يفوتا.

ـ ومن سلم شاكاً في كمال صلاته؛ بطلت صلاته.

ـ والسهو في صلاة القضاء كالسهو في صلاة الأداء.

ـ والسهو في النافلة كالسهو في الفريضة؛ إلاّ في ست مسائل: **الفاتحة، والسورة، والسر، والجهر، وزيادة ركعة، ونسيان بعض الأركان إن طال.**

ـ فمن نسي الفاتحة في النافلة وتذكر بعد الركوع تمادى وسجد قبل السلام؛ بخلاف الفريضة؛ فإنه يلغي تلك الركعة، ويزيد أخرى، ويتمادى، ويكون سجوده ـ كما ذكرنا ـ في تارك السجود.

ـ ومن نسي السورة، أو الجهر، أو السر في النافلة وتذكر بعد الركوع؛ تمادى ولا سجود عليه؛ بخلاف الفريضة.

ـ ومن قام إلى ثالثة في النافلة؛ فإن تذكر قبل عقد الركوع؛ رجع وسجد بعد السلام، وإن عقد الثالثة تمادى وزاد الرابعة وسجد قبل السلام؛ بخلاف الفريضة؛ فإنه يرجع متى ما ذكر، ويسجد بعد السلام.

ـ ومن نسي ركناً من النافلة ـ كالركوع أو السجود ـ ولم يتذكر حتى سلم وطال فلا إعادة عليه؛ بخلاف الفريضة؛ فإنه يعيدها أبداً.

ـ ومن قطع النافلة عامداً، أو ترك منها ركعة، أو سجدة عامداً؛ أعادها أبداً.

ـ ومن تنهد في صلاته فلا شيء عليه؛ إلاّ أن ينطق بحروف.

ـ وإذا زاد الإمام سجدة ثالثة؛ فسبح به، ولا تسجد معه.

ـ وإذا قام الإمام إلى خامسة؛ تبعه من تيقن موجبها، أو شك فيه، وجلس من تيقن زيادتها؛ فإن جلس الأول وقام الثاني بطلت صلاته.

ـ وإذا سلم الإمام قبل كمال الصلاة سبح به من خلفه؛ فإن صدقه كمل صلاته وسجد بعد السلام، وإن شك في خبره سأل عدلين، وجاز لهما الكلام في ذلك، وإن تيقن الكمال عمل على يقينه وترك العدلين؛ إلاّ أن يكثر الناس خلفه، فيترك يقينه ويرجع إليهم.

*****

رابعاً ــ منظومة القدسية:

وهي أرجوزة طويلة؛ يقول بعضهم: أنها **"أرجوزة في طبيعة النفس"** نظمها **الأخضري** سنة 944هـ/1537م؛ وعدد أبياتها 357 بيتاً؛[1] بينما يرى آخرون[2] أن أبياتها 346 بيتاً؛ وتعتني **"بآداب السلوك"**. أما المنظومة التي أملك نسخة منها؛ فأبياتها 345 بيتاً لا غير؛ وقد تفضل صديقي وأخي الشاعر الكبير **أبو القاسم خمار** بإعطائي نسخة منها؛ فله مني جزيل الشكر والامتنان. كما أمدتني ابنتي **دبابش اعتدال** ــ بعد إكمال هذه الدراسة ــ بنسخة مخطوطة من شرحٍ لقدسية **الأخضري**؛ أنجز الشرح الشيخ **الحسين بن أحمد زروق بن مصباح**[3]؛ ولكن شرحه لم يكتمل إلى نهاية القصيدة.

وقد شاعت أرجوزة **القدسية** وذاع صيتها بين طلاب العلم والمتصوفة؛ حتى غدت تدرس في معظم المعاهد والزوايا آنئذ؛ ووصل الحد ببعضهم إلى حفظها واستظهارها عن ظهر قلب. وهذه الأرجوزة تعالج موضوع التصوف والوعظ والإرشاد الديني والأخلاقي.

---

[1] يعتقد الدكتور سعد الله أنها هي نفسها المنظومة التي توجد في مكتبة ميونخ بألمانيا؛ ضمن مجموعة رقم: 929 ، وبالمتحف البريطاني. تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ص: 509، التعليق: 74.

[2] تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص: 80.

[3] يبدو أنه هو الذي أشار إليه الحسين الورثلاني في رحلته؛ وعده ضمن علماء زواوة.

وقد تناولت ـ كما يقال بالفعل ـ آداب السلوك.. سلوك أهل التصوف والمهتمين بشئون الدين؛ إذ تركز ـ خاصة ـ على نقد وفضح المتصوفة الزائفين، والمشعوذين الكاذبين، وأهل البدع الدجالين، المندسين في صفوف المتدينين. كما توجه النصح للمريدين وطلاب العلم لكي يلتزموا بالسلوك السوي في عبادتهم ومعاملتهم.

وقد حظيت هذه المنظومة بشهرة واسعة، ووجدت عناية خاصة من قبل بعض العلماء؛ إذ يبدو أنها طبعت في القاهرة سنة 1348هـ/1929م. كما اهتم بعضهم بشرحها؛ بغرض تقريب فكرتها وتبسيطها للقراء. ومن أهم الشروح التي ورد ذكرها ـ حتى الآن ـ **لمنظومة القدسية**؛ هو شرح **الحسين الورتلاني** صاحب الرحلة (1125/ 1713م ـ 1193هـ/1778م) الذي سماه **"الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية"**. ثم قام ـ بعد ذلك ـ **الشيخ المولود بن محمد الزريبي الأزهري** المتوفي سنة 1343هـ/1925م؛ بإنجاز شرح **للقدسية**؛ ولكنه لم يطبع إلى الآن. وقال عنه **الشيخ الجيلالي** أنه **"شرح نفيس"**. كما ظهر أن **الزاوية العثمانية بطولقة** تملك شرحاً **للقدسية** لم يعرف من

قبل؛ قام به **الشيخ الحسين بن أحمد زروق بن مصباح** المذكور. كما أمدني الأستاذ **سعد السعود خشاب**؛ بنسخة من مخطوط **شرح قدسية الأخضري** كاملة؛ بشرح الشيخ **الحسين الورثلاني**؛ مسجلة على قرص مضغوط. وكلا الشرحين: شرح **ابن مصباح**، وشرح **الورثلاني** مصدرهما من **الزاوية العثمانية بطولقة.**

المهم؛ أن **منظومة القدسية للأخضري** وجدت اهتماماً ملحوظاً من قبل المشرفين على المعاهد العلمية بالبلدان المغربية على الخصوص؛ حيث تقرر تدريسها ضمن معظم المدارس والزوايا في **المغرب الأقصى والجزائر وتونس.** وقبل الحديث عن محتوى هذه الأرجوزة نحاول التعرف على عنوانها؛ ولماذا سميت بالمنظومة **"القدسية"**؟

الواضح ـ هنا ـ أن كلمات **"قدس وقداسة وقدسية وتقديس"**؛ تعني في مجملها: **الطهارة والنزاهة**؛ فنقول: **مطهر ومنزه**؛ ونعني به **التقديس الإلهي.** وهذه العبارات كلها استعملت كثيراً في كتابات وأقوال المنتسبين للصوفية. ويمكن التأكد من هذا بتتبع مؤلفاتهم؛ مثل: ما كتبه **الإمام الغزالي**؛ عندما عنون فصلاً في الجزء الأول من كتابه **إحياء علوم**

الدين؛ يعالج قواعد العقائد؛ بـ **"القدس"**. كما كتب **الشيخ الشعراني**[1] كتاباً سماه **لواقح الأنوار القدسية**. وألف السيد **عبد الله الميرغني**[2] كتاباً بعنوان **الأنفاس القدسية**. وهذا كبير شعراء المتصوفة في الأندلس وبلاد المغرب **"علي بن عبد الله الششتري"** كتب كتاباً سماه **"الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة"**[3] كما كتب الشيخ **علوان الحموي** كتاباً سماه **"النفحات القدسية في شرح أبيات للششتري"**[4] وقام **أحمد الزروق الفاسي** بتصنيف كتاب **يشرح العقيدة القدسية** للإمام الغزالي. **وأحمد الزروق** ــ كما هو معروف ــ من الصوفية المصلحين؛ وقد تأثر به **الأخضري**؛ الذي نوه به في **"منظومة القدسية"** ودعا القراء إلى إتباع نهجه وقراءة كتابه. كما أن **الزروق** يعد من بين أساتذة والد **الأخضري**؛ لذا فقد استشهد به في ختام منظومته بقوله:

---

[1] وهو أبو المواهب عبد الوهاب؛ فقيه وصوفي شهير؛ ولد بقلشندة وتوفي بالقاهرة سنة 973 هـ/1565م. من مؤلفاته أيضاً: "الجواهر والدرر الكبرى".

[2] وهو عبد الله المحجوب الميرغني؛ فقيه حنفي وصوفي؛ ولد بمكة المكرمة وتوفي بالطائف سنة 1193 هـ/1779م. من مؤلفاته أيضاً: "الإيضاح المبين بشرح فرائض الدين"، و"المعجم الوجيز"، و"ديوان العقد المنظم على حروف المعجم"، و"الرسائل الميرغنية"، وغيره.

[3] ديوان الششتري، ص: 14.

[4] مازال مخطوطاً بمكتبة السيد أحمد الصديق بطنجة، ديوان أبي الحسن الششتري، ص: 69.

وَمَــنْ يُــرِدْ مَعْرِفَــةً بِالْبِــدَعِ
وَمَا يُبْنَى عَلَيْهِ أصْلُ الْمُدَّعِي
فَفِي كِتَــابِ شَيْخِنَــا الــزَّرُّوقِ
عَجَائِــبٌ فَائِقَــةَ الرُّتُــوقِ[1]

ونظراً لأهمية منظومة الأخضري المسماة بـ "القدسية" وما لها من فائدة، ورغبة منا في تقريب القارئ من الصورة الواضحة لهذه الأرجوزة الصوفية، الأخلاقية؛ فقد تبين مدى ضرورة شرحها كاملة بما تيسر؛ مراعاة لضيق المجال؛ ومحدودية الزمن. وعليه؛ نبتدئ بما ابتدأ به **الأخضري** في منظومته؛ وهي الأبيات التالية التي استهل بها الموضوع:

1 ـ يَقُولُ رَاجِي رَحْمَةِ الْمُقْتَدِرِ
الْمُذْنِبُ الْعَبْدُ الذَّلِيلُ الأخْضَرِي
2 ـ بِحَمْدِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أبْتَدِي
ثُمَّ صَلاَتِهِ عَلَى مُحَمَّدِ

(1، 2) ـ يستهل **الأخضري "منظومة القدسية"** بالبيت الأول الذي يعلن فيه أنه طامع في رحمة **"المقتدر"**؛ وهو الله سبحانه وتعالى؛ لأن **"المقتدر"** اسم

---
[1] الرتوق: المنعة والعز والشرف.

من أسماء الله الحسنى.[1] وفي البيت الثاني يعلن بدء عمله بحمد رب العالمين ثم بالصلاة على رسوله **محمد** صلى الله عليه وسلم.

3 ـ يَا طَالِباً عَلَى كَمَالِ قُدْسِهِ[2]
وَقاصِداً إِلَى عِلاَجِ نَفْسِهِ[3]

(3) ـ في هذا البيت يستعمل الناظم أسلوب النداء الموجه إلى من سعى في درب كمال طهارته ونزاهته، وعمل في سبيل تحقيق أسباب علاج نفسه. فيقول:

---

[1] المقصد الأسنى، ص: 127.

[2] نقول: كَمَلَ الشَّيْءُ كُمُولاً: تمت أجزاؤه أو صفاته... كَمُلَ الشَّيْءُ كَمَالاً: ثبتت فيه صفات الكمال. أَكْمَلَ الشَّيْءَ: أتمه. وجاء في القرآن الكريم: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)). سورة المائدة، من الآية: 3. ونقول: قَدُسَ قُدْساً: طَهُرَ. وقدس لله تقديساً: طهر نفسه له. وصلى له. وعظمه وكبره، وفي التنزيل العزيز: "وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ"، سورة البقرة، من الآية: 30. راجع كلمتي: "كمال وقدس" في المعاجم. والناظم يقصد بقوله: "كمال قدسه": تمام طهارته. وقد استعمل المتصوفة هاتين الكلمتين كثيراً ضمن مصطلحاتهم الصوفية والفلسفية على السواء. فكلمة الكمال مثلاً تعني ((الحال الكامل؛ ويطلق على ما يكمل به النوع في ذاته أو في صفاته. فالذي يكمل به النوع في ذاته يسمى بالكمال الأول؛ لتقدمه على النوع. والذي يكمل به في صفاته يسمى بالكمال الثاني؛ وهو يشمل العوارض التي تلحق بالشيء بعد تقدمه كالعلم وسائر الفضائل. ومعنى ذلك أن الكمال الأول تتوقف عليه الذات؛ على حين أن الكمال الثاني يتوقف على الذات)). المعجم الفلسفي، ج: 2، ص: 243. وفي هذه الحال يكون الكمال الذي يطلبه الناظم هو الكمال الثاني؛ الذي يكمل به في صفاته.

[3] النفس هي الروح حسب أشهر الأقوال؛ ولكن بعض الفلاسفة يفرقون بينهما؛ إذ يرون "أن معنى النفس يتضمن معنى الجوهرية الفردية، وأن مفهومها أغنى من مفهوم الروح، وأن مجالها أوسع من مجال الشعور... أن الروح جسم والنفس غير جسم، وأن الروح يحوى في البدن وأن النفس لا يحويها البدن..." أنظر المعجم الفلسفي، ج: 2، ص ص: 481 ـ 483. أما ابن خلدون فيقول أن الله خلق الإنسان من جثمان وهيكل محسوس، ومن لطيفة ربانية عبر عنها الشرع بألفاظ مختلفة؛ مثل: الروح أحياناً، والنفس أحياناً أخرى، أو العقل تارة، والقلب تارة أخرى. وبهذا تكون هذه العبارات ترمي لمعنى واحد في الشرع. أنظر شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 80.

يا راغباً في الطهارة التامة والنقاء من الشوائب والأدران الدنيوية، ويا من فضل الاتجاه نحو تطبيب نفسه المريضة ومداواتها من الآفات والمهالك.

4 ـ اعْلَمْ بِأنَّ الْجَوْهَرَ الإنْسَانِي
هُوَ الذِّي يَدْعُونَهُ الرُّوحَانِي[1]

5 ـ مَنْشَأُهُ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ
وَمُودَعٌ فِي القَالَبِ الْجِسْمِيِّ

6 ـ لأنَّهُ فِي الأصْلِ مِنْ جنْسِ المَلَكْ
فَصَارَ مَرْكُوزاً فِي عَالَمِ الْحَلَكْ

(من 4 إلى 6) ـ يتشكل الإنسان من **"جثمان"** وهو هيكل ظاهر ومحسوس يسمى الجسد، ومن **"جوهر"**؛ وهو حقيقة الإنسان، ومصدر النفع فيه. والجوهر ـ هنا ـ هي الروح؛ تلك اللطيفة الربانية التي أودعها الله في الجسم؛ لحفظه وتحقيق منفعته. ومنشأ تلك اللطيفة ـ التي هي الروح ـ هو العالم العلوي؛ حيث وضعت بأمر إلهي في الجسم؛ الذي هو بمثابة القالب؛ ويختلف **"الجثمان"** عن **الجوهر** في كونه مجرد **عرض.** وهذه اللطيفة الربانية؛ أي **الروح** ـ التي أودعت في القالب الإنساني وهو **"الجثمان"** ـ

[1] الجوهر جمع لجوهرة؛ وهو حقيقة الشيء وذاته؛ إذ يستخرج منه ما يستنفع به. والجوهر لدى الفلاسفة كل ما قام بنفسه؛ ويقابله العرض الذي يقوم بغيره.

هي عبارة عن **جوهر نوراني** من جنس ملائكي؛ ركزت بأمر الله في عالم مظلم وهو الجثمان الأرضي الترابي.

7 ـ فَهَذِهِ جَوْهَرَةٌ نَفْسِيَّهْ
فِي الأصْلِ فِي الدَّائِرَةِ القُدْسِيَّهْ

8 ـ دَائِرَةَ التَّطْهِيرِ وَالْكَمَالِ
وَعَاقَهَا عَنْ ذَاكَ الاتِّصَالِ

(7، 8) ـ يصف **الأخضري** منظومته بأوصاف فيها طهارة وقدسية؛ إذ يقول عنها أنها جوهرة نفسية؛ أي مستمدة من الجوهر النفسي الروحاني؛ وتستمد أصولها من دائرة قدسية وطاهرة. وتلك الدائرة هي دائرة التطهير والنزاهة والكمال؛ ولا يعيق تمامها وكمالها إلا الاتصال أو المواصلة؛ وهي المعرفة والمشاهدة.

9 ـ شَيْئَانِ مِنْهُمَا حِجَابٌ[1] ظَاهِر
وَبَاطِنٌ فِي النَّفْسِ أيّ سَاتِر

10 ـ فَالظَّاهِرُ الْعَوَائِدُ الْجِسْمِيَّهْ
وَالْبَاطِنُ الْعَلاَئِقُ النَّفْسِيَّهْ

[1] الحجاب جمع حجب: هو الساتر؛ نقول: حجب الشيء أي ستره. وقد استعمل المتصوفة هذه الكلمة للتعبير عن الحال التي يرفع فيها الحجاب عما هو غامض ومخفي في الوجود.

11 ــ مِنْ شَهْوَةِ رِئَاسَةٍ وَدَعْوَى

وَنَزْغَةِ الشَّيْطَانِ وَهْيَ البَلْوَى

12 ــ فَأَوَّلٌ يُدْعَى حِجَاب الحِسِّ

وَالثَّاني يُدْعَى بحِجَابِ النَّفْسِ

13 ــ فَمَنْ يَكُنْ لِنَفْسِهِ مُكَبْكِبَا[1]

عَلَى هَوَاهَا لَمْ يَزَلْ مُحْتَجِبَا

(من 9 إلى 13) ــ يتكون الإنسان من **جوهر وعرض**؛ أي جسم ونفس أو روح. وهو مركب من غرائز بالفطرة، ومن سلوك مكتسب بالعادة والتعلم. وغرائزه ومكتسباته مخفية في عقله وباطنه؛ ولكن العوائد تظهر من خلال تصرفات الإنسان الحسية والنفسية؛ أي من خلال تحقيق رغباته وإشباع شهواته، وتلبية تطلعاته للرئاسة وانسياقه وراء كل دعوى تعزز مركزه الدنيوي. أما الغرائز فتنبثق من داخل الإنسان تلقائياً؛ وكلا الحالتين لهما حجاب خاص بهما؛ فالحجاب الأول الظاهر هو حجاب الحس، وله علاقة بالعوائد الجسمية. أما الحجاب الثاني الباطني؛ فمتعلق بالنفس ومسند إليها.

---

[1] كَبْكَبَ الشَّيْءَ: قلبه بعضه على بعض، ورماه في الهُوَّةِ؛ يقول تعالى: ((فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ)). سورة الشعراء، الآية: 94.

لـذا فمـن يـرمي بذاتـه في هـوة شهـوات النفـس وهواهـا؛ سيبـقى محجوبـاً؛ ولا يطمـع في رفـع حجـاب المعرفـة عـن عينيـه. فكلمـا ابتعـدت الـروح عـن الحـس الظاهـر باتجـاه الباطـن لحـق بأحـوال الحـس ضعـف ووهـن؛ وبالمقابـل تقـوى أحـوال الـروح، وتتغلـب عـلى الـذات ومـا يحيـط بهـا.

14 ــ إذْ تُحْجَبُ المِرْآةُ بِالصَّدَاءِ[1]
عَلَى انْطِبَاعِ صُوَرِ الأشْيَاءِ

15 ــ وَمَنْ أجَادَ الصَّقْلَ بِالُمجَاهَدَهْ
رَقَى مَقَامَ الكَشْفِ وَالُمشَاهَدَهْ[2]

16 ــ وَصَارَ فِي طَيِّ النُّفُوسِ بَادِيَا
جَمِيعُ مَا كَانَ لَهَا مُحَاذِيَا

17 ــ وَظَهَرَتْ خَوَارِقُ العَادَاتِ[3]
عَلَيْهِ مِنْ صَقَالَةِ الْمِرْآةِ

[1] الصدأ: طبقة من الأكسيد تعلوا الحديد وغيره من المعادن، وقد استعمل الناظم كلمة: صداء للضرورة.

[2] نقول: صقله صقلاً: جَلاَه. ونقول: صقل السيف والمرآة: أزال ما عليهما من شوائب ولمعهما. أما المجاهدة فمعناها هنا الرياضة التي يتبعها المتصوفة بواسطة الذكر والتعبد والصيام في خلوتهم. أما الكشف عندهم فهو رفع حجاب القلب؛ ويقول فيه الجرجاني: ((الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 105. أما المشاهدة فهي المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وأسرار ملكوته وجلاء الحقيقة بدون شك. أنظر شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص ص: 42، 108.

[3] خوارق العادات: كل ما خرج عن طبيعة العادات.

18 ــ وَعَادَتِ الْحَقِيقَةُ النَّفْسِيَّهْ

لأَصْلِهَا فِي الْحَضْرَةِ القُدْسِيَّهْ[1]

19 ــ وَطُهِّرَ القَلْبُ مِنَ الأدْغَالِ[2]

إذْ حَلَّ فِي دَرَجَةِ الكَمَالِ

(من 14 إلى 19) ــ يستعمل المتصوفة مثال المرآة هذا للتعبير عما يكتنف النفس من أغشية وشوائب تمنع عنها النظارة والوضوح. ويصور الناظم ــ هنا ــ الوضع بقوله: أن المرآة عندما تعلوها غشاوة من الصدأ أو الغبار؛ لا تنطبع صورة من يقف أمامها. وإذا أزيل ما علق عليها؛ تبدو الصورة المنعكسة على المرآة جلية واضحة. وكلما ازداد صقل المرآة، وتكاثف تلميعها؛ ازدادت الصورة المنعكسة عليها جلاء ووضوحاً.

وهذا هو بالضبط ما قد يحدث للنفس البشرية؛ إذ تصقل ــ هي الأخرى ــ بواسطة العبادة والمجاهدة والترويض على الطاعة والأعمال الصالحة؛ حتى تتطهر

---

[1] يستعمل المتصوفة مصطلح الحضرة للتدليل على عدة معاني؛ من ذلك: جلال الحضرة، والحضرة العمائية، والحضرة الهبائية والحضرة الربوبية. يمكن التوسع في معرفة ذلك بالإطلاع على كتاب: شفاء السائل لتهذيب المسائل؛ لابن خلدون، ص ص: 40. 46. 51 ــ 52. وكتاب أصول مفردات التصوف الإسلامي؛ لماسينيون، ص ص: 23. 25. وكتاب الأربعين مرتبة؛ للشيخ عبد الكريم الجبلي، ص ص: 8. 10 . 18. 25. 71. 85. وكتاب التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني، ص: 106.

[2] الدَّغَلُ: هو الفساد؛ والذي يدغل في شيء: هو الذي يفسد فيه.

وتصفو وترقى للمقام السامي؛ أين يتمكن السالك في طريق الكشف من تحقيق ما تصبو إليه نفسه؛ من كشف الحجاب، وظهور الحقيقة المطلقة بين عينيه، ومشاهدة ما حجب عن غيره من الناس في دنياهم الفانية.

وبذلك يظهر ما تنطوي عليه النفس البشرية، ويتبدد ما يحيط بها من ركام وغموض؛ فتنجلي حقيقة ما يصبو إليه السالك في طريق التصوف. وهكذا؛ فبواسطة الصقل هذا والترويض المستمر؛ تعود الحقيقة النفسية لأصلها وطبيعتها التي خلقت فيها؛ أي ضمن الحضرة القدسية الطاهرة النقية. وبذلك يتطهر القلب ويتخلص من الشوائب والشرور والأدران والفساد. وهكذا يحل القلب في مرتبة أنقي وأطهر هي مرتبة الكمال؛ التي يتطلع إليها كل متعبد ورع، وكل تقي ومستقيم.

20 ــ لَكِنَّ أَنْوَاعَ الْمُجَاهَدَاتِ[1]

بِحَسَبِ الْمَقَامِ لِلسَّادَاتِ[2]

21 ــ تُقَاءٌ وَاسْتِقَامَةٌ وَكَشْفُ[3]

---

[1] المجاهدات ثلاث درجات: مجاهدة التقوى والورع، ومجاهدة الاستقامة، ومجاهدة الكشف. وهي متفاوتة ومتلاحقة؛ يعرفها ابن خلدون بقوله: ((لما كان معنى المجاهدة ــ كما قررناه ــ اكتساب النفس للصفات المحمودة وتلونها بها صفة بعد صفة؛ ولها ترتيب في تعليم اكتسابها مخصوص بها)). ويعرفها ابن العربي بأنها: ((حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال)). أما الجرجاني فيقول عنها: ((في الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب من الشرع)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 41. 106.

[2] المقام لدى الصوفية هي الصفات التي تكون بالكسب والاختيار؛ مثل التوكل والصبر والرضى..إلخ. ويقول الجرجاني في المقام: ((عبارة عما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 114.

[3] ــ 1 مجاهدة التقوى هي الوقوف عند حدود الله؛ ((لأن الباعث على هذه المجاهدة طلب النجاة؛ فكأنها اتقاء وتحرز؛ بالوقوف عند حدود الله عن عقوبته وحصولها في الظاهر؛ بالنزوع عن المخالفات، والتوبة عنها، وترك ما يُودي إليها؛ من: الجاه، والاستكثار من المال، وفضول العيش، والتعصب للمذاهب؛ وفي الباطن مراقبة أفعال القلب التي هي مصدر الأفعال ومبدؤها؛ أن يلمّ بمقارفة محضور، أو إهمال واجب... قال عليه الصلاة والسلام: "الحلال بين والحرام بين"... وقال ابن عمر: "حقيقة التقوى أن تدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس" وقال: "لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر". وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام". ــ 2 ومجاهدة الاستقامة هي الصفة الثانية من صفات المجاهدة؛ يقول فيها ابن خلدون: ((هي تقويم النفس وحملها على التوسط في جميع أخلاقها؛ حتى تتهذب بذلك وتتحقق به؛ فَتَحْسُنُ أخلاقها وتصدر عنها أفعال الخير بسهولة وتصير لها آداب القرآن والنبوءة بالرياضة والتهذيب خلقاً جبلية؛ كأن النفس طبعت عليها. والباعث على هذه المجاهدة طلب الفوز بالدرجات العلى؛ درجات الذين أنعم الله عليهم؛ إذ الاستقامة طريق إليها. " قال تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ؛ صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ. [سورة الفاتحة، الآيتن:6 ــ 7.] وحصول هذه الاستقامة بعلاج خلق النفس. ومداواتُها بمضادة الشهوة، ومخالفة الهوى، ومقابلة كل خلق يجس من نفسه هواه. والميل إليه والاعتداد به؛ بارتكاب ضده الآخر؛ كمعالجة البخل بالسخاء، والكبرياء بالتواضع، والشره بالكف عن المشتهى، والغضب بالحلم)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص ص: 34 ــ 35. وحاول ابن خلدون توضيح مفهوم مجاهدة الاستقامة بعرض هذا المثال: ((ومثاله أن المرآة الصقيلة [المصقولة] إذا كانت محدبة أو مقعرة وحوذي بها جهة المرئي فإنه يتشكل فيه معوجاً على غير صورته؛ وإذا كانت مسطحة تشكل فيها المرئي صحيحاً. فالاستقامة للنفس كالانبساط للمرآة فيما ينطبع فيها من الأحوال)). المقدمة، ج: 3، ص: 1202. ــ 3 أما مجاهدة الكشف والإطلاع يقول فيها ابن خلدون: ((ومجاهدة الكشف

وَذَاكَ مَا بِهِ القُلُوبُ تَصْفُو[1]

22 ـ فَأيُّ مَنْ شَدَّ لِلْحَزْمِ عُرَا
وَظَلَّ يَرْتَضِي النُّفُوسَ مُوثِرَا

23 ـ حَتَّى إذَا صَحَتْ سَمَاءُ القُدْسِ
بِطَرْدِ مَرْكُومِ سَحَابِ النَّفْسِ[2]

24 ـ حِينَئِذٍ تَبْدُو شُمُوسُ الغَيْبِ
مُشْرِقَةً بِعَرَصَاتِ القَلْبِ[3]

والإطلاع؛ وهي إخماد القوى البشرية كلها؛ حتى الأفكار؛ متوجهاً بكلية تعقله إلى مطالعة الحضرة الربانية؛ طالباً رفع الحجاب؛ ومشاهدة أنوار الربوبية في حياته الدنيا؛ ليكون ذلك وسيلة إلى الفوز بالنظر إلى وجه الله في حياته الأخرى التي هي غاية مراتب السعادة)). شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص ص: 43 ـ 44. ويقول أيضاً: ((وأما الكلام عن الكشف وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات؛ فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه لما أنه وجداني؛ وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أذواقهم فيه. واللغات لا تعطي دلالة على مرادهم منه... فينبغي أن لا نتعرض لكلامهم في ذلك؛ ونتركه فيما تركناه من المتشابه. ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكْرِمْ به سعادة. وأما الألفاظ الموهمة؛ التي يعبرون عنها بالشطحات، ويؤاخذهم بها أهل الشرع؛ فاعلم أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس، والواردات تملكهم؛ حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه؛ وصاحب الغيبة غير مخاطب... وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملة ـ الذين أشرنا إليهم من قبل ـ لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب، ولا هذا النوع من الإدراك؛ إنما همهم الإتباع والإقتداء ما استطاعوا. ومن عرض له شيء من ذلك أعرض عنه، ولم يحفل به؛ بل يفرون منه، ويرون أنه من العوائق والمحن)). المقدمة، ج: 3، ص ص: 1213 ـ 1214.

[1] تصفو: أي يزول عنها الكدر. ((اعلم أن هذه اللطيفة الربانية التي فينا [وهي النفس أو القلب] إذا حصل لها بالتصفية والمجاهدة العلم الإلهامي ـ كما قدمناه ـ ويسمى كشفاً وإطلاعاً؛ فهو ذو مراتب تختلف وتتفاوت بتفاوت الصفا والتخلص من الكدرات؛ فمبداها المحاضرة وهي آخر مراتب الحجاب، وأول مراتب الكشف)). شفاء السالك لتهذيب المسائل، ص: 30.

[2] سماء القدس هنا هي: السماء الطاهرة النقية. الركام: ما اجتمع من السحاب وتراكم بعضه فوق بعض.

[3] ـالمقصود من الشطر الأول: أن تتجلى أنوار الغيب وينكشف الحجاب. والمقصود بعرصات القلب: دعائمه وحناياه وخفقاته وبريق أنواره.

25 ــ وَانْطَبَعَتْ فِي وَسَطِ الْمِرْآةِ
صُوَرُ الأمُورِ المَلَكُوتِيَّاتِ[1]

26 ــ وَزُخْرِفَتْ حَدَائِقُ القُلُوبِ
بِثَمَرَاتِ الكَشْفِ وَالغُيُوبِ

27 ــ وَوَابِلُ الأسْرارِ[2] بِالْقَلْبِ انْسَجَمْ
وَانْفَجَرَتْ مِنْهُ يَنَابِيعُ الْحِكَمْ

(من 20 إلى 27) ــ للمجاهدات صفات وأشكال مختلفة؛ أولها: مجاهدة التقوى وهي مراعاة الأدب مع الله، والالتزام بحدود الله في الظاهر والباطن. ومجاهدة التقوى هذه هي التي تعرف بالتصوف لدى السلف الأول. ثم تليها مجاهدة الاستقامة؛ التي تلزم النفس إتباع الصراط المستقيم. ثم مجاهدة الكشف التي تخبو فيها قوى النفس، ويتعطل فيها النشاط الفكري تماماً؛ ولا يبقى لدى السالك في هذا النهج سوى وجدانه وقوة الروح المتنامية فيه.

وأنواع المجاهدات هذه تصنف حسب الصفات المكتسبة؛ أي المقام الذي يكون عليه السادة المتصوفة؛ من: **تقوى، أو استقامة، أو كشف**. وكل تلك

[1] الملكوت: عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس والعجائب؛ يقول تعالى: ((أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ)). سورة الأعراف، من الآية: 185.

[2] السر؛ اصطلاح يطلق على القلب إذا كان محل أنوار المشاهدة والمعرفة.

المقامات تصفو بها القلوب من الكدر والقذى. لذا فإن عملية الزهد وضبط النفس وكبح شهواتها؛ بالتضييق عليها بواسطة الرياضة والمجاهدة؛ ستساعد كلها على صفاء الأجواء، وجلاء سماء الطهارة والقدسية. كل ذلك يحدث بعد إزالة ما تراكم من كدر وسحب قاتمة كانت تغلف النفس.

عندئذ تنجلي أنوار المعرفة مشرقة ساطعة؛ تلك الأنوار التي كانت غائبة؛ فأشرقت بضيائها، وبَشَّرَتْ بنبضات القلب ونشاطه. وانطبعت ـ نتيجة لذلك ـ وظهرت في مرآة الحقيقة الصورة المنيرة لعالم الغيب المتعلق بالأرواح العجيبة والنفوس النقية؛ فتجلت واضحة جلية؛ وزخرفت القلوب بالألوان البهية الباعثة للبهجة والسعادة؛ وأثمرت الأعمال الصالحة والمجاهدات الصادقة بثمار الكشف عن حجاب الغيب؛ فانهالت على القلوب أنوار المشاهدة والمعرفة التي تعرف **"بالسر"**؛ فينتج عن انسجام القلب بالأسرار انبعاث ينابيع الحِكَم وتدفقها من القلب.

28 ـ وَاعْلَمْ بِأَنَّ رُتْبَةَ الكَمَالِ
وَخَارِقُ العَادَاتِ فِي المِثَالِ

29 ـ مَطْوِيَّةٌ فِي النَّفْسِ طَيَّ الْحَبِّ فِي
أَكْمَامِهِ ظُهُورُهَا مِنْهَا يَفِي

30 ـ مِنْ بَعْدِ إرْعَادِ الرُّعودِ السَّائِقَـهْ

ثُمَّ انْسِكَابِ المُعْصِرَاتِ[1] الرَّائِقَـهْ

(28، 29، 30) ـ وينبه الناظم القارئ؛ إلى أن الرتبة التي يتحقق بها كمال العمل، وتمام المجاهدة؛ مطوية في النفس مثلما تطوى حبوب الزرع والنبات في قشرها وأكمامها؛ حيث تتجلى على حقيقتها بزوال تلك القشور والأكمام؛ نتيجة لهدير الرعود وبريق ضوئها؛ تلك الرعود الجالبة للسحب المشبعة بالأمطار المنهمرة الصافية.

31 ـ حَتَّى إذَا شَرِبَتِ الأشْجَـارُ

وَزَالَ عَنْ أغْصَانِهَـا الغُبَـارُ

32 ـ وَلاَنَتِ الأعْـرَافُ بِارْتِوَائِهَـا

وَسَرَيَـانِ المَـاءِ فِي أرْجَائِهَـا

33 ـ وَاهْتَـزَّتْ الأغْصَـانُ بِالرِّيَـاحِ

تَهَيَّـتِ الأثْمَـارُ[2] لِلّقَـاحِ

34 ـ وَالقَصْدُ عِنْدَ القَوْمِ بِالرُّعُـودِ

قَـدْح رُعُـودِ الوَعْـدِ وَالوَعِيـدِ

[1] المُعْصِرات: السحائب تُعْتَصَر بالمطر.

[2] جمع الثمرة: ثمار. وجمع الجمع: أثْمار وثُمُر.

(من 31 إلى 34) ــ وقد رمز الناظم بصورة الرعود الهادرة وبريقها إلى وعد الله ووعيده، أما الأمطار المنسكبة فترمز لسيول الوعظ والإرشاد التي تهدف إلى إصلاح النفوس وتطهير القلوب. لذا فقد تخيل الناظم الوضع؛ بعد سقوط تلك الأمطار الصافية النقية؛ حيث يرى أن الأغصان قد لانت والأشجار انتعشت؛ بسبب ما لحقها من رعاية، وارتواء، وزوال الغبار والقذى عنها؛ فاهتزت الأغصان وتمايلت؛ بفعل الرياح التي هيأت الثمار للقاح.

35 ــ ثُمَّ انْسِكَابِ مَطَرِ الوَعْظِ عَلَى
بَصِيرَةِ المَرْءِ لِكَيْ يَمْتَثِلاَ

36 ــ حَتَّى يَلِينَ قَلْبُهُ بِالفِكْرَةِ
وَيَنْتَفِي عَنْهُ غُبَارُ الغَفلَةِ

37 ــ وَاسْتُخْرِجَتْ ثِمَارُ غُصْنِ القَلْبِ
بِهَزِّهَا فَبَعْدَ هَذَا الخَطْبِ

38 ــ يَبْدُو لِقَاحُ العِلْمِ وَالأَعْمَالِ
بِقَدْرِ مَا لِلْقَلْبِ مِنْ كَمَالِ

(من 35 إلى 38) ــ وقد استعار الناظم هذه الصورة للتعبير عما يحدث للقلب من غفلة وتهاون؛ فيلين بالوعظ؛ كما تلين الأغصان بالرعود والأمطار، ويتطهر وتزول عنه الشوائب بالرياضة والمجاهدة؛ كما

تغتسل الأغصان بمياه الأمطار الصافية التي تزيل الغبار عنها. فيسهل عندئذ قطف ثمرات القلب؛ بعد هزه بالمجاهدة والرياضة. وهكذا يظهر لقاح العلم المفيد، والأعمال الصالحة، على قدر ما أضحى عليه القلب من كمال وتمام الحال.

39 ــ وَبَعْدَ مَا تَحَصَّلَ اللِّقَاحُ
فَهَبَّ فِي أرْجَائِهَا الرِّيَاحُ

40 ــ وَظَهَرَ الأزْهَارُ فِي لأغْصَانِ
وَكَانَ الاِعْتِدَالُ فِي الزَّمَانِ

41 ــ وَجَالَتِ الرِّيَاحُ فِي الأشْجَارِ
وَسَقَطَ الجُلُّ مِنَ الثِّمَارِ

42 ــ حِينَئِذٍ تَنْعَقِدُ الأزْهَارُ
وَزُخْرِفَتْ بِجُلِّهَا الثِّمَارُ

43 ــ كَذَاكَ مِنْ بَعْدِ لِقَاحِ العِلْمِ
وَالعَمَلِ الأزْهَار عِنْدَ القَوْمِ

44 ــ وَهْوَ ظُهُورُ العِلْمِ وَالعِبَادَةِ
عَلَى الجَوَارِحِ مَعَ الزِّيَادَةِ

45 ــ لأنَّ مَنْ صَحَّ لَهُ الإخْلَاصُ
صَحَ لَهُ التَّحْصِيلُ وَالخَلَاصُ

46 ــ وَحِكَمٌ تَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ
وَطَاعَةٌ تَجْرِي عَلَى أرْكَانِهِ

(من 39 إلى 46) ـــ لجأ الناظم إلى الاستعارة ووصف ما يلاقيه المتصوفة من أهل الرياضة والمجاهدة؛ فابتكر هذه الصورة التي تصف أعمال المتصوفة ومساعيهم بما يجري في الأعمال الزراعية؛ حين يتطلب الأمر من الفلاح القيام بتلقيح أشجاره؛ لكي يجني ثماراً صالحة.

فيقول الناظم أن الرياح تجري بين الأغصان؛ فتنقل اللقاح في الأرجاء كافة؛ الأمر الذي يساعد الأشجار على الإزهار؛ وذلك حينما يعتدل الطقس؛ ولكن الرياح تتسبب ــ أيضاً ــ في سقوط معظم الثمار؛ ولا يبقى منها سوى ما كان صالحاً ومتماسكاً. وهذا ينطبق ــ كذلك ــ على أهل العلم؛ إذ ينتج عن لقاح العلم إزهار العمل عندهم؛ فتظهر علامات العلم والعبادة على الجوارح؛ لأن المخلصين في أعمالهم هم الذين يجنون التحصيل، وينجون إلى عالم الخلاص. ومن اكتسب ذلك؛ يرزق بالحكمة التي ينطق بها لسانه، والطاعة التي تجري على أركانه.

47 ــ وَرُبَّمَا هَبَّتْ عَلَى الأعْمَالِ
رِيحُ الرِّيَا المُوبِقِ[1] لِلرِّجَالِ

48 ــ فَتحْبِطُ الجُلَّ مِنَ الطَّاعَاتِ
وَهَذِهِ مِنْ أعْظَمِ الآفَاتِ

[1] الموبق هو الحاجز بين شيئين.

49 ــ فَالعَالِمُــونَ فِي الــوَرَى كَثِيــرُ
وَالثَّابِتُـــونَ عَمَـــلاً يَسِيـــرُ
50 ــ وَالعَقْــدُ لِلأعْمَالِ فِي الطَّرِيقَــهْ
ثُبُوتُهَـــا بِالْحَـــالِ وَالْحَقِيقَـــهْ

(مــن 47 إلى 50) ــ وقــد تتعــرض الأعمــال الصالحـــة لموجــة مــن الريــاء والتظاهــر أمــام النــاس بتلــك الأعمــال؛ فتتعطــل فوائدهــا المرجــوة، وتتعثــر جـــل المقاصـــد مـــن الطاعــات؛ وهــذه هي الآفــة الكبـــرى. وهكـــذا؛ فـــإن العامليـــن والمتدينيـــن كثيـــرون؛ غيـــر أن الذيـــن يثبتـــون في أعمالهـــم ويتمسكـــون بدينهـــم قليلـــون. لـــذا فـــإن العبـــرة تكمـــن في ثبـــوت أهـــل الطريقـــة والتزامهـــم بالأعمـــال الصالحـــة؛ تلـــك الأعمـــال الـــتي تثبتهـــم في وضـــع تســـود فيـــه الحقيقـــة.

51 ــ فَرُبَّمَــا هَبَّــتْ رِيَاحُ العُجْــبِ
وَنَحْــوِهِ فِي عَرَصَـــاتِ القَلْـــبِ
52 ــ فَأسْقَطَــتْ مِنْ ذَلِــكَ الْكَثِيــرَا
وَتَرَكَـــتْ مِنْــهُ زُهًى[1] يَسِيـــرَا
53 ــ إلاَّ قَلِيــلاً مِــنْ عِبَــادِ اللَّــهِ
تَمَسَّكُـــوا فِيهَــا بِحَبْـــلِ اللَّــهِ

[1] زهى يسيــر: أي قــدر يسيــر. إذ يقــال: كانــوا زهــاء ألــف.

54 ــ لأَنَّهُمْ أهْلُ شُهُودٍ مِنَّا
وَالطَّاعِنُ القَاطِعُ بِالأَسِنَّا

(من 51 إلى 54) ــ وقد تهب رياح العُجْب والكِبَر في حنايا القلب فيضطرب؛ عندئذ تتساقط أعمال صالحة كثيرة وتتلاشى وتضمحل، ولا يبقى منها سوى الشيء اليسير؛ بعد هبوب الرياح القوية. ومع هذا؛ فلا سبيل إلى نكران ما كان عليه بعض عباد الله الأتقياء؛ الذين تمسكوا بحبل الله؛ فنجوا وكانوا بيننا شهوداً طاهرين. وكانوا ثابتين في مواقفهم، قاطعين في أحكامهم؛ مثل السيوف الحادة والأسنة المدببة.

55 ــ وَبَعْدَ أنْ ثبت[1] ذَا المِقْدَارْ
فَفِي الصَّلاَحِ يَأخُذُ الثِّمَارْ
56 ــ فَإنْ جَنَاهَا رَبُّهَا بِالشُّهْرَهْ
لَنْ يَكْمُلَ الطِّيبُ لِتِلْكَ الثَّمْرَهْ
57 ــ وَحَيْثُ بِالْخُمُولِ قَدْ أخْفَاهَا
فَبَلَغَتْ فِي الطِّيبِ مُنْتَهَاهَا
58 ــ تَمَّتْ وَمِنْ بَعْدِ كَمَالِ الطِّيبِ
إنْ صَانَهَا بِالْحِفْظِ وَالتَّزْرِيبِ[1]

[1] الكلمة هنا غير واضحة؛ ولكي يستقيم الوزن والمعنى يمكن وضع كلمة "انبت" بدلا من "ثبت"

59 ــ بِتَـرْكِ الاغْتِـرَارِ وَالأَمَـانِي
وَرَفْـعِ سُـورٍ مُحْكَـمِ الْبُنْيَـانِ
60 ــ تَزَخْرَفَـتْ وَحَسُنَـتْ لِلـزَّادِ
وَنَـالَ مِنْهَـا غَايَـةَ الْمُـرَادِ
61 ــ وَإِنْ يَكُـنْ أَهْمَلَهَـا فَتَقْـرِبُ
ثِمَارُهَـا كُـلَّ يَـدٍ فَتَجْـذِبُ
62 ــ وَآلَ كَـدُّهُ إِلَى الضَّيَـاعْ
إِذْ مَـا لَـهُ فِيهَـا مِـنِ انْتِفَـاعْ
63 ــ وَهَـذِهِ طَرِيقَـةُ القُطَّـاعْ
مَـا جَـابَهَـا غَيْـرُ فَـتًى شُجَـاعْ
64 ــ مَا حَـلَّ مِنْهَا بِسَنَـام الطَّـورِ
إِلاَّ امْـرُؤٌ مُؤَيَّـدٌ بِالنُّـورِ

(مـن 55 إلى 64) ــ يعـود الناظـم إلى استعـارة المعـاني مـن محيطـه الفـلاحي؛ فيقـول إذا صلـح الثمـار تحققـت الاستفـادة منـه؛ عـلى أن لا يجـنى قبـل الأوان. والمقصـود بالثمـار ــ هنـا ــ هي ثمـار الأعمـال الصالحـة؛ الـتي تُحفـظ وتُخفـى بالخمـول؛ إلى أن تصـل في الطيـب إلى حـدود المنتـهى. ويتحقـق الغـرض مـن ثمـار العمـل إذا اكتمـل طيبهـا، وتـم حفظهـا؛ برفـع سـور محكـم البنيـان.

[1] التزريـب: الحفـظ ببنـاء زريبـة حـول البستـان. والزريبـة في الأصـل هـي حضيـرة المـواشي أو عريـن الأسـد.

وثمار العمل كثمار الأشجار؛ تتحسن وتتلون بزخارف وألوان زاهية؛ فتغدو صالحة للزاد وجاهزة لتحقيق المراد. فإذا أهملت تناولتها الأيدي وعبثت بها الطوارئ؛ يضيع كد العاملين ويخيب أملهم في الانتفاع بها. لذا لا يقدر على صيانة الثمار وحفظها سوى العاملين الصالحين المؤيدين بنور الحق والطهارة.

65 ـ وَاعْلَمْ بِأَنَّ طُرُقَ التَّطْهِيرِ
كَثِيرَةٌ عِنْدَ ذَوِي التَّنْوِيرِ

66 ـ أَقْرَبُهَا نَفْعاً طَرِيقُ الذِّكْرِ
بِسُرْعَةٍ يُزِيلُ كُلَّ شَرِّ

67 ـ لَكِنْ بِشَرْطِ الخَوْفِ وَالحُضُورِ[1]
مَعَ ادِّكَارِ[2] هَيْبَةِ المَذْكُورِ

68 ـ مَنْ تَلكُ الغَفْلَةُ وَالأَمَانْ
فِي ذِكْرِهِ حَجَبَهُ الشَّيْطَانْ

69 ـ وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ
بِقَذْفِهِ وَسَاوِساً فِي قَلْبِهِ

70 ـ وَأَحْدَقَتْ بِقَلْبِهِ غِشَاوَهْ
فَلَمْ يَذُقْ لِذِكْرِهِ حَلاَوَهْ

---

[1] الخوف: هو: ((من مواهب الله)) كما يقول ابن خلدون. وهو: ((توقع وقوع مكروه أو فوات محبوب)) كما يصفه الجرجاني. أنظر شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص: 99. أما الحضور: فيقول فيه ابن العربي: ((حضور القلب بالحق عند الغيبة عن الخلق)). نفسه، ص: 98.

[2] ادكر: ذكر. قال تعالى: ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)). سورة القمر، الآية: 17.

71 ــ كَمْ بَـاذِلٍ قُـوَاهُ فِي الأذْكَـارِ
وَلَـمْ يَجِـدْ لِلذِّكْـرِ مِـنْ ثِمَـارِ
72 ــ وَذَاكَ مِنْ وَسَـاوِسِ الشَّيْطَـانِ
يَهِيـجُ بِالغَفْلَـةِ وَالأمَـانِ

(مـن 65 إلى 72) ــ يعالـج الناظـم في هـذه الأبيـات موضـوع الأذكـار؛ فيضـع لهـا شروطـاً منهـا: قولـه بـأن للتطيـر طرقـاً وأساليـب عديـدة عنـد أهـل التنويـر والصـلاح؛ وأهـم تلـك الطـرق وأقربهـا نفعـاً هي طريـق الذكـر؛ الـذي يزيـل بسرعـة كـل مـا استتـر وخـفي عـن البصيـرة. وثمـة شـروط للذكـر الصحيـح؛ منهـا: الخـوف مـن اللـه وإحـلال هيبتـه في القلـب، ثـم الحضـور؛ أي في صحـوة وتجـلي. لأن مـن استأمـن للغفلـة في ذكـره؛ تصـدى لـه الشيطـان وحجبـه عـن نـور الحـق، وحـال بينـه وبيـن ربـه؛ بواسطـة مـا يبـث في قلبـه مـن وسـاوس وأوهـام. وبذلـك تصيـب قلـب المبتـلي بالوسـواس غشـاوة حاجبـة؛ فتلـغي عنـه كـل حـلاوة وطـلاوة في الذكـر. وهـذا الأمـر واضـح؛ إذ ثمـة مـن بـذل كـل قـواه في الأذكـار دون أن يحصـل منهـا عـلى ثمـار طيبـة أو نتيجـة صالحـة. وكـل ذلـك بسبـب وسـاوس الشيطـان؛ الـذي ينشـط باستكانـة النـاس للغفلـة.

73 ــ فَعَالِــجِ الخَواطِــرِ الرَّدِيَّــهْ

بِالدَّفْــعِ فَــهْيَ حُجُــبٌ قَوِيَّــهْ

74 ــ هَــلْ يَرْتَــقِي لِسُلَّــمِ الْمَعَــالِي

مَــنْ قَلْبُــهُ فِي عَالَــمِ الخَيَــالِ

75 ــ لَنْ يَسْتَقِيــمَ القَلْــبُ لِلتَّوْجيــهِ

مَــا دَامَ هَــذَا الهَذَيَــانُ فِيــهِ

76 ــ كَيْفَ يَصِحُّ فَتْــحُ بَابِ القُــدْسِ

مَــا دَامَ فِي القَــلْبِ غَيَــارُ النَّفْــسِ

77 ــ مُــدَّةَ مَا لِيْــلُ الهَــوَىَ يَغْشَــاهْ

لَــنْ يَصِــلَ القَلْــبُ إِلَى مَــوْلاَهْ

78 ــ حَــتَّى إِذَا نَهَــارُهُ تَجَــلَّى

بِفَتْــحِ بَــابِ المَلَكُــوتِ الأَعْــلَى

(مـــن 73 إلى 78) ــ ينصـــح الناظـــم القـــارئ بضـــــرورة معالجـــة مـــا يتعـــرض لـــه مـــن خواطـــر رديئـــة وفاســـدة؛ وذلـــك بتركهـــا ودفعهـــا عنـــه؛ لأنهـــا عبـــارة عـــن حجـــب شديـــدة. ثـــم يتســـاءل: هـــل يمكـــن لمـــن يمتلـــك الخيـــال قلبـــه أن يرتـــقي في سلـــم المعـــالي؟ ثـــم يجيـــب بالنـــفي، ويقـــول: لـــن يستقيـــم القلـــب، ولا يقبـــل التوجيـــه مـــادام الهذيـــان يمتلكـــه ويحتويـــه. ثـــم يتســـاءل أيضـــاً: كيـــف يتســـنى فتـــح بـــاب الطهـــارة والقداســـة مـــا دام القلـــب

مضطـــرب بتغيـــرات النفـــس.؟ لأن القلـــب إذا احتـــواه ظـــــلام الهـــوى؛ لـــن يقتـــرب مـــن اللـــه.

79 ــ مِنْ شُرُوطِ الذِّكْرِ أنْ لاَ يَسْقُــطَ
بَعْـضُ حُـــرُوفِ الاسْـــمِ أوْ يُفْــرَطَ

80 ــ فِي الْبَعْضِ مِنَ مَنَاسِكِ الشَّرِيعَــهْ
عَمْــداً فَتِلْــكَ بِدْعَـــــةٌ شَنِيعَــهْ

81 ــ وَالرَّقْصُ وَالصُّـــرَاخُ وَالتَّصْفِيــقُ
عَمْــداً بِذِكْـــــرِ اللَّـــهِ لاَ يَلِيــقُ

82 ــ وَإنَّمَا الْمطْلُــوبُ فِي الأذْكَــارِ
الذِّكْــرُ بِالْخُشُـــــوعِ وَالْوَقَــارِ

83 ــ وَغيْــرُ ذَا حَرَكَــة نَفْسِيَّـــــهْ
إلاَّ مَــعَ الغَلبَـــــــةِ القَوِيَّـــــهْ

84 ــ فَوَاجِــبٌ تَنْزِيــهُ ذِكْــرِ اللَّــهْ
عَــلَى اللَّبِيـــــبِ الذَّاكِـــــرِ الأوَّاهْ

85 ــ عَنْ كُلِّ مَا تَفْعَلُهُ أهْــلُ البِــدَعْ
ويَقْتَــدِي بِفِعْــلِ أرْبَـــــابِ الــــوَرَعْ

(مـــن 79 إلى 85) ــ في البيتيـــن الأوليـــن يشيـــر الناظـــم إلى الذيـــن يسقطـــون بعـــض الحـــروف مـــن اسـم اللـــه أثنـــاء أداء الذكـــر بسرعـــة ودون تـــرو؛ مثـــل إسقاطهـــــم حـــــرف الهـــاء بقولهـــم **"الْـــلّْ"** عوضـــاً عـــن كلمـــة "اللـــه". ويـــرى

بأن هذا الأمر يدخل في إطار البدعة الشنيعة. كما يرى في الأبيات التالية أن الرقص والصراخ والتصفيق أثناء الذكر لا يجوز ولا يليق؛ لأن الأذكار تتطلب من الذاكر الخشوع. وكل ما أخل بشرط الخشوع لا يعدو أن يكون سوى اضطراب نفسي يتغلب على الإنسان. وعليه فمن الواجب أن ننزه ذكر الله ونجله ونبتعد به عن كل الأفعال الصادرة عن أهل البدع، وبالمقابل نقتدي بما يفعله أصحاب الورع والتقوى.

86 ــ فَقَدْ رَأَيْنَا فِرْقَةً إِذْ ذَكَرُوا
تَبَدَّعُوا وَرُبَّمَا قَدْ كَفَرُوا

87 ــ وَصَنَعُوا فِي الذِّكْرِ صُنْعاً مُنْكَرَا
طَبْعاً فَجَاهِدْهُمْ جِهَاداً أَكْبَرَا

88 ــ خَلَوْا مِنْ اسْمِ اللَّهِ حَرْفَ الْهَاءِ
وَأَلْحَدُوا فِي أَعْظَمِ الأَسْمَاءِ

89 ــ لَقَدْ أَتَوْا وَاللَّهِ شَيْئاً إِدَّا
تَخِرُّ مِنْهُ الشَّامِخَاتِ هَدَّا

90 ــ وَالأَلِفُ الْمَحْذُوفِ قَبْلَ الْهَاءِ
قَدْ أَسْقَطُوا وَهُوَ ذُو خَفَاءِ

91 ــ وَغَيْرُهُمْ إِسْقَاطُهُ فِي الْخَطِّ
فَكُلُّ مَنْ يَتْرُكُهُ فَمُخْطِ

92 ــ قَدْ غَيَّرُوا اسْمَ اللَّهِ جَلَّ وَعَــلاَ
وَزَعَمُــوا نَيْــلَ المَرَاتِــبِ العُـــلاَ
93 ــ تَغُرُّهُــمْ مَذَاقَـــةٌ طَبْعِيَّـــهْ
سَبَبُهَـــا حَرَكَـــةٌ نَفْسِيَّـــهْ
94 ــ فَزَعَمُــوا أنَّ لَهُــمْ أسْــرَارَا
وَأنَّ فِي قُلُوبِهِـــمْ أنْـــوَارَا
95 ــ وَزَعَمُــوا أنَّ لَهُــمْ أحْــوَالاَ
وَأنَّهُــمْ قَــدْ بَلَغُــوا الكَمَـــالاَ
96 ــ وَالقَوْمُ لاَ يَدْرُونَ مَا الأحْــوَالْ
وَكَوْنَهَـــا لِمِثْلِهِـــمْ مُحَـــالْ
97 ــ حَاشَا بِسَاطَ القُدْسِ وَالكَمَــالْ
تَطَـــؤُهُ حَوَافِـــرُ الجُهَّـــالْ

(مــن 86 إلى 97) ــ يشيــر الناظــم في هــذه الأبيـــات إلى بعــض أهــل الذكــر مــن المبتدعــة؛ فيدعــوا إلى مجاهدقم ومكافحتهــم؛ إذ يعتقــد في احتمـــال كفرهــم؛ لأنهــم اتبعـــوا المنكــر مــن الأفعــال؛ حيــن حذفــوا حــرف الهـــاء مــن اسـم اللــه جــل وعــلى، ثــم تخلــوا عــن الألـــف الـــتي تـــأتي قبــل الهـــاء أيضـــاً؛ لأن هـــذه الألـــف لا يجــوز تركهـــا في النطــق أو في الخــط كذلــك؛ بحيــث تصبــح **"لــه"** بـــدلاً مــن **"اللـــه"**. وقــد زعــم هــؤلاء المبتدعــة أن لهــم أســـراراً

وأن قلوبهم مشحونة بأنوار المعرفة؛ كما زعموا أيضاً أن لهم أحوالاً؛ أي بعض الصفات والمواهب المبثوثة فيهم من الله سبحانه وتعالى؛ وبها تمكنوا من الوصول إلى درجة الكمال. بينما الواقع يقول غير ذلك؛ لأن هؤلاء القوم لا يدرون ماهية الأحوال في المصطلح الصوفي؛ إذ أنها لمثلهم محال؛ وحاشا بساط القدس والكمال الطاهر أن يُدَنَّس بحوافر الجاهلين من العباد المشابهين للحيوانات العجم.

98 ــ قَدِ ادَّعَوْا مِنَ الكَمَالِ مُنْتَهَى
يَكِلُّ عَنْ تَحْصِيلِهِ أولُوا النُّهَى

99 ــ وَالجَاهِلُونَ كَالْحَمِيرِ المُوكِفَهْ
وَالْعَارِفُونَ سَادَةٌ مُشَرَّفَهْ

100 ــ وَهَلْ يُرَى بِسَاحِلِ الأَنْوَارِ
مَنْ لَجَّ فِي بَحْرِ الظَّلاَمِ سَارِ

(من 98 إلى 100) ــ يقول لأولئك المبتدعة الذين ينسبون لأنفسهم مرتبة الكمال؛ التي يعجز عن الوصول إليها أصحاب العقول الراجحة: أن العباد الجاهلون مثل الحمير بحملها وعملها. أما العارفون فهم سادة وأشراف. ثم يتساءل: هل يمكن للذي تمادى في السير داخل بحار الظلام أن يرى ضمن سواحل الأنوار رؤية جلية؟.

101 ـ وَقَالَ بَعْضُ سَادَةِ الْمُتَّبَعَهْ

فِي رَجَزٍ يَهْجُوا بِهِ الْمُبْتَدِعَهْ

102 ـ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ بِالتَّغْيِيرِ

وَيَشْطَحُونَ الشَّطْحَ[1] كَالْحَمِيرِ

103 ـ وَيَنْبَحُونَ النَّبْحَ كَالْكِلاَبِ

مَذْهَبُهُمْ لَيْسَ عَلَى صَوَابِ

(من 101 إلى 103) ـ ذكر الناظم: أن بعض السادة العلماء المتبوعين قالوا رجزاً منظوماً هجوا فيه أهل البدع ممن أولعوا بالتغيير وانساقوا وراء الشطح في الأقوال والأفعال؛ برعونة كالحمير. كما تكالبوا بالنبح كالكلاب؛ معلنين عن مذهبهم المخالف الذي حاد عن الصواب.

104 ـ قُلْتُ وَشَاعَ أَمْرُ الإِشْتِبَاهِ[2]

فِي الْمُتَرَاسِلِينَ فِي اسْمِ اللَّهِ

105 ـ فَمَنْ يَكُنْ مُشْتَهِراً بِالذِّكْرِ

بِشَرْطِهِ عَنْ خَشْيَةٍ وَفِكْرِ

---

[1] يقول ابن خلدون في معنى الشطح عند المتصوفة: ((وإن صدر عن أحد منهم [أي المتصوفة] كلمة من ذلك [أي موضوع المكاشفة] على سبيل الندور سموه شطحاً؛ بمعنى أن حال الغيبة والسكر استولت عليه حتى تكلم بما ليس له الكلام به)). شفاء السالك لتهذيب المسالك، ص ص: 48 ـ 49. ويقول الجرجاني في الشطح أيضاً : ((كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهي نادرة أن توجد من المحققين)). نفسه، ص: 112.

[2] نقول: اشتبه الأمر عليهم: أي اختلط. واشتبه في المسألة: شك في صحتها.

106 ـ جَرَى لِسَانُـهُ عَلَى الأذْكَـارِ
وَأمْطَـرَتْ سَحَائِـبُ الأنْـوَارِ
107 ـ حَتَّى إذَا امْتَزَجَـتِ الأذْكَـارُ
بِالقَلْـبِ وَاسْتَنَـارَتِ الأفْكَـارُ
108 ـ تَأنَّـسَ القَلْبُ بِذِكْـرِ اللَّـهِ
وَصَـارَ طُـولَ الدَّهْـرِ لَيْـسَ سَـاهِ
109 ـ حَتَّى إذَا اسْتَنَارَتِ السَّرِيـرَهْ
وَانْبَـثَّ مَعْـنَى الذِّكْـرِ فِي البَصِيـرَهْ
110 ـ وَانْغَرَسَتْ فِي وَسَطِ الجِنَـانِ
شَجَـرَةٌ تَـرُوقُ كُـلَّ جَـانِ
111 ـ دَائِمَـةَ الظِّـلاَلِ وَالثِّمَـارِ
وَتَحْتَهَـا جَـدَاوِلُ الأنْهَـارِ

(من 104 إلى 111) ـ ففي هذه الأبيات يصف الناظم الذين يلتزمون بالذكر الصحيح فيقول: لَمَّا شاع الاشتباه؛ باختلاط الأمر والشك فيما يجري في الذكر؛ من إرسال وإهمال لاسم الله. لذا فإن الذين التزموا بالذكر الصحيح عن خشية وتمعن؛ توصلوا إلى تحقيق سيولة في ألسنتهم؛ التي جرت بالذكر فاستنارت القلوب بالأفكار النيرة، وانهمرت السحب بالأنوار الكاشفة؛ فاستأنست القلوب بذكر الله، وصَحَتْ من غفوتها طويلاً. ومن هنا استنارت

السريرة ببث المعنى الصحيح للذكر في البصيرة. ثم يعود الناظم لمحيطه الفلاحي فيشبه العمل الصالح والذكر الصحيح بشجرة مثمرة؛ حيث يقول: أن الشجرة الدائمة الظلال والثمار؛ تعجب كل راغب في قطف ثمارها؛ تلك الشجرة التي انغرست في بستان به جداول وأنهار تجري تحت الشجرة.

112 ــ وَانْقَطَعَتْ عَلاَئِقُ الشَّيْطَانِ
وَظَهَرَتْ بَصِيرَةُ الإِنْسَانِ

113 ــ وَنُقِشَتْ فِي قَلْبِهِ عُلُومْ
وَأَيَّدَتْ فِي سِرِّهِ فُهُومْ

114 ــ وَلاَنَ قَلْبُهُ وَقَدْ أَصَابَا
فِي القَلْبِ نَحْوَ المَلَكُوتِ بَابَا

115 ــ فَأَيْنَ مَنْ أَلْقَى نِعَالَ النَّفْسِ
إِذَ حَلَّ فِي شَاطِئِ وَادِ القُدْسِ

116 ــ وَآنسَ النُّورَ بِذَاكَ الوَادِي
يَفُوزُ مِنْ شَجَرَةِ المُنَادِي

117 ــ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَى
فَيَكْتَسِي مِنْ حُلَلِ النُّورِ قُوَى

118 ــ وَرُبَّمَا يُجْرِى بِهِ سَحَابَا
يَفِيضُ فِي أَرْجَائِهِ شَرَابَا

119 ــ فَيَمْتَلِئُ الصَّبُّ مِنْهُ شُرْبَا
فَيَسْتَزِيدُ طَرَباً وَحُبَّا

(من 112 إلى 119) ـ فإذا التزم الناس بالذكر الصحيح وقاموا بصالح الأعمال؛ انقطعت كل علاقة مع الشيطان؛ حيث تتجلى البصيرة السديدة للإنسان؛ فترسخ في قلبه العلوم الصالحة المفيدة؛ بما منحه الله من قدرة على استيعابها بفضل سر الفهم لديه؛ فيصيب قلبه الهدف في اتجاه ملكوت الله. ثم يتساءل الناظم موظفاً خبر موسى عليه السلام؛ حين رأى في الوادي المقدس نوراً؛ حيث كلمه ربه وتلقى منه الرسالة.[1] ثم يفترض أنه في الإمكان تلقي نور المعرفة واليقين بواسطة الذكر السليم؛ فيكتسي قلب الذاكر بالنور المبين، ويرتوي فيضاً من الهداية المنهمر من السحب المعطاءة؛ فيزيده ذلك طرباً وحباً.

120 ـ وَرُبَّمَا خَامَرَهَ التَّمَلِّي
فَتَعْتَرِيهِ صَعْقَةُ التَّجَلِّي

121 ـ إذْ ذَاكَ فَالْيَفزَعْ إلَى الصَّلاَةِ
فَإِنَّهَا تُفْضِي إلَى النَّجَاةِ

122 ـ إِيَّاهُ أنْ يَغُرَّهُ الخَيَالْ
فَيَزْدَرِي بِقَلْبِهِ الخَتَّالْ

---

[1] جاء في القرآن الكريم: ((وَهَلْ أتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدَى. فَلَمَّا أتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى. إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي المُقَدَّسِ طُوَى)). سورة طه، الآيات: من 9 إلى 12.

123 ـ فَـرُبَّ سَالِـكٍ رَأى سَرَابَـا
بِقَيْعَـــةٍ يَظُنُّـــهُ شَرَابَـــا

(مـن 120 إلى 123) ـ وقـد يخالـط الإنسـان ـ خـلال الذكـر ـ امتـلاء وضجـر، وتداخلـه السآمـة؛ فمـا عليـه عندئـذ سـوى الإسـراع لأداء الصـلاة؛ إذ بهـا ينجـو مـن المصائـب والآفـات. ومـن هنـا يتوجـب عليـه الحـذر مـن الاغتـرار بالخيـال؛ الأمـر الـذي يـؤدي بـه إلى ازدراء غيـره بواسطـة قلبـه المخـادع. ثـم ضـرب مثـلاً؛ بذلـك السالـك في الطريـق الـذي يـرى سراباً بـأرض واسعـة سهلـة فيضنـه مـاء للشـرب.

124 ـ يَا جَاهِـلاً بِمَنْصِبِ الكَمَـالِ
وَطَالِبـاً حَضِيـضَ الإِنْسِفَـالِ
125 ـ أَلَسَتَ ذَا عَقْـلٍ وَذَا بَصِيـرَهْ
أَمْ لَـمْ تَكُـنْ مُنَـوَّرَ السَّرِيـرَهْ
126 ـ حُجِبْـتَ بِالْعَلاَئِـقِ النَّفْسِيَّـهْ
عَـنْ هَـذِهِ الْمَرَاتِـبِ الْقُدْسِيَّـهْ
127 ـ رَضِيتَ بِالمَرَاتِـبِ الخَسِيسَـهْ
لِجَهْلِـكَ المَرَاتِـبِ النَّفِيسَـهْ

(مـن 124 إلى 127) ـ وجـه الناظـم نـداءه إلى الـذي يجهـل مرتبـة الكمـال؛ الـتي هي الحـال الكامـل، والطهـارة

التامة؛ بينما يجري وراء المراتب الدنيا والمنازل السفلى. ثم يقول له متسائلاً: أليس لك عقل وبصيرة تستنير بهما سريرتك؟. لقد حجبت عنك المراتب الطاهرة المقدسة بسبب الأهواء النفسية. لذا فقد اكتفيت ــ راضياً ــ بالمراتب الدنيئة الخسيسة؛ نظراً لجهلك بالمراتب النفسية النزيهة.

128 ــ دَوَائِرُ الحِسِّ[1] عَلَيْكَ مُطْبَقَهْ
وَحَضْرَةُ الكَمَالِ عَنْكَ مُغْلَقَهْ

129 ــ يَا مُولَعاً بِالعَالَمِ الجِسْمَانِي
وَجَاهِلاً بِالْعَالَمِ الرُّوحَانِي

130 ــ فَكَمْ خَدَمْتَ الجِسْمَ يَا بَطَّالُ
وَلَسْتَ مِنْ خِدْمَتِهِ تَنَالُ

131 ــ هَلاَّ خَدَمْتَ الرُّوحَ يَا مَغْرُورْ
هَيْهَاتَ قَدْ حُجِبَ عَنْكَ النُّورْ

132 ــ يَا جَاهِلاً بِعَالَمِ الأَرْوَاحِ
حُجِبَ عَنْكَ السِّرُّ[2] بِالأَشْبَاحِ

133 ــ فَلَوْ عَلِمْتَ هَذِهِ التِّجَارَهْ
لَمْ تَعْتَبِرْ مِنْ دُونِهَا خَسَارَهْ

---

[1] الحس عند الفلاسفة هو ((الإدراك بإحدى الحواس، أو الفعل الذي تؤديه إحدى الحواس، أو الوظيفة النفسية الفيزيولوجية التي تدرك أنواعاً مختلفة من الإحساس؛ تقول الحس اللمسي والحس البصري..إلخ.)). المعجم الفلسفي، ج: 1؛ ص: 467.

[2] يقول الجرجاني عن "السر": ((لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محل المعرفة)). شفاء السائل، ص: 101.

(من 128 إلى 133) ــ ويكمل الناظم كلامه الموجه للجاهل المقصر في حق الله، وفي حق نفسه؛ فيقول له: إنك محصور ضمن دائرة ضيقة وهي دائرة الحس المرتبط بالوظيفة الجسمية. بينما تجد نفسك في عزلة عن حضرة الكمال؛ لأن دائرتها تغلق في وجهك. ثم يضيف منادياً إياه ومؤنباً: يا أيها المفتون المولع بالجسم وما يرتبط به؛ وبالمقابل تجهل عالم الروح وأسرارها؛ كم مرة وضعت نفسك في خدمة جسمك واخترت سبيل البطالة والعجز؟ هل تعلم أنك لن تنال شيئاً من خدمتك للجسم؟ أليس الأفضل لك يا مغرور؛ لو أنك قمت بخدمة الروح؛ ولكن هيهات هيهات؛ فقد حجب عنك نور المعرفة. ثم يسترسل قائلاً: يا أيها الجاهل بعالم الأرواح وأسرارها؛ فقد حجب عنك السر؛ تلك اللطيفة محل المشاهدة المودعة في القلب؛ بسبب ما تراه من أشباح وأوهام. فإن رغبت في الكسب فطرق الكسب والخسارة واضحة جلية.

134 ــ يَا جَاهِلاً بِقَلْبِهِ وَمَا حَوَى
مُشْتَغِلاً بِالشَّهَوَاتِ وَالْهَوَى

135 ــ لَوْ غُصْتَ فِي بَحْرِكَ يَا مَغْرُورَا
وَجَدْتَ فِيهِ لُؤْلُؤاً مَنْثُورَا

136 ــ وَلَوْ تَرَكْتَ العَالَمَ الجِسْمَانِي
لَذُقْتَ سِرَّ العَالَمِ الرُّوحَانِي

(من 134 إلى 136) ــ يستمر الناظم في ندائه قائلاً: يا أيها الجاهل بما يحتويه قلبه من الأسرار؛ ويا أيها المشتغل بمغريات الشهوات وبريق الهوى الخداع؛ لو أنك تأملت بعمق في محتوى قلبك، وغصت في بحر أسراره؛ لوجدت فيه جواهر ثمينة تفيدك في دار القرار. ولو أنك أيضاً ابتعدت عن مغريات العالم الجسماني لتمتعت بطعم سر العالم الروحاني.

137 ــ وَكُلُّ مَشْغُولٍ بِعَالَمِ الجَسَدْ
فَذَاكَ مَحْجُوبٌ عَنِ اللَّهِ الصَّمَدْ

138 ــ فَلْتَشْتَغِلْ بِالْعَالَمِ الرُّوحَانِي
وَاتْرُكْ سَبِيلَ العَالَمِ الجِسْمَانِي

139 ــ وَاخْرِقْ حِجَابَ النَّفْسِ بَعْدَ الجِسْمِ
تَرَى الكَمَالَ فِي بِسَاطِ العِلْمِ

140 ــ فَمَنْ سَعَى فِي خِدْمَةِ المَوْضُوعِ
فَذَاكَ مَحْجُوبٌ عَنِ الطُّلُوعِ

141 ــ إِذْ أَوَّلُ السُّلُوكِ تَرْكُ ذَالِكْ
وَبَعْدَهُ يَسْلُكُ فِي المَسَالِكْ

142 ــ نَعَمْ بِقُــدْرَةِ القُــوَّةِ النَّفْسِيَّــهْ

لَــمْ تَتَّصِــلْ بِالْحَضْــرَةِ القُدْسِيَّــــهْ

143 ــ فَابْذُلْ قُوَاكَ فِي صَلاَحِ النَّفْــسِ

مِــنْ كُــلِّ وَصْمَــةٍ بِهَــا وَلُبْــسِ

144 ــ حَتَّى إذَا صَحَــتْ سَمَاءُ السِّرِّ

بِأسْرِهَــا عَــنْ طَبَقَــاتِ السِّتْــــرِ

145 ــ فَعِنْــدَهُ شَمْسُ شُهُــودِ الحَــقِّ

مُشْرِقَــةً عَــلَى بُــرُوجِ الصِّــــدْقِ

(مــن 137 إلى 145) ــ يقطــع الناظــم ويجــزم بحجــب المفتونيــن بعالــم الجســد عــن مشاهــدة الأنــوار الإلهيــة. لــذا فهــو يدعوهــم إلى الاعتنــاء بالعالــم الروحــاني؛ وتــرك السبــل المؤديــة إلى العالــم الجسمــاني. ثــم يدعــو إلى خــرق حجــاب النفــس؛ بعــد أن يتــم خــرق حجــاب الجســم؛ وبذلــك يتحقــق الكمــال الــذي يتــوج رحــاب العلــم والمعرفــة. فالموضــوع الجسمــاني إن ســعى إليــه أحدهــم يُحْجَــب ولا يظهــر. لــذا فــأول مــا يجــب القيــام بــه هــو تــرك مغريــات النفــس، ثــم الشــروع في العمــل عــلى قطــع المسالــك المؤديــة للحضــرة القدسيــة؛ بواسطــة القــدرة النفسيــة المتحكمــة في الإرادة. وعليــه فالناظــم يدعــو إلى بــذل الجهــد وشحــذ القــوى مــن أجــل إصــلاح النفــس، وتقويمهــا وتطهيرهــا مــن كــل شائبــة أو وصمــة أو شبهــة.

فإذا صحت سماء السر الذي في القلب، وتجلت بأسرارها المنبثقة من طبقات الستر. تنجلي الشمس المنيرة بشهود الحق بارزة من بروج الصدق.

146 ــ هَيْهَاتَ أنْ يَطَا[1] بِسَاطَ القُدْسِ
مُكَبَّلٌ بِشَهَوَاتِ النَّفْسِ

147 ــ هَيْهَاتَ أنْ يَطَا البِسَاطَ الأحْمَقُ
كَيْفَ يَنَالُ السِّرَّ مَنْ لاَ يُصَدِّقُ

148 ــ هَيْهَاتَ أنْ يَرْقَى المَقَامَ العَالِيَا
مَنْ كَانَ لِلنَّفْسِ مُطِيعاً تَالِيَا

149 ــ فَهَلْ يَطَا مَسَاجِدَ الإنَابَهْ[2]
مَنْ لَمْ يَزَلْ بِحَدَثِ الجَنَابَهْ

150 ــ كَيْفَ تُفِيدُ الشَّكْلَ مِرْآةُ الصَّدَا
أمْ كَيْفَ تَعْشُو مُقْلَةٌ فِيهَا القَذَا

(من 146 إلى 150) ــ يستبعد الناظم ــ على من قُيِّدَ بشهوات النفس ــ أن يصل موصل الكمال، ويطأ بساط الطهارة والنزاهة. ويستبعد ــ أيضاً ــ أن يطأ ذلك البساط من وصف بالحمق؛ وعليه فكيف يحظى بامتلاك السر من لا يصدق بالحقيقة؟ ويستبعد

[1] تُقْرأ هكذا ــ بدون همزة ــ للضرورة الشعرية.

[2] نقول: ناب إلى الله: بمعنى تاب. وناب فلان: لزم الطاعة لله. ومساجد الإنابة هنا تعني: مساجد الطاعة والتوبة.

ــ كذلــك ــ أن يرتــقي إلى المراتــب العليــا مــن سَلَّــمَ أمــره لمتطلبــات النفــس. ثــم يتســاءل: هــل يجــوز للمجنــــب أن يدخــل مساجـــد الطاعـــة والتوبـــة ويطأهـــا بقدميـــه النجستيـــن؟. فكيــف لمـــرآة يعلوهـــا الصـــدأ أن تُظْهِـــرَ الشكــل المعكــوس فيهــا بوضــوح؟ أو كيــف لمقلــة العيـــن الــتي تعــاني مــن القــذى أن تــرى في الظــلام؟

151 ــ عُجِبْتُ مِنْ مُسَافِــرٍ يَشْكُــو الظَّمَــا
وَحَوْلَـــهُ عَـــذْبُ فُــرَاتٍ أيُّ مَــا

152 ــ مَا حَلَّ وَفْدُ الرَّاصِدِينَ مَرْصَــدَا
وَرَامَ حِــزْبُ الوَارِدِيــنَ مَــوْرِدَا

153 ــ إلاَّ بِأَخْمَاصِ البُطُونِ وَالسَّهَــرْ
وَالصَّمْــتِ وَالعُزْلَــةِ عَنْ كُــلِّ البَشَــرْ

154 ــ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَــا وَتَقْصِيــرِ الأَمَــلْ
وَفِكْــرَةِ القَلْــبِ وَكُثْــرَةِ العَمَــــلْ

155ــ وَالخَوْفِ وَالذِّكْــرِ بِكُلِّ حَــالْ
وَالصَّبْــرِ وَالقُــوتِ مِــنَ الحَــــلاَلْ

156 ــ وَفِعــلِ أنْــوَاعِ المُعَامَــلاَتْ
وَفِعْـــــلِ أرْكَــــانَ المُجَاهَــــدَاتْ

157 ــ مِنْ بَعْــدِ تَحْصِيــلِ فُــرُوضِ العَيْــنِ
عِلْمــاً وَأعْمَــالاً مِــنْ غَيْــرِ مَيْـــنِ

(من 151 إلى 157) ـــ يضع الناظم في هذه الأبيات الشروط الواجب إتباعها من طرف السالك في طريق التصوف. فيبدأ بالتعجب من المسافر في تلك الطريق؛ وهو يشكو من الحاجة، ومن الضمأ؛ في الوقت الذي تتواجد حوله مياه متناهية العذوبة. ثم يجزم أنه لا يمكن تحقيق الهدف والوصول إلى المعين الدافق إلاّ بتحقيق عدة شروط منها: جوع البطون، وسهر الليالي، والصمت بالصيام عن الكلام، والعزلة عن الناس، والزهد في الدنيا، وتقصير الأمل في أمور الدنيا، والتفكر في شئون القلب والروح، والإكثار من الأعمال الصالحة، والخوف من العاقبة، ولزوم الذكر في جميع الأحوال والظروف، والصبر على المكاره والشدائد، وتناول من الطعام ما يسد القوت فقط على أن يكون ذلك من الحلال. وفعل الخير والإكثار من المعاملات الهادفة والصالحة، والتقيد بأركان المجاهدات من: تقوى واستقامة وكشف؛ كل ذلك يقوم به السالك بعد أن يقوم بفروض العين على أحسن وجه علماً وعملاً دون تردد أو تلاكؤ.

158 ـ فَأَيْنَ حَالُ هَؤُلَاءِ القَوْمِ
مِنْ سُوءِ حَالِ فُقَرَاءِ اليَوْمِ

159 ـ قَدْ ادَّعَوْا مَرَاتِباً جَلِيلَهْ
وَالشَّرْعُ قَدْ تَجَنَّبُوا سَبِيلَهْ

160 ــ قَدْ نَبَــذُوا شَرِيعَــةَ الرَّسُــولِ

فَالْقَــوْمُ قَــدْ حَــادُوا عَــنِ السَّبِيــلِ

161 ــ لَمْ يَدْخُلُــوا دَائِــرَةَ الطَّرِيقَــهْ

فَضْــلاً عَــنْ دَائِــرَةِ الحَقِيقَــهْ

162 ــ لَــمْ يَقْتَــدُوا بِسَيِّــدِ الأَنَــامِ

فَخَرَجُــوا عَــنْ مِلَّــةِ الإِسْــلاَمِ

163 ــ لَمْ يَدْخُلُــوا دَائِــرَةَ الشَّرِيعَــهْ

وَأُولِعُــوا بِبِــدَعٍ شَنِيعَــهْ

164 ــ لَمْ يَعْمَلُوا بِمُقْتَــضَى الكِتَــابِ

وَسُنَّــةَ الهَــادِي إِلَى الصَّــوَابِ

165 ــ قَدْ مَلَكَــتْ قُلُوبَهُــمْ أَوْهَــامُ

فَالْقَــوْمُ إِبْلِيــسٌ لَهُــمْ إِمَــامُ

166 ــ كَفَــاكَ فِي جَمِيعِهِــمْ خِيَانَــهْ

إِنِ اخْتَالُــوا الدُّنْيَــا بِالدِّيَانَــهْ

167 ــ وَانْتَهَكُــوا مَحَارِمَ الشَّرِيعَــهْ

وَسَلَكُــوا مَسَالِــكَ الخَدِيعَــهْ

168 ــ مَنْ كَانَ فِي نَيْلِ الكَمَالِ رَاجِياً

وَعَــنْ شَرِيعَــةِ الرَّسُــولِ نَائِيــاً

169 ــ فَإِنَّــهُ مُلَبِّــسٌ مَفْتُــونُ

وَعَقْلُــهُ مُخْتَبَــلٌ مَجْنُــونُ

170 ــ هَذَا مُحَــالٌ لاَ يَصِــحُّ أَبَــدَا

لأَنَّ سَيِّــدَ الــوَرَى بَــابُ الهُــدَى

(من 158 إلى 170) ـ يصف الناظم في هذه الأبيات أحوال المخالفين المبتدعة بقوله: أين هو حال من توفرت فيهم الشروط السابقة من المتصوفة الأتقياء؟ أين هم أمام حال أدعياء اليوم الذين يدعون لأنفسهم مراتب جليلة؟ بينما نراهم قد تجنبوا سبل الشرع بمخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهؤلاء لا يمكن اعتبارهم من أهل التصوف لأنهم تنكروا للحقيقة. ذلك لأنهم لم يقتدوا برسول الله r فخرجوا بسبب ذلك عن الدين الإسلامي. كما أنهم لم يدخلوا في نطاق الشريعة، وفضلوا الانسياق خلف البدع والأعمال الشنيعة. ثم أنهم لم يلتزموا بما ورد في كتاب الله، ولا بسنة نبيه محمد الهادي عليه السلام. لقد أصيبوا بأوهام تملكت قلوبهم؛ لأن إبليس اللعين أصبح لهم إمام وقدوة. ويكفيهم عصياناً أنهم سلكوا طريق الخيانة؛ باختيارهم للمغريات الدنيوية بدلاً من الالتزام بالدين وحدود الله. حيث أنهم انتهكوا المحرمات التي قالت بها الشريعة، وساروا في طريق الخداع والرذيلة. ثم يقرر بعد ذلك قائلاً: من كان يرجوا الوصول إلى درجة الكمال؛ بينما هو بعيد عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لا بد أنه مفتون، وعقله

غير سليم ومجنون. ثم يصرح بقوله: هذا الأمر محال ولا يمكن أن يحدث؛ لأنه لا يصح، ولن يتم أبداً؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو باب الهداية ومفتاحها.

171 ـ وَقَالَ بَعْضُ السَّادَةِ الصُّوفِيَّهْ
مَقَالَةً صَادِقَةٍ جَلِيَّهْ

172 ـ إِذَا رَأَيْتَ رَجُلاً يَطِيرُ
أَوْ فَوْقَ مَاءِ البَحْرِ قَدْ يَسِيرُ

173 ـ وَلَمْ يَقِفْ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرْعِ
فَإِنَّهُ مُسْتَدْرِجٌ وَبِدْعِي

174 ـ وَاعْلَمْ بَأنَّ الخَارِقَ الرَّبَّانِي
لَتَابِعُ السُّنَّةِ وَالقُرْآنِ

175 ـ وَالفَرْقُ بَيْنَ الإِفْكِ وَالصَّوَابِ
يُعْرَفُ بالسُّنَّةِ وَالكِتَابِ

176 ـ وَالشَّرْعُ مِيزَانُ الأُمُورِ كُلِّهَا
وَشَاهِدٌ لأَصْلِهَا وَفَرْعِهَا

177 ـ وَالشَّرْعُ نُورُ الحَقِّ مِنْهُ قَدْ بَدَا
وَانْفَجَرَتْ مِنْهُ يَنَابِيعُ الهُدَى

(من 171 إلى 177) ـ يشير الناظم إلى قول بعض السادة من المتصوفة الصادقين؛ جاء فيه: لا تصدق أهل البدع الذين لا يلتزمون بحدود الشرع؛ مهما

حاولوا خداعك باستدراجاتهم وألاعيبهم؛ حتى وإن رأيت أحدهم يطير في السماء أو يسير فوق موج البحر؛ فلا تصدقه؛ لأنه في الحقيقة مشعوذ دجال. ذلك لأن الخوارق الربانية لا تتعارض مع سنة رسول الله وتعاليم القرآن الكريم؛ بل هي تابعة لهما وصادرة عنهما. لذا فالكذب والصواب يتقرران بمقياس السنة والقرآن. فالشرع هو ميزان الأمور كافة؛ إذ يعتبر شاهداً على أصولها وفروعها. والشرع أيضاً يتجلى منه نور الحق، وتنفجر من خلاله ينابيع الهداية والتقى.

178 ـ وَقَالَ بَعْضُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ
السَّالِكِينَ بِصِرَاطِ اللَّهِ

179 ـ مَنِ ادَّعَى مَرَاتِبَ الجَمَالِ
وَلَمْ يَقُمْ بَأَدَبِ الجَلاَلِ

180 ـ فَارْفُضْهُ إِنَّمَا الفَتَى دَجَّالُ
لَيْسَ لَهُ التَّحْقِيقُ وَالكَمَالُ

181 ـ وَمَنْ تَحَلَّى بِحُلَى المَعَالِي
وَبِحُدُودِ اللَّهِ لَمْ يُبَالِ

182 ـ فَفِرَّ مِنْهُ إِنَّهُ شَيْطَانُ
مُخَادِعٌ مُلَبِّسٌ خَوَانُ

183 ـ يَا صَاحِ لاَ تَعْبَأ بِهَؤُلاَءِ
ذَوِي الخَنَى وَالزُّورِ وَالأَهْوَاءِ

184 ـ بَاءُوا بَسُخْطٍ وَضَلاَلٍ وَقَـلَى

لَـمْ يَبْلُغُـوا مَرَاتِـبَ الْمَجْـدِ إِلَى

185 ـ إنْ تَنْظُرِ البَهْمُـوت بِالْعَـرْشِ يُنَـاطْ

أوْ يَلِـجُ الْجَمَـلُ فِي سَـمِّ الخِيَـاطْ

(مـن 178 إلى 185) ـ يشير الناظم إلى قول بعض الأولياء الصالحين القائمين بحدود الله فيقول: لا بد لمن يدعي جمال الخلق أن يلتزم بالآداب الجليلة المقررة في شرع الله. لذا فالواجب هو أن ترفض من أخل بهذا الشرط؛ لأنه كاذب دجال؛ ليس له القدرة على الارتقاء إلى مراتب الكمال. كما أن الذي حلَّى نفسه بأوصاف الرقي والسمو؛ ولم يعطي بالاً لحدود الله؛ لا يستحق المخالطة ولا المصاحبة؛ لأنه يتحلى بأوصاف الشيطان المخادع الخوان؛ لذا فالمطلوب الابتعاد عنه. ثم يطلب الناظم من القارئ أن يهمل أمثال هؤلاء؛ أصحاب الفواحش والكذب والأهواء الساقطة. لأنهم ضلوا ونالوا سخط الله وغضبه؛ فتعذر عليهم الوصول إلى مراتب المجد؛ ولن يحدث ذلك حتى يلج الجمل في سمّ الخياط.

186 ـ هَذَا زَمَانٌ كَثُرَتْ فِيـهِ البِـدَعْ

وَاضْطَرَبَـتْ عَلَيْـهِ أمْـوَاجُ الخِـدَعْ

187 ــ وَخَسَفَتْ شَمْسُ الْهُدَى وَأَفَلَتْ

مِنْ بَعْـدِ مَـا قَـدَ بَزَغَـتْ وَكَمُلَـتْ

188 ــ وَالدِّيـنُ قَدْ تَهَدَّمَتْ أَرْكَانُـهْ

وَالـزُّورُ طَبَّـقَ الْهَـوَى دُخَّانَـهْ

189 ــ وَظُلُمَاتُ الـزُّورِ وَالْبُهْـتَـانِ

تَزَخْرَفَـتْ فِي جُمْلَـةِ الأَوْطَـانِ

190 ــ لَمْ يَبْـقَ مِنْ دِينِ الْهُـدَى إِلاَّ اسْمُـهُ

وَلاَ مِـنْ الْقُـرْآنِ إِلاَّ رَسْمُـهُ

191 ــ هَيْهَاتَ قَدْ غَاضَـتْ يَنَابِيـعُ الْهُـدَى

وَفَـاضَ بَحْـرُ الْجَهْـلِ وَالزَّيْـغُ بَـدَا

192 ــ أَيْنَ رُعَاةُ الدِّينِ أَهْـلُ الْعِلْـمِ

قَـدْ سَلَفُـوا وَاللَّـهِ قَبْـلَ الْيَـوْمِ

193 ــ وَهَاجَتِ الطَّائِفَـةُ الدَّجَاجِلَـهْ

السَّالِكُـونَ لِلطَّرِيـقِ الْبَاطِلَـهْ

194 ــ وَكَثُرَتْ أَهْلُ الدَّعَاوَى الكَاذِبَهْ

وَصَـارَتِ الْبِدْعَـةُ فِيهِـمْ غَالِبَـهْ

195 ــ القَـوْمُ إِذْ زَاغُـوا أَزَاغَ اللَّـهُ

قُلُوبَهُـمْ فَانْسَلَخُـوا وَتَاهُـوا

196 ــ وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ عَنْ خَيْـرِ الْـوَرَى

لَنْ يَخْـرُجَ الدَّجَـالُ أَعْـنِي الأَكْبَـرَا

197 ــ حَتَّى تَقُـومَ قَبْلَـهُ دَجَاجِلَـهْ

كُـلٌّ يَلُـوذُ بِطَرِيـقٍ بَاطِلَـهْ

198 ـ مَنْ لَمْ يَلُذْ بِالْمَنْهَجِ الْمُحَمَّدِي
بَـاءَ بَسُخْـطِ اللّـهِ طُـولَ الأمَـدِ

(من 186 إلى 198) ـ يصف الناظم الزمان الذي عاش فيه؛ وهو القرن العاشر الهجري فيقول: كثرت في زمانه أشكال البدع، واضطربت أيامه بالأهوال المنطوية على الخدع. كما أفلت فيه شمس الهدى بأنوارها الساطعة؛ بعد أن كانت في زمان سابق كاملة النور. كما أن الدين الصحيح في هذا الزمن عرف تزعزعاً في أركانه؛ بسبب ما انتشر من زور وبهتان في كامل الأوطان؛ بحيث لم يتبق من الدين الإسلامي الحنيف إلا اسمه ومن كتاب الله إلا رسمه. فبعداً لهم إذ نضب معين الهداية أمام بحار الجهل والانحراف التي فاضت وعمت. ثم يتساءل: أين هم رعاة الدين والمحافظون عليه من أهل العلم الصحيح؟ ثم يجيب نفسه فيقول: لقد مضوا قبل هذا الزمن؛ الأمر الذي سمح لطائفة من الدجالين المنحرفين بالنمو والظهور؛ فتعددت بينهم المزاعم الكاذبة، وانتشرت فيهم البدع المتنوعة؛ فزاغت قلوبهم وانسلخوا عن دينهم وتاهوا. ثم يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في حديث: أن الدجال الأكبر لن يظهر حتى يسبقه دجاجلة آخرون أتفه

منـه؛ يسلكـون طريقـاً باطلـة. ثـم يقـول: مـن لـم يتبـع منهـج محمـد عليـه السـلام نـال غضـب اللـه وسخطـه طـول الأمـد.

199 ـ هَيْهَـاتَ أنْ يَطْمَـعَ فِي نَيْـلِ الوَفَـا
مَنْ حَـادَ عَنْ شَـرْعِ النَّبِيِّ المُصْطَـفى

200 ـ فَإنَّـهُ هُوَ السِّـرَاجُ الأنْـوَرُ
وَبَـابُ حَضْـرَةِ الإلَـهِ الأكْبَـرُ

201 ـ فَكُـلُّ مَنْ يَرْغَبُ عَنْ سُنَّتِـهِ
فَلَيْـسَ عِنْـدَ اللَّـهِ مِـنْ أمَّتِـهِ

202 ـ مَنْ حَادَ عَنْ سُنَّتِهِ فَقَدْ غَـوَى
وَفِي غَيَابَـاتِ الضَّـلاَلِ قَـدْ هَـوَى

203 ـ المُصْطَفَى خَيْـرُ وَسِيلَـةٍ إلَى
إلَهِنَـا رَبِّ السَّمَـاوَاتِ الْعُـلاَ

204 ـ صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبَـا
وَمَـا إلَيْـهِ قَلْـبُ عَاشِـقٍ صَبَـا

(مـن 199 إلى 204) ـ يستبعـد أن يحـظى مـن حـاد عـن شـرع النـبي المصطـفى وسنتـه بنيـل رضـاه. فالمصطـفى هـو السـراج المنيـر وبـاب الحضـرة الإلهيـة؛ فمـن أعـرض عـن سنتـه فلـن يغـدو عنـد اللـه مـن أمتـه صـلى اللـه عليـه وسلـم ؛ لأن مـن انحـرف عـن سنتـه وتجنبهـا يكـون قـد ضـل وغـوى وفي مهـاوي

المهالــك قــد هــوى. ثــم يضيــف قائــلاً: إن أفضــل وسيلــة للتقــرب مــن اللــه سبحانــه وتعــالى هــو المصطــفى؛ صــلى عليــه اللــه بقــدر مــا هبــت ريــح الصبــا، وبعــــدد مــــا خفــق إليــه قلــب عاشــق صــب.

205ــ يَا أَيُّهَــا المَغْلُــولُ فِي سِجْــنِ الهَــوَى

أَقْبِــلْ لِمَــا عَلَيْــهِ قَلْبُــكَ انْطَــوَى

206ــ وَجِدَّ كُلَّ الجِدِّ فِي اصْطِفَائِــهِ

تَسْتَخْــرِجِ الكُنُــوزَ مِــنْ أَرْجَائِــهِ

207ــ وَالْتَــزِمِ التَّفْوِيــضَ وَالإِنَابَــهْ

فَهَـــذِهِ طَرِيقَـــةُ الصَّحَابَـــهْ

208ــ تَأَنَّسَــتْ قُلُوبُهُــمْ باللَّــهِ

فَأَخْلَصُـــوا أَوْقَاتَهُـــمْ لِلَّـــهِ

209ــ وَاسْتَغْرَقُوا أَوْقَاتَهُــمْ بِالطَّاعَــهْ

عَــلَى بِسَــاطِ الصِّــدْقِ وَالصَّرَاحَــهْ

210ــ النَّاسُ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ هُجَّــعُ

وَالقَـــوْمُ فِيــهِ سُجَّـــدٌ وَرُكَّـــعُ

211ــ حَثُّوا مَطَايَا الحَزْمِ فِي جَــوْفِ الدُّجَــا

تَطْلَــعُ شَمْسُهُــمْ إِذَا اللَّيْــلُ سَجَــا

212ــ فَفِي المُنَاجَــاةِ لَهُــمْ كُئُــوسُ

تُحْــيِى بِهَــا الأَرْوَاحُ وَالنُّفُـــوسُ

213 ــ هُـمُ الْهُـدَاةُ بِهُدَاهُـمْ اِقْتَـدِ
إِلَى مَرَاتِـبِ الوُصُـولِ تَهْتَـدِي
214 ــ وَاكْشِفْ حِجَابَ السِّرِّ بِالتَّفْرِيدِ
بِالْعالَـمِ الأَسْنَـى مَـعَ التَّجْرِيـدِ
215 ــ تَرَى الغُيُـوبَ كُلَّهَـا جَلِيَّـهْ
وَتَرْتَـقِي لِلْحَضْـرَةِ العَلِيَّـهْ
216 ــ وَزَالَ عَنْ مِرْآتِهِ كَشْفُ الغِطَـا
مَـنْ لَـمْ يَـزَلْ فِي حِسِّـهِ مُثَبَّطَـا

(من 205 إلى 216) ــ ينادي الناظم ذلك السجين في سجن الملاذ والمقيد بأغلال الأهواء والضلال؛ فيقول له: عُدْ إلى مايمليه عليك ضميرك إذا صحا؛ واجتهد بجد وإخلاص في اصطفاء قلبك لكي تستخرج ما ينطوي عليه من كنوز؛ ثم التزم الطاعة وتفويض أمرك إلى خالقك؛ لأن هذه هي سنة الصحابة وطريقتهم في الحياة؛ حيث استأنست قلوبهم بذكر الله؛ فأضحت أوقاتهم مخصصة له سبحانه وتعالى فأخلصوا إليه وأطاعوه والتزموا في عبادته الصدق التام. ثم يصف حالهم فيقول: بينما الناس في وسط الليل المظلم نيام؛ يظل ــ بالمقابل ــ أولئك القوم المؤمنون في ركوع وسجود لله عز وجل. فهم حازمون في أعمالهم طوال الليل المظلم؛ الذي تضيئه شمسهم

المنيرة. فمناجاتهم سراً نفحات تحيي الأرواح والنفوس؛ فهم الذين يهدون الضال للسبيل القويم؛ فالواجب هنا يقتضي أن تتقيد بهم لكي تصل إلى المراتب العليا. ثم ينصح السالك في طريق الاجتهاد طالباً منه السعي لكشف حجاب السر بالعزلة والانفراد والتجريد؛ وبذلك يمكن أن تنجلي الغيوب؛ وتحظى بالارتقاء إلى الحضرة العليا. أما الذي تبقى في حسه موبقات ما فلا تنجلي مرآته ولا ينكشف الغطاء عنها.

217ـ فَأَيُّ مَنْ أدْمَنَ قَرْعَ البَابِ
مُنْقَطِعاً عَنْ جُمْلَةِ الأسْبَابِ

218ـ فَإنَّهُ يَرْتَقِبُ الفُتُوحَا
حَتَّى يَصِيرَ صَدْرُهُ مَشْرُوحَا

219ـ مَنْ قَطَعَ العَلاَئِقَ النَّفْسيَّهْ
وَلَجَ بَابَ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّهْ

220ـ فَاشْدُدْ إزَارَ الحَزْمِ وَالمُجَاهَدَهْ
عَسَاكَ تَرْقَ مِنْبَرَ المُشَاهَدَهْ

221ـ وَقِفْ عَلَى بَابِ الكَرِيمِ بَاكِياً
وَكُنْ هُنَاكَ خَائِفاً وَرَاجِياً

222ـ مُعْتَرِفاً بِالذَّنْبِ وَالجِنَايَهْ
عَسَاهُ أنْ يَمُنَّ بِالْهِدَايَهْ

223 ــ فَلَيْسَ لِلْبَابِ الكَرِيـــمِ غَالِقــاً
إذَا تَوَجَّـــــهَ الْمُرِيــــــدُ صَادِقـــــاً

224 ــ وَالصِّـــدْقُ وَالإِخْـــلَاصُ فِي الأُمُــورِ
شَـــرْطٌ بِــهِ يَكُــونُ قَـــدْحُ النُّــورِ

(مــن 217 إلى 224) ـــ يكمـــل الناظـــم نصحـــه للسالـــك فيقـــول: إن الـــذي يواصـــل طَـــرْق بـــاب الكشـــف دون توقـــف؛ وداوم عـــلى ذلـــك؛ منقطعـــاً عـــن الاهتمـــام بأسبـــاب أخـــرى؛ فإنـــه يبـــقى مرتقبـــاً فتـــح البـــاب؛ راضيـــاً، مطمئـــن القلـــب والخاطـــر، منشـــرح الصـــدر، مبتهجـــاً. فكـــل مـــن انقطـــع عـــن الحركـــات النفسيـــة وعلائقهـــا المغريـــة يمكـــن لـــه الدخـــول مـــن بـــاب الحضـــرة القدسيـــة. ولـــكي تتمكـــن مـــن ذلـــك عليـــك بشـــد إزار الحـــزم وضبـــط حـــزام المجاهـــدة في مراتبهـــا الثـــلاث: **التقـــوى، والاستقامـــة، والكشـــف.** فبواسطـــة ذلـــك كلـــه يمكـــن أن تحـــظى بالمشاهـــدة والتمتـــع بالأنـــوار القدسيـــة. عندئـــذ قـــف عـــلى بـــاب اللـــه سبحانـــه وتعـــالى خائفـــاً، باكيـــاً، معترفـــاً بذنوبـــك؛ فقـــد يمـــن عليـــك بالهدايـــة. لأن بابـــه سبحانـــه وتعـــالى لا يغلـــق؛ عندمـــا يتوجـــه المريـــد إليـــه بصـــدق وتقـــوى واستقامـــة. فالصـــدق والإخـــلاص شرطـــان ضروريـــان؛ إذ بهمـــا يتحقـــق قـــدح الزنـــاد لإشعـــال النـــور.

225 ــ يَا عَاشِقاً فِي الدَّرَجَاتِ العَالِيَهْ

اعْلَمْ بِأَنَّ الصَّفَقَاتِ غَالِيَهْ

226 ــ مَا نَالَهَا ذُو الْعَجْزِ وَالتَّوَانِي

إلاَّ بِكَدِّ النَّفْسِ وَالإذْعَانِ

227 ــ فَارْحَلْ إِلَى الْمُهَيمِنِ القُدُّوسِ

وَابْنِ عَلَى تَزْكِيَةِ النُّفُوسِ

228 ــ أفْلَحَ وَاللَّهِ امْرُؤٌ زَكَّاهَا

يَوْماً كَمَا قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا

229 ــ وَاخرقْ طِبَاقَ السَّبْعَةِ الأطْوَارِ

لِكَيْ تَرَى دَقَائِقَ الأسْرَارِ

230 ــ تَرَى مِنَ السِّرِّ المَصُونِ عَجَبَا

وَتَرْتَقِي فِي الدَّرَجَاتِ رُتَبَا

231 ــ وَتُبْصِرُ الشُّمُوسَ مُسْتَنِيرَهْ

جَارِيَةً فِي فَلَكِ البَصِيرَهْ

(من 225 إلى 231) ــ يقول الناظم بصيغة النداء: يا أيها العاشق، المحب، الراغب في الوصول إلى الدرجات العالية؛ اعلم بأن الوصول إليها يتطلب منك أن تقدم ثمناً غالياً. فتلك الدرجات المرغوب فيها لن ينالها المتهاونون والعاجزون؛ بل تتطلب كداً متواصلاً وجهداً نفسياً دائماً، وإذعاناً مطلقاً لشروط المجاهدة. فاتجه بخضوعك نحو المهيمن القدوس؛ وذلك

بترويض النفس وتنميتها وتطهيرها؛ لأن من روضها أفلح من دساها ومن أنقصها خاب. ثم يضيف: ولكي ترى دقائق الأسرار لا بدَّ من اجتياز طباقات السبعة أطوار؛ حيث ترى العجب العجاب من السر المصون، وتسموا في المرتبة بارتقائك الدرجات العالية. وهناك ترى ببصيرتك الشموس المضيئة في فلكها.

232 ـ القَلْبُ كَالْمِرْآةِ لِلتَّجلِّي
يَصْفُوا بِمَا صَفَا لَهُ التَّحَلِّي

233 ـ القَلْبُ عَرْشُ سِرِّهِ الرَّبَّانِي
وَحضْرَةٌ لِلْقُرْبِ وَالتَّدَانِي

234 ـ القَلْبُ هُوَ لَوْحُكَ المَحْفُوظْ
يَا أَيُّهَا المُقَرَّبُ المَلْحُوظْ

235 ـ فَاقْرَأْ سُطُورَ لَوْحِكَ المَكْنُونْ
يُرِيكَ سِرَّ أَمْرِهِ المَصُونْ

236 ـ القَلْبُ سِرُّ اللَّهِ فِي الإنْسَانْ[1]
وَعَرْشُهُ المُحِيطُ بالأَكْوَانْ

237 ـ وَهْوَ مِنْ عَرْشِ السَّمَاءِ أَكْبَرُ
وَذَاكَ مَعْنَى فِي الحَدِيثِ يُذْكَرُ

238 ـ أعْنِي حَدِيثَ الْوُسْعِ لِلتَّجَلِّي
فَاعْرِفْ ذِمَامَ قَلْبِكَ الأَجَلِّي

[1] يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن في الجسد بضعة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد ألا وهي القلب)).

239 ـ القَلْبُ مِشْكَاةُ التَّجَلِّيَاتِ

مَهْمَا خَلاَ مِنْ جُمْلَةِ الآفَاتِ[1]

240 ـ القَلْبُ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ اللَّهِ

وَفِيهِ بَابُ مَلَكُوتِ اللَّهِ

241 ـ القَلْبُ مِنْ عَجَائِبِ الرَّحْمَنِ[2]

أَوْدَعَهُ فِي عَالَمِ الأَبْدَانِ

242 ـ فَالرُّوحُ[3] بَابُ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّهْ

تَحْجُبُهُ العَلاَئِقُ النَّفْسِيَّهْ

243 ـ وَإِنَّمَا يُفْتَحُ بِالأَذْكَارِ

لِحَازِمٍ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

244 ـ إِذَا اعْتَرَاكَ سَقَمٌ فِي القَلْبِ

فَافْزَعْ إِلَى الذِّكْرِ وَلُذْ بِالرَّبِّ

245 ـ وَإِنْ تَكُنْ لَمْ تَنْتَفِعْ بِالذِّكْرِ

فَانْدبْ عَلَى نَفْسِكَ طُولَ الدَّهْرِ

246 ـ فَاخْلَعْ نِعَالَ الكَوْنِ جُمْلَةَ وجي

تَكُنْ عَلَى طُولِ المُنَاجَاةِ نجي

---

[1] يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم)).

[2] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن)).

[3] يتداخل المعنى في الشرع حينما تستعمل كلمات: روح وقلب وعقل ونفس؛ بحيث ترتبط بمدلول واحد أحياناً. أنظر شفاء السائل، ص: **80**.

247 ـ كَيْفَ تُنَادِ لِلتَّنَاجِ فِي طَوَى

وَالقَلْبُ تَحْتَ قَهْرِ سُلْطَانِ الهَوَى

248 ـ لَوْ ذَهَبَتْ عَلَى الحِجَا أَكْدَارَهُ

لَجَاءَ بَعْدَ لَيْلِهِ نَهَارُهُ

249 ـ فَمَنْ رَأى بَوَاطِنَ الأَوَانِي

وَفَهِمَ الأَسْرَارَ وَالمَعَانِي

250 ـ مَنْ غَيَّرَ مَا كَسَبَ لَهُ يُعَانِي

فَذَلِكَ المَخْصُوصُ بِالتَّدَانِي

(من 232 إلى 250) ـ يعالج الناظم في هذه الأبيات موضوع القلب والروح ومكانتهما لدى الإنسان وربه. ففي البيت الأول يشبه القلب بالمرآة من حيث الوضوح والصفاء؛ كما يرى أن القلب بمثابة العرش في الجسم الإنساني لما فيه من أسرار ربانية، وما له من قدرة يمكنها تقريبك من الحضرة المقدسة. كما يعد القلب بمثابة اللوح المحفوظ؛ بما يحتويه من معرفة وبصيرة وقدرة على فك الأسرار. والقلب هو سر الله في الإنسان لما فيه من قدرات تستوعب أسرار الوجود. وقد وردت أحاديث عديدة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنوه بالقلب. ثم يقول: القلب كنز من كنوز الله. كما تعتبر الروح بمثابة الباب للحضرة

القدسية؛ ولكن العلائق النفسية تحجب ذلك الباب؛ ولكي يفتح؛ لا بد من إكثار الأذكار بالليل والنهار. فإذا أحسست بمرض في القلب؛ فما عليك إلا بالذكر والالتجاء للرب سبحانه وتعالى. وإذا لم تستفد بالذكر؛ فليس لك حظ في رحاب الله؛ فما عليك إلاّ ندب حظك السيئ طول حياتك. وبما أن القلب موضوع تحت سلطان الهوى؛ فلا طمع في مناجاة أو نداء. لأن العقل مقيد بما يعلوه من كدر؛ فلو تخلص منه لوضحت الرؤية ونشط العقل بطلوع النهار وانقشاع الليل.

251 ــ وَالغَيْبُ مَحْجُوبٌ عَنِ النُّفُوسِ

بِهَذَيَانِ العَالَمِ المَحْسُوسِ

252 ــ لَنْ يَسْتَفِيدَ المَرْءُ عِلْماً بالإِلَهْ

وَفِي الحِجَى[1] لَمْحَةٌ مِمَّنْ سِوَاهْ

253 ــ وإنْ تُرِدْ مَعْرِفَةً بِالرَّبِّ

فَارْغَبْ إِلَيْهِ صَادِقاً بِالْقَلْبِ

254 ــ وَلاَ تَعُدَّ غَيْرَهُ مَوْجُودَا

فَتَغْتَدِي عَنْ بَابِهِ مَطْرُودَا

255 ــ وَكُنْ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي الدِّينِ

بِالعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَاليَقِينِ

---

[1] الحجى: العقل والفطنة.

256 ــ وَكُنْ عَلَى حُــدُودِهِ مُحَافِظَــاً

وَكُــنْ لِهَــذَا الهَذَيَــانِ رَافِضَــــاً

257 ــ إذْ ذَاكَ فَالْتَفْزَعْ إِلَى التَّخَــلِّي

وَبَعْـــدَهْ فَافْـــزَعْ إِلَى التَّحَـــلِّي

258 ــ وَلاَزِمِ الذِّكْــرَ بِكُــلِّ حَــالِ

وَفِـــرَّ مِــنْ طَــوَارِقِ الخَيَـــالِ

259 ــ فَإِنْ يَفُتْ شَيْءٌ مِنَ الأَنْفَــاسِ

فَــذَاكَ مِــنْ عَلاَمَــاتِ الإِفْـــلاَسِ

260 ــ وَلاَ تَــزَالُ وَاقِفــاً بِالبَــابِ

وَذَاكِـــراً لِلْمَلِـــكِ الوَهَـــابِ

261 ــ حَتَّى تَرَى الهِمَّةَ قَدْ تَجَمَّعَــتْ

وَفِكْــرَةَ الجَنَــانِ[1] قَــدْ تَوَسَّعَـــتْ

262 ــ وَكُلُّ مَا يَغْشَاكَ فِي السَّبِيــلِ

مِــنْ وَارِدٍ فَانْقَلْـــهُ لِلدَّلِيـــلِ

(مــن 251 إلى 262) ــ يبـدأ الناظـم هــذا المقطـــع بتقريــر: أن أمــور الغيــب ستبــقى محجوبــة عــن النفـــوس؛ مــا دامــت منشغلــة بهذيــان العالــم المحســوس. لــذا فلـــن يستفيــد الإنســان بالعلــم الــذي يُعَرِّفُــه بالإلــه ويقربــه منــه؛ مــا دام قلبــه منشغــلاً بغيــره. لأن معرفــة اللــه تتطلــب مــن الإنســان التقــرب إليــه بقلــب صــادق. فــإذا أشركــت بــه

[1] الجنــان: القلــب لاستتــاره في الصــدر. والجنــان مــن كــل شــيء: جوفــه.

وآمنت بوجود غيره؛ طردت عن أبواب رحمته. ثم يوجه الناظم نصحه للقارئ بقوله: عليك بالتبصر في شئون الدين؛ بواسطة العلم الصحيح، والتحقيق الجيد والتيقن مما حققت فيه. وعليك أن تحافظ على حدود الله، وأن ترفض كل ما يستدعي الهذيان أو السفسطة، وتبتعد عن تداعيات الخيال الزائفة. وعليك أيضاً أن تلتزم بذكر الله في الأحوال كلها. ولا تسمح لنفسك بالتراخي؛ حتى لا تصل بها إلى حدود الإفلاس. وداوم على الذكر، والوقوف على العتبات المقدسة؛ حتى تلتئم همتك وتتوسع آفاق قلبك.

263 ــ وَذِكْرُ أَهْلُ الفَضْلِ وَالبَصَائِرْ

يُوَازِنُ الثَّلاَثَةُ الدَّوَائِرْ

264 ــ دَائِرَةُ الإِسْلاَمِ وَالإِيمَانِ

فَوْقَهُمَا دَائِرَةُ الإِحْسَانِ

265 ــ وَذَاكَ باللِّسَانِ وَالْجَنَانِ

وَالرُّوحِ وَهْوَ مَنْصِبُ الإِحْسَانِ

266 ــ فَالْقَلْبُ تُرْجُمَانُهُ اللِّسَانُ

وَالرُّوحُ تُرْجُمَانُهُ الجَنَانُ

267 ــ فَلاَ يَزَالُ باللِّسَانِ يُذْكَرُ

حَتَّى يَصِيرَ أَبَداً لاَ يَفْتُرُ

268 ــ حَتَّى إِذَا مَا اسْتَغْرَقَ اللِّسَانُ

فِيهِ إِلَيْهِ التَفَتَ الجَنَانُ

269 ــ حَتَّى يَصِيرَ القَلْبُ لَيْسَ يَفْتَـرُ
فَيَصْمُـتُ اللِّسَـانُ وَهْـوَ يَذْكُـرُ
270 ــ حَـتَّى إذَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الذِّكْرُ
وَلَـمْ يَكُـنْ لَـهُ عَلَيْـهِ صَبْـرُ
271 ــ وَاتَّسَعَـتْ دَائِـرَةُ الأفْكَـارِ
وَأوْمَضَـتْ سَوَاطِـعُ الأنْـوَارِ
272 ــ تَوَجَّـهَ القَلْـبُ إلَى مَـوْلاَهْ
وَلَـمْ يَلُـذْ بَأحَـدٍ سِـوَاهْ
273 ــ وَلاَ يَـزَالُ ذَاكِـراً بِقَلْبِـهِ
وَجَامِعـاً هِمَّتَـهُ بِرَبِّـهِ
274 ــ حَـتَّى يَصِيرُ لَفْظُهُ مُسْتَنْسَخـاً
وَيَرْجِـعُ المَعْـنَى بِـهِ مُرْتَسِخـاً
275 ــ وَصَـارَ كَالغِـذَاءِ لِلْقُلُـوبِ
كَالْجِسْـمِ بِالطُّعُـومِ وَالْمَشْـرُوبِ
276 ــ فَتَسْتَفِيقُ الرُّوحُ مِنْ إغْمَائِهَـا
وَانْبَـثَّ نُـورُ الذِّكْـرِ فِي أرْجَائِهَـا
277 ــ وَآلَـتِ الحَقِيقَـةُ النَّفْسِيَّـهْ
رَجُوعُهَـا لِلْحَضْـرَةِ القُدْسِيَّـهْ
278 ــ وَلاَحَـتْ أنْـوَارُ المُغَيَّبَـاتِ
وَذَاكَ مَبْـدَأُ المُكَاشَفَـاتِ
279 ــ حِينَئِـذٍ تَنْقَـدِحُ الأنْـوَارُ
وَتَظْهَـرُ الغُيُـوبُ وَالأسْـرَارُ

(من 263 إلى 279) ــ وفي هذه الأبيات يعرف الناظم القراء بالدرجات التي يتبعها السالك في طريق الذكر؛ فيقول: إن الذكر المتبع من قبل أهل الفضل وأهل البصيرة يتوازن ويتوافق مع دوائر ثلاث: الدائرة الأولى هي دائرة الإسلام، والدائرة الثانية هي دائرة الإيمان، والدائرة الثالثة هي دائرة الإحسان. ويتم الذكر بواسطة ثلاثة قوى هي: اللسان، والقلب، والروح التي ترتبط بمنصب الإحسان. ويتم الذكر بتدرج؛ حيث يشرع اللسان بالذكر، ثم القلب، وأخيراً الروح؛ لأن ترجمان القلب هو اللسان، بينما يكون القلب ترجماناً للروح. وعليه يبدأ اللسان بالذكر حتى يتعود؛ ولا يتوقف إلى أن يرسخ الذكر في القلب، ويتعود عليه ويندمج به اندماجاً مطلقاً؛ عندها يتوقف اللسان عن الذكر؛ وينتقل العمل إلى القلب الذي يستولي عليه وتتسع دائرة الأفكار، وتسطع الأنوار فيه؛ فيلجأ القلب عندئذ إلى مولاه بالذكر حتى تصير الألفاظ مستنسخة وراسخة؛ فيغدو الذكر كالغذاء للقلب؛ ومثل المآكل المتنوعة والمشروبات المختلفة للجسم؛ لا يمكن الاستغناء عنه. عندها تستفيق الروح من خمودها وإغمائها؛ وذلك عندما تنبث أنوار الذكر فيها؛ فيحصل ــ عندئذ ــ ما يرجوه السالك عندما تعود الحقيقة النفسية إلى

الحضـــرة القدسيـــة. فتنجـــلي أنـــوار الغيـــــب؛ وهـــــذا هـــــو منطلـــق الكشـــف. عندهـــا تسطـــع الأنـــوار وتظهـــر الأســـرار والغيـــوب.

280 ــ وَهَاهُنَــا مَوَاقِــفٌ عَظِيمَــةٌ
وَفِتَـــنٌ خُطُوبُهَـــا جَسِيمَـــةٌ

281 ــ تَــزِلُّ فِي خُلَلِهَــا[1] الأَقْــدَامُ
وَكَــمْ تَضِــلُّ عِنْدَهَــا الأَحْــلاَمُ

282 ــ فَإِنْ يَقِفْ بِهَا امْــرُؤٌ بِهَا سُلِبْ
وَعَنْ جَمِيــعِ الدَّرَجَــاتِ قَــدْ حُجِــبْ

283 ــ وَكَــمْ أخَا جَهْلٍ بِذَاكَ طُــرِدَا
وَاللَّــهُ يَهْــدِي مَــنْ يَشَــاءُ لِلْهُــدَى

284 ــ فَمَــنْ يَقِــفْ بِفِتَــنِ البِدَايَــهْ
حُجِــبَ عَــنْ مَرَاتِــبِ النِّهَايَــهْ

285 ــ فَمَنْ يَكُنْ مَقْصُــودُهُ مُتَّحِــدَا
وَلَــمْ يَكُــنْ مُلْتَفِتــاً لِمَــا بَــدَا

286 ــ فَــذَاكَ بَالِــغٌ إِلَى مَقْصُــودِهِ
وَوَاقِـــفٌ بَيْــنَ يَــدَيْ مَعْبُـــودِهِ

287 ــ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ عَنْ بَصِيرَتِهْ
وَيَقْــذِفُ الأَنْــوَارَ فِي سَرِيرَتِــهْ

288 ــ وَلاَ يَــزَالُ جُمْلَــةَ الأَوْقَــاتِ
يَجُــوبُ أطْــوَارَ التَّجَلِيَــاتِ

[1] الخلــل مفــرد خــلال: منفــرج مــا بيــن كــل شيئيــن.

289 ـ حَتَّى يَحِلَّ بِسَنَامِ الطُّورِ

فينتهي لحظه في النور[1]

290 ـ وَيَنْتَهِي لِحَضْرَةِ الدُّنُوِّ

بِقَدْرِ حَظِّهِ مِنَ العُلُوِّ

291 ـ فَصَارَ إِذْ ذَاكَ يُنَاجِي رَبَّهُ

فَزَجَّ فِي بَحْرِ العُلُومِ قَلْبَهُ

292 ـ وَفَتَحَ البَابَ لَهُ فِي قَلْبِهِ

وَصَارَ مِنْهُ آخِذاً عَنْ رَبِّهِ

293 ـ فَرُدَّ نَحْوَ مَرْكَزِ البِدَايَهْ

إِذْ حَلَّ فِي دَرَجَةِ الوِلاَيَهْ

294 ـ وَصَارَ وَارِثاً عَلَى الحَقِيقَهْ

وَمُرْشِداً لِسَائِرِ الخَلِيقَهْ

(من 280 إلى 294) ـ يتكلم الناظم في هذه الأبيات عن المرحلة التي يصل فيها السالك إلى مرتبة الكشف؛ حيث يقول بأنها مرحلة خطيرة وعظيمة الشأن؛ ففيها قد تَزِلّ قدم السالك في مهاوي المهالك.[2] لأن هذه المرحلة لا يطيقها إلا أهل التقى

[1] هذا البيت عجزه غير موزون ولا مفهوم؛ ويبدو أن الناسخ نسي كلمة؛ وقد تكون "في"؛ فيصبح الشطر هكذا:

فينتهي في لحظة في النور

[2] أشار ابن خلدون إلى هذا الأمر بقوله: ((قد يكون صاحب المشاهدة متجاوزاً لمقامها، متمكناً فيه؛ فيكون أثبت لهذا التجلي وأقوى على احتماله؛ فإن المريد إذا استولى على مقام فهو ما دام يستولي عليه يتمكن فيما قبله. قال الأستاذ أبو القاسم [القشيري] في

والاستقامة الصادقة. فإن تعثر السالك في هذا الطريق ضاع وضيع أحلامه في كشف الحجاب. لأن ثمة كثير من الجهلة خابوا وطردوا وحجبوا. أما الذي صدق في سعيه ونبذ الأغراض المشبوهة وعمل في الذكر والمجاهدة بإخلاص؛ فإنه واصل إلى مقصده، ومحقق لهدفه في الكشف والوقوف بين يدي ربه. فيحظى بكشف الحجاب عن بصيرته، وبث الأنوار في سريرته. وهكذا يظل طوال أيامه يجوب أطوار التجليات، وينعم بالقرب والدنو بقدر حظه من السمو. وبذلك ينفتح باب الحضرة في قلبه؛ فيغدوا آخذاً عن ربه؛ فيمنح درجة الولاية، ويصبح مرشداً وعالماً بالحقيقة.

295 ــ فَهَذِهِ طَرِيقَةُ الرِّجَالِ
وَآلَ أَمْرُهَا إِلَى الزَّوَالِ

296 ــ وَكَثُرَ المُلَبِّسُونَ فِيهَا
وَصَارَ ذُو البِدْعَةِ يَدَّعِيهَا

297 ــ وَأَسَفَا عَلَى الطَّرِيقِ السَّابِلَةْ
أَفْسَدَهَا الطَّائِفَةُ الدَّجَاجِلَةْ

باب البوادة [البوادة أو الهواجم هي ما يفاجأ القلب للوهلة من الحزن أو السرور] ومنهم من يكون فوق ما يفجأه حالاً وقوة؛ أولئك هم سادة الوقت. ولما رجع من رجع منهم من هذا السفر فائزاً بالغنيمة، حاصلاً على الغاية؛ حذروا من غرر ها الطريق وخطره حتى في نفس المقصد الذي أقله النجاة. أعاذنا الله؛ فإن سلم من هذا كله فقد فاز فوزاً عظيماً)). شفاء السائل، ص: 32.

298 ـ قَدْ أحْدَثُوا طَرِيقَةً بِدْعِيَّهْ
وَرَفَضُوا طَرِيقَةَ الشَّرْعِيَّهْ

299 ـ يَا عَجَباً لِرَافِضِ الشَّرِيعَهْ
وَيَدَّعِي دَرَجَةً رَفِيعَهْ

300 ـ وَكَيْفَ يَرْقَى سُلَّمَ الحَقِيقَهْ
مُخَالِفٌ لِسَيِّدِ الخَلِيقَهْ

301 ـ وَاحَسْرَةً عَلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمْ
قَدِ ادَّعَاهُ كُلُّ أفَّاكٍ أثِيمْ

302 ـ قَدْ أشْرَفُوا عَلَى كُهُوفِ الكُفْرِ
وَسَتَرُوا بِدْعَتَهُمْ بِالفَقْرِ

303 ـ وَاتَّخَذُوا مَشَائِخاً جُهَّالاَ
لَمْ يَعْرِفُوا الحَرَامَ وَالحَلاَلاَ

304 ـ لَمْ يَقِفُوا عِنْدَ حُدُودِ اللَّهِ
وَسُنَّةِ الهَادِي رَسُولِ اللَّهِ

305 ـ فَنَفَّرُوهُمْ مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ
أولِي التُّقَى وَالعِلْمِ وَاليَقِينِ

306 ـ فَأعْرَضُوا عَنْ سُبُلِ الرَّحْمَنِ
وَاتَّبَعُوا مَسَالِكَ الشَّيْطَانِ

307 ـ وَهَدَّمُوا قَوَاعِدَ الإسْلاَمِ
وَاعْتَبَرُوا خَرَائِفَ الأوْهَامِ

308 ـ وَعَكَسُوا حَقَائِقَ الأمُورِ
وَنَصَبُوا حَبَائِلَ الفُجُورِ

309 ـ وَأولِعُوا بشَهَوَاتِ النَّفْسِ

لِكُلِّ بِدْعِيٍّ لَهُمْ تَأسٍ

310 ـ وَجَعَلُوا مِلْءَ البُطُونِ أصْلَهُمْ

بَنَوْا عَلَيْهِ أمْرُهُمْ وسبلهم

311 ـ بُعْداً لِقَوْمٍ ألْحَدُوا فِي الدِّينِ

وَاشْتَغَلُوا بِطَاعَةِ اللَّعِينِ

312 ـ وَأولِعُوا بالإفْكِ وَالتَّلْبِيسْ

تَأسِياً بِشَيْخِهِمْ إبْلِيسْ

313 ـ وَأسَفَا عَلَى حُمَاةِ الدِّينْ

أولِي الذَّكَا وَالعِلْمِ وَالتَّمْكِينْ

314 ـ آهٍ عَلَى طَرِيقَةٍ قَدْ ذَهَبَتْ

وَهُدِّمَتْ أصُولُهَا وَقُلِبَتْ

315 ـ وَهَاجَ إفْكُ الْمُدَّعِينَ فِيهَا

وَصَارَ مَنْ يَطْلُبُهَا سَفِيهَا

316 ـ آهٍ عَلَى طَرِيقَةِ الكَمَالْ

أفْسَدَهَا طَائِفَةُ الضَّلاَلْ

317 ـ آهٍ عَلَى طَرِيقِ أهْلِ الَّلهِ

آهٍ عَلَى طَرِيقِ حِزْبِ اللَّهِ

318 ـ طَرِيقَةٌ أفْسَدَهَا أهْلُ البِدَعْ

فَتُرِكَتْ مَهْجُورَةً لاَ تُتَّبَعْ

319 ـ طَرِيقَةٌ أفْسَدَهَا الفُجَّارُ

فَكَثُرُوا وَانْتَشَرُوا وَثَارُوا

320 ـ وَظَهَـرَتْ فِي جُمْلَةِ البِـلاَدِ

طَائِفَـــــةُ البَلْـــــــعِ وَالازْدِرَادِ

321 ـ قَدْ أحْسَنَ الوَالِدُ فِي العِبَـارَهْ

إذْ قَـالَ قَـوْلاً صَـادِقَ الإشَـارَهْ

322 ـ فَقَالَ فِي أولَئِـكَ الدَّجَاجلَـهْ

مَقَالَـــــةً صَادِقَـــــةً وَعَادِلَــــــهْ

323 ـ وَزَنْتُهُمْ بالشَّرْعِ فَهْـوَ نَـائِي

مِنْهُـمْ كَمِثْـــلِ الأرْضِ وَالسَّمَـــاءِ

324 ـ وَزَنْتُهُـمْ بِمِنْهَـاجِ الحَقِيقَـهْ

فَلَـمْ أجِـدْ لَهُـــمْ مِنْهَـا دَقِيقَــــهْ

325 ـ بَلْ هَتَكُوا مَحَـارِمَ الشَّـرْعِ القَوِيـمْ

فَنُكِّبُـوا عَـنِ الصِّـرَاطِ المُسْتَقِيــــمْ

326 ـ فَكَـانَ ينمهـم إلَى الدَّجَّـانِ

فَارْحَمْـهُ يَـا ذَا الفَضْـلِ وَالإحْسَـانِ

327 ـ يَا وَيْلَتِي هَذَا زَمَـانُ البِـدَعِ

مَـاتَ بِـهِ أهْـلُ التُّـقَى وَالْـوَرَعِ

328 ـ وَاحَسْرَتِي عَلَى الْكِرَامِ البَـرَرَهْ

قَـدَ أُخْلِفُـوا بِالْمُدَّعِيـن الفَجَــرَهْ

(مـن 295 إلى 328) ـ يعالـج الناظـم في هـذه القطعـة موضـوع الدجاليـن المدعيـن زوراً للتصـوف. فيستهـل القـول

بالتنويه بالطريقة الصحيحة التي قال فيها أنها طريقة الرجال الصالحين؛ ولكنها زيفت وحرفت؛ فآل أمرها إلى الزوال؛ بسبب الخلط والمشابهة على أيدي المدعين من أهل البدع. ثم يتأسف على الطريقة الصحيحة التي أفسدها الدجاجلة؛ الذين أحدثوا طريقة مبتدعة، ورفضوا الطريقة الشرعية. وبعدها يتعجب من الذي يدعي المرتبة الرفيعة في الدين؛ بينما هو متنكر ورافض للشريعة. ثم يتساءل: كيف يطمع المخالف لسيد الخليقة في الرقي وتسلق سلم الحقيقة؟ وبعدئذ يتحسر على الصراط المستقيم؛ الذي يدعي الأفاكون والآثمون باجتيازه؛ أولئك الأفاكون الذين ستروا بدعتهم بادعاء الفقر والزهد؛ وتداروا وراء مشائخ جهلة لا يفرقون بين الحلال والحرام، ولا يحترمون حدود الله، ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأمثال هؤلاء الجهلة؛ تسببوا في نفور الناس من أهل العلم الصادق، ورعاة الدين الحنيف. وبذلك تراهم قد ابتعدوا عن السبل الواصلة بالله؛ في الوقت الذي تراهم قد سلكوا الطرق المؤدية إلى الشيطان. فوصل بهم الحال إلى تهديم أركان الإسلام؛ باعتقادهم في الخرافات والأوهام. ثم يقول عنهم أنهم عكسوا الحقائق، ونصبوا الفخاخ والمغريات لنشر الفجور. كما افتتنوا بشهوات النفس، وألحدوا في الدين، واشتغلوا

بطاعة الشيطان اللعين. ثم يتأسف على غياب العلماء المتمكنين؛ من أهل الذكاء والعلم؛ الذين أوقفوا أنفسهم على حماية الدين الحنيف. ثم يقول متأوهاً: آه على طريقة الصوفية المؤدية للكمال؛ تلك الطريقة التي أفسدها أهل الضلال والفجور؛ فتعرضت أصولها للتهديم بهياج المدعين، الكاذبين، المزورين. وهكذا ظهرت في أرجاء البلاد طائفة لا يهمها سوى البلع والازدراد. ثم يشير إلى ما قاله والده بخصوصهم فيقول: لقد صدق الوالد في وصف أولئك الدجاجلة حين قال: وزنتهم بالشرع فوجدت أنهم بعيدون عنه كبعد الأرض عن السماء. ووزنتهم بمنهاج الحقيقة فلم أجد لهم منها ذرة من الحقيقة؛ لأنهم هتكوا محارم الشرع القويم، وخرجوا عن الصراط المستقيم. ثم يقول: يا ويلتي هذا زمان البدع؛ الذي غاب فيه أهل التقى والورع؛ ثم يتحسر على الكرام البررة الذين استُخلفوا واستُبدلوا بالفجرة والمدعين للعلم.

329 ــ وَجَدَنِي العَذُولُ يَوْماً بَاكِيَا

وَبحَدِيثِ سَادَتِي مُنَادِيَا

330 ــ وَا أسَفَا بَادُوا فَمَنْ لِي مُرْشِدَا

فَقَالَ جَاهِلاً بِأمْرِي مُنْشِدَا

331 ــ يَا أيُّهَا التَّائِهُ فِي البَيْدَاءِ

مَا لِي أرَاكَ دَائِمَ البُكَاءِ

332 ـ أرَاكَ نَائِحـاً عَـلَى الآثَـارِ
وَالطَّلَـلِ البَـالِي رُسُـومَ الـدَّارِ
333 ـ مَهْلاً عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْكِيـنُ
أخَـافُ أنْ يَأتِيَـكَ المَنُـونُ
334 ـ فَقُلْـتُ إِنِّيَ يَـا أخِي أنُـوحُ
عَـلَى فِـرَاقِ سَـادَتِي أصِيـحُ
335 ـ قَـدْ رَحَـلُوا قَاطِبَةً وَذَهَبُـوا
طُـراً وَمَـا عَلِمْـتُ أيْـنَ ذَهَبُـوا
336 ـ وَلاَ أزَالُ هَكَـذَا مُسْتَمْسِكَـا
عَـسَى دَلِيـلُ القَـوْمِ يَسْمَـعُ البُكَـا
337 ـ وَإنْ أمُتْ أمُوتُ فِي هَوَاهُـمْ
إذْ لَيْـسَ لِي مِـنْ سَـادَةٍ سِوَاهُـمْ
338 ـ وَأسَفَا عَلَى الرِّجَالِ الكَامِلِيـنْ
قَـدْ ذَهَبُـوا بَيْـنَ الْعِبَـادِ خَامِلِيـنْ
339 ـ فَسُتِـرُوا بِظُلُمَـاتِ الْبِـدَعِ
فَلَـمْ يَبِيـنَ صَـادِقٍ مِـنْ مُـدَّعِ
340 ـ وَذَهَبُوا وَاللَّـهِ فِيمَـنْ ذَهَبَـا
وَسَكَنُـوا بِالْفَلَـوَاتِ وَالـرُّبَى

(من 329 إلى 340) ـ يقول الناظم في هذه الأبيات: أن أحدهم ممن يجهل أمره؛ قد لامه على بكائه لغياب شيوخه الموجهين المرشدين؛ إذ قال له:

ما لي أراك تائهاً في البيداء، ودائم البكاء، تنوح على الآثار والأطلال البالية؛ هلاَّ أشفقت على نفسك ـ يا مسكين ـ من الأسقام والموت. فأجابه الناظم قائلاً: أنه يبكي على فراق شيوخه؛ الذين رحلوا بكاملهم دون أن يعلم مكان إقامتهم؛ ثم أضاف: فإذا مت فسأموت حباً فيهم. ثم يتأسف على الرجال الكاملين؛ الذين اختاروا سبيل الخمول؛ ولكن حجبتهم ظلمات البدع، وهكذا؛ اختلط الأمر؛ فلم يعد فرق بين الصادق والمدّع؛ وعلى هذا فقد اختار الشيوخ الصادقون الذهاب إلى الفلوات والرّوابي.

341 ـ وَمَنْ يُرِدْ مَعْرِفَةً بِالبِدَعِ

وَمَا يُبْنَى عَلَيْهِ أصْلُ المُدَّعِي

342 ـ فَفِي كِتَابِ شَيْخِنَا الزَّرُّوقِ

عَجَائِبٌ فَائِقَةُ الرُّتُوقِ

343 ـ ثُمَّ صَلاَةُ اللَّهِ كُلَّ حِينْ

عَلَى أجَلِّ مَنْ أتَى بِالدِّينْ

345 ـ مُحَمَّدٍ سُلْطَانِ أهْلِ الحَضْرَةِ

وَآلِهِ أجَلِّ كُلِّ زُمْرَةِ

346 ـ فِي أرْبَعٍ وَأرْبَعِينَ قَدْ نَجَزْ

مِنْ عَاشِرِ القُرُونِ قُلْ هَذَا الرَّجَزْ

(من 341 إلى 346) ـ وفي الختام ينصح الناظم كل من يرغب في الإطلاع، ومعرفة أهل البدع وأعمالهم؛ أن يقرأ كتاب **الزروق الفاسي**؛ لأن به عجائب ذات منعة وعز كبرين.

*****

خامساً ــ الرائية في مدح الرسول لى الله عليه وسلم:

تفضل الأستاذ **محمد يزيد العلوي** فمنحني نسخة من القصيدة الرائية للعلامة **عبد الرحمن الأخضري**؛ مأخوذة من أحد المخطوطات؛ كان قد جلبها من **غرداية** زميله الأستاذ **سعد السعود خشاب**. وهي في مدح الرسول صلى الله علية وسلم، وفي الوعظ. نظمها من البحر البسيط؛ وهي في 163 بيتاً. ويبدو أن مستوى النسخ كان ضعيفاً للغاية؛ ويتجلى ذلك من خلال الأخطاء الإملائية، والخط الرديء. ومع هذا فقد حاولت تحقيقها وشرح بعض مفرداتها؛ فأرجو من الله التوفيق، وألتمس من القارئ العذر إذا ما خانني الحظ.

وقبل الشروع في قراءة القصيدة؛ أعرف القارئ الكريم بأن الناسخ أخفق في نسخها بشكل صحيح؛ وعليه فقد اضطررت إلى وضع خط تحت الشطر أو البيت المضطرب؛ بفعل كلمات غير مفهومة أو خلل في الوزن. وقد حاولت إصلاح الأخطاء بما تيسر. ونظراً لانعدام نسخة أخرى يمكن بواسطتها المقارنة والتحقق؛ فقد اكتفيت بوضع تلك الخطوط لكي يتسنى فيما بعد التحقق منها؛ إذا ما توفرت نسخة أو أكثر من القصيدة.

الحمد الله طول الدهر والعمر

ثم الصلاة على المختار من مُضَرِ

يا ثاقب النور[1] ما أسناك من قمر

هل اطلعت على أرض بها وطري

ألفيت صب الهوى يوما بعلته

جهلاً بحب لما في الجهل من ضرر

يا سايح الطَّرف ما للطِّرف سابحة

تغدوا البطاح ولا تشكوا من الضجر[2]

قَلا الصبابة لي والعِينُ قد فصلت[3]

وما وجدت لهذا العين من أثر

ومن مفارقة المحبوب قد بلغت

نفسي التراقيَ[4] لولا سابق القدر

إني أبيت من الأشواق في كمد

وما سئمت من (التخميم)[5] والسهر

---

[1] يا ثاقب النور: أي يا ذا النور الثاقب.

[2] سَاحَ الماء جرى على وجه الأرض؛ فهو ماء سائح. الطَرفُ: العين؛ وطرف طرفاً عينه: أصابها بشيء فدمعت. الطِّرف بكسر الطاء: الخيل الكريمة العتيقة. سبح سبحاً: أبعد في السير. غَدا غُدُوًا: ذهب غدوة: أي انطلق. البِطَاحُ مفردها بطحاء: مسيل واسع برمال وحصى.

[3] قَلا: لوعة وحرقة. والصبابة: الشوق والحنين. العِينُ (بكسر العين) ـ هنا ـ هي بقر الوحش. فصلت: تقول: فصل فلان عن البلدة: خرج منها.

[4] المقصود هنا بالتراقي: التعوذ عند المرض أو الإصابة بشيء مكروه. وقد خالفت هذه الكلمة القياس.

[5] كتبها الناسخ: "الأخمام" ويبدو أنها "التخميم"؛ وهي كلمة عامية معناها: التفكير. وهي تخالف المعنى الفصيح لكلمات: خمم وخمامة: أي القمامة.

فليس مثلي من السّهّار من أحد

كيف السآمة للعشاق من (سمر)[1]

قد هب ريح الصَّبَا والقلب منه حَدَى

وعاد حال الصِّبَا في المهد من صغر[2]

قف يا حَمام على ربع شغفت به

واحمل سلامي إلى المحبوب واختبر

جاش الحَمام خلال الدار محتفلاً

وخالف القلب في أشواقه النُّكَر

لما رأيت حمام الدار سطحه[3]

شوق التلاقي إلى الأوطان والوكر

تضرم القلب من أشواقه أسفاً

وعدت مثل تَريف[4] العقل من سَكَر

غنى حمام الهوى بالشوق مضطرباً

فأضرم القلب نار الوجد بالسحر

فالقلب مضطرم والروح نائحة

(والبَثُّ يؤلمني فالحزن كالإبر)[5]

والنفس مني لذيذ العيش فارقها

وأسلمت نومها العينان في السهر

---

[1] كتبها الناسخ "سهر". وربما تكون "سمر"؛ لأن ضرب البيت السابق "والسهر".

[2] الصَّبَا بنصب الصاد المشددة: الريح الشرقية. الصِّبَا بكسر الصاد المشددة: الصغر.

[3] سطحه: صرعه، وأضجعه.

[4] يقال: رجل مُتْرَفٌ: إذا أبطرته النعمة وسعة العيش. والمترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها. وكلمة تريف مخالفة للقياس.

[5] هذا الشطر غير مفهوم ولا موزون. يمكن قراءته كما جاء بين قوسين.

فاشتـــد حالي فما دائي بمنكشـــف

ولا سمعـــت عن المحبوب من خبـــر

فأصبحـــت بعده الأزواج باكيـــة

لما أهـــاج نسيم الوجـــد بالسحـــر

والعيـــن مني قد انْهَلَّـــتْ مدامعهـــا

جوف الدجى[1] لتريق الدمع كالمطـــر

يا عـــاذل الصّب إن الحب قاهـــره

كيف الحبيب سرى في السمع والبصر

إن الصبابـــة لا تخـــفى غوائلهـــا

وأمرها من قديم الدهـــر والعُصُـــر

وكم محـــب قديم الشـــوق جرعـــه

كأس الحِمَام[2] فما للعمـــر ذا بطـــر

فالقلب مني بنار الشـــوق مشتعـــل

مازال قلب شديد الحـــزن منكســـر

واهتزت الروح بالأشواق واضطربت

وأثَّـــرَ الحـــب فيهـــا أيمـــا أثـــر

إن قلت أي حبيب قد شغفت بـــه

أقـــول هذا حبيب اللـــه في البشـــر

---

[1] جـوف الـدجى: بطـن الليـل وأعماقـه.

[2] الحِمَـام بكسـر الحـاء: المـوت.

محمــــد خيـــر من يمشي على قـــدم

خيـــر الورى سيد الأملاك والنـــدر[1]

هذا محمَّـــدٌ الْمَخصوص بالشـــرف

من جاء بالروح والتوسيع والبشـــر[2]

هذا المقـــرب هذا المستغـــاث بـــه

هذا شفيع الورى في الموقف النكـــر

هذا رســـول كريـــم ما له كفـــؤ

هـــذا المفضـــل هذا سيـــد البشـــر

أمـــا الجمـــال فلا تـــدرك نهايتـــه

(فالبدر يسمو إذا ينأى عن البصـــر)[3]

أزكى الخليقـــة[4] ذو جيد ومبتســـم

أصفا من الذهب الإبريـــز والـــدرر

وفي الجـــوار[5] تلالا[6] مـــن تبسمـــه

نور كبرق يرى من فيه ذي العطـــر

وإن سألت عن الأخلاق والشيـــم

فليس فوق كتاب اللـــه من خيـــر[7]

---

[1] النـــدر: مـــا شـــذ، ومـــا فصـــح وجـــاد مـــن الكـــلام. ونقـــول: نـــادرة الزمـــان: أي وحيـــد عصـــره.

[2] البشـــر هنـــا: الســـرور والبشاشـــة والخبـــر المفـــرح.

[3] هـــذا الشطـــر غيـــر مفهـــوم ومختـــل الـــوزن ويمكـــن قراءتـــه كمـــا جـــاء بيـــن قوسيـــن.

[4] نقـــول: زكـــاه اللـــه: أي طهـــره.

[5] الكلمـــة هنـــا هي "جـــدار" ولكنهـــا غيـــر مفهومـــة؛ ويمكـــن وضـــع كلمـــة "جـــوار" بـــدلا منهـــا.

[6] اضطـــر الشاعـــر إلى استبـــدال "تـــلألأ" بكلمـــة "تـــلالا" بـــدون همـــزة لـــكي يستقيـــم الـــوزن.

[7] لأن خلقـــه القـــرآن صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم؛ كمـــا قالـــت عائشـــة رضي اللـــه عنهـــا.

يزهـــو بوجه كريم البسط مبتهـــج

بالعفـــو ملتحف كالبـــدر منسفـــر[1]

متـــوج بـــرداء العـــز مكتنـــف

بالحسن متصف أسنـــا من القمـــر

هو النـــبي الذي جلـــت محاسنـــه

وما لبهجتـــه مَثَـــلٌ مـــن الصـــور

أكـــرم بآيـــة ما أبـــدت أناملـــه

من خير ماء لذيذ الطعـــم منهمـــر[2]

والانشقـــاق لهـــذا البـــدر منزلـــة[3]

على الكواكب ما أسناه من قمـــر

تأســـف الجذع[4] إنكـــاراً لفرقتـــه

وحن مثل حنين الطِّـــرْفِ والجـــزر[5]

وآية الغـــار لا تخـــفى عجائبهـــا[6]

لمـــا اقتفاه رجال الكفـــر في نفـــر

والعنكبوت بباب الغار قد نسجـــت[7]

وفي الحمامـــــة آيـــة لمعتبـــــر[8]

---

[1] مُنْسَفِـر: منكشـف ومشـرق ومـضيء.

[2] إشــارة إلى معجـزة رسـول اللــه صـلى اللـه عليـه وسلم؛ حيـن وضـع يـده أو أصابعـه في إنـاء قليـل المـاء؛ فتوضـأ منـه كـل مـن كـان معـه.

[3] إشــارة لمعجــزة انشقــاق القمـــر.

[4] إشــارة إلى معجــزة حنيــن الجــذع لرســول اللـــه.

[5] كلمــة جــزر هنــا تبعــث عــلى الشــك في ضــرورة وضعهــا. ومــع هــذا يمكــن شرحهـــا بالشـــاة الـــتي تســاق إلى النحــر. أما الطِّـرف بكســر الطــاء فهي: الخيــل الكريمـــة العتيقـــة.

[6] إشــارة إلى معجــزة غــار ثــور الــذي اختــفى فيــه رســول اللـــه مـــع أبي بكـــر.

[7] إشــارة للعنكبــوت الــتي نسجــت بيتهـــا في مدخـــل غـــار ثـــور.

[8] إشــارة للحمامــة الــتي بنــت عشهـــا في مدخـــل الغـــار أيضـــاً.

لما رأى خيفة الصديق قال له

الله مَعْنَا فلا تخشى من الضرر[1]

وكم تمنى أبو بكر يرافقه

قد نال والله ما يرجوه من وطر

يا فوزه قد حوى في الخلد مترلة

مع الرسول بدار البسط والسرر

وكم أزال من الداء العليل (قذى)[2]

ما كلّ عنه فحول الطب والفكر

رمى الحصى بعد تسبيح براحته[3]

حتى أصاب من الكفار ذا بصر

فضاق ذرعا رجال الكفر وانهزموا

كل يولي على الأعقاب والدبر

الله أيده بالرعب منتصر[4]

فراع[5] منه جميع البدو والحضر

في كل معترك للحرب يغلبهم

بإذن رب عزيز النصر مقتدر

يعلو أمام عُلاَتِ[6] المجد مركبه

هُمُ الكواكب والمختار كالقمر

---

[1] الأفضل كلمة "تجزع" بدلاً من تخشى.

[2] الكلمة بدت كأنها "قد" ولكنها هنا لا معنى لها. لذا يمكن أن تكون "قَذَى".

[3] إشارة إلى معجزة تسبيح الحصى في يد رسول الله صلى الله علية وسلم .

[4] أي أيده بما كان ينتاب أعدائه من رهبة؛ فيرتدعون.

[5] فراع منه: ففزع منه.

[6] علاة في المجد: الأعلون في المجد.

أكرم (بجند)[1] سيوف المجد وشحهم

لِلَّـــهِ دَرٌّ سيوف اللـــه مـــن نفـــر

من كل سام شديد البطش ممتشـــط

في الحـــرب مغتبـــط لِلَّـــهِ منتصـــر

كالليث يبغ الـــوغى بالقهر متصف

للأمـــر ممتثـــل للحـــرب معتبـــر

وبالجنـــود مـــن الأمـــلاك أيـــده

كذاك ريح الصَّبا في ساعة العَصَـــر

فيا قريضـــة ما أقرضت من مجـــن[2]

في خبير السوء ما جربت من خيـــر

إذا الشهادة في بدر فهـــل طلعـــت

فيك البـــدور من الأبطال والغـــرر

فيا خبير الوغى يا ذا الخطوب فهـــل

سمعت فيك خبيـــر السهم والوتـــر

ويا بن حرب أبا سفيان ما شهدت

عيناك من عقبات الحرب من خبـــر

ما زال يهوي إلى الهيجاء خلفهـــم

كالليث يهوي إلى الأنعام والحمـــر

---

[1] يبـــدو أن الكلمـــة هنـــا هي "جنـــد" وليـــس "تجـــد" كمـــا كتبـــت في الأصـــل.

[2] بنـــو قرضـــة: فرقـــة مـــن يهـــود المدينـــة. مـــا أقرضـــت مـــن مجـــن: أي مـــا جازيـــت بـــه أصحـــاب الخيـــر بالشـــر والمجـــون.

حتى أُنيلَ بنصر الله نصرته

فما أقام لدار الشكر من أثر

طوبى لطيبة قد طابت جوانبها

ما غرَّ أرض ثواها سيد البشر

فيا سراقة[1] ما للطِّرْف جاثمة

على القوائم في بطحاء كالحجر

فيا رُكَانَة[2] ما ألفيت فيك قوى

لما سمعت خطاب الصدق للحجر

خرت بإثر تمام السير ساجدة

للمصطفى أدباً سبحان ذي القدر

ويا حذيفة[3] أبصرت من عجب

ويا قتادة[4] ماذا نلت في (البصر)[5]

يا طيبة المجد ما أعلاك من بلد

يا بلدة المصطفى يا خيرة المدر

---

[1] هو سراقة بن مالك بن جُعْشم؛ الذي اقتفى أثر الرسول لما هاجر؛ فعجز عن إعادته إلى مكة؛ بسبب تعثر فرسه وغرق قوائمها في أرض صخرية؛ وذلك كلما هم بإطلاق سهم من سهامه.

[2] هو ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف. قال لرسول الله – عندما التقى به في جبل من جبال مكة – إني أطلبك للمصارعة؛ فإن صرعتني آمنت بأنك صادق في نبوتك. فصارعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرعه.

[3] هو أبو عبد الله حذيفة بن اليمان العبسي؛ يعرف بين الصحابة "بصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم"؛ وهو الذي أرسله عليه السلام في غزوة الخندق لروية حال الأحزاب؛ فرجع بخبر رحيلهم.

[4] ربما كان هو قتادة بن النعمان بن يزيد الظفري الأنصاري؛ كان قد فقد عينه في إحدى الغزوات؛ فتعلقت بعرق تدلا منها؛ فأعاد الرسول صلى الله عليه وسلم حدقته بيده الكريمه إلى موضعها ودعا له؛ فأبصر.

[5] كتبت "البطر" وربما كانت في لأصح هي: "البصر" لكي يتضح المعنى.

للــــه در أناس العـــز قد سكنـــوا

بهـــا فليـــس لهم كفـــؤ من البشر

وكيف لا ورسول الله حـــل بهـــا

يا فوزها بضريـــح مثمـــر عطـــر

مـــني سلام إلى قـــوم بهـــا قطنـــوا

هم الأكابـــر والســـادات للبشـــر

لقـــد عجبـــت لآيـــات بمولـــده

جاءت بخط على الآفـــاق منتشـــر

فالشهـــب ثاقبـــة والجـــن هاتفـــة

والنـــار خامـــدة لله مـــن عبـــر

وعرش إبليس قد (انعى حزبه أسفا)[1]

وأشعـــر الجن والكهـــان بالخبـــر

(أهل)[2] الصوامع والأحبار قد شهدوا

على اليقيـــن بما ألفـــوه في الزبـــر

وفي شفاعتـــه العظـــمى شهادتهـــا

للمصطفى بكمـــال غيـــر مستتـــر

فما برحت إمام الرســـل[3] مرتقبـــا

إلى مقام علا بالصلـــب[4] مشتهـــر

---

[1] صـــدر البيـــت هـــذا غيـــر مفهـــوم ولا مـــوزون؛ لـــذا يمكـــن قراءتـــه كمـــا جـــاء بيـــن قوسيـــن لـــكي ينسجـــم مـــع سيـــاق البيـــت.

[2] كلمـــة غيـــر مفهومـــة؛ لـــذا يمكـــن وضـــع كلمـــة "أهـــل" بـــدلاً منهـــا.

[3] إشـــارة إلى إمامتـــه الصـــلاة بالأنبيـــاء والرســـل خـــلال المعـــراج.

[4] الصُـلْـبُ: فقـــرات الظهـــر. والصُـلْـبُ: الحســـب. والصُـلْـبُ: الشديـــد.

ثم انثنيت على متن البراق ولم

تستكمل الليل بين (القدس والمدر)[1]

أنت النبي الذي حقت نبوءته

في صلب آدم بل في اللوح والزبر

وبالغ[2] الله في التنويه مادحهم

سطر يُرَى تحت ساق العرش مستطر

ويذكر اسمك باسم الله مقترنا

فهذه غاية التعظيم والفخر

وليس فوق كتاب الله معجزة

تغن اللبيب عن البرهان والنظر

قد كل وصف فما تغني المدائح في

من خصه الله بالتفضيل في البشر

ماذا أعبر في مدح الرسول فقد

أعيا ثناه رجال العلم والفكر

لو أن جملة ما في الكون من نَسَم

أقلامها كل ما في الأرض من شجر

أو البحار مداد الكتب ما كتبوا

من الثناء سوى كالرشف من مطر

[1] الشطر ناقص كلمة؛ ربما كانت "القدس"؛ وثمة كلمة أخرى غير واضحة؛ لذا قد يكون استكمال الشطر كما جاء بين قوسين.

[2] ربما يكون الناسخ هو الذي وضع هذه الكلمة.

لكل مدحي له في الحشـــر ينفعـــني

إذا الجحيم تلاقي النـــاس بالشـــرر

عسى أنـــال نصيبـــا من شفاعتـــه

يـــوم القيامـــة في أهوالها الكبـــر

ومن يكـــن برســـول الله معتصمـــا

يفـــز بركن منيع الركن (والأطـــر)

حاشى الرسول يصيب المستغيث به

ريب المنون بحفظـــه اللـــه لم يضـــر

أعجب بما في خطاب الضب من عجـــب[1]

لبيك يا خيـــر خلق اللـــه في الخبـــر

والظبي والذئب والأنعام قد نطقـــت[2]

نطق الجماد ونطق العير والشجـــر

إن الكواكب في الأفـــلاك سائحـــة

كل يصلي على المختـــار من مضـــر

كذا الحجارة قد جـــاءت تحيتهـــا

للمصطفي وسلام السقف والجـــدر

وانظر ترى عجبا في حسن سيرتـــه

فليـــس يشبهها شيء مـــن السيـــر

---

[1] إشـــارة إلى معجـــزة شهـــادة الضـــب برسالـــة رســـول اللـــه صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم.

[2] إشـــارة إلى معجـــزات أخـــرى: كســـؤال الظبيـــة لرســـول اللـــه صـــلى الله عليـــه وسلـــم أن يطلقهـــا لـــكي ترضـــع صغارهـــا وتعـــود. وشهـــادة الذئـــب برسالـــة رســـول اللـــه صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم. وشكـــوى البعيـــر لرســـول اللـــه صـــلى اللـــه عليـــه وسلـــم مـــن قلـــة العلـــف وكثـــرة العمـــل. وشكـــوى الطيـــور لـــه بسبـــب أخـــذ بيضهـــا. وسجـــود غنـــم بعـــض الأنصـــار لـــه. وكثيـــر مـــن هـــذا.

يا سيـــد الخلق ويا خير الأنـــام ويا

ذا المعجزات وذا الآيـــات والعبـــر

قد اصطفاك إلـــه العـــرش خالقنـــا

وخصـــك الله بالتعظيـــم والزبـــر

وبعلاك جميـــع الرسل قد شهـــدت

(ووافق) الحسن والتعظيم كل سري[1]

دعوت للخلق عام القحط إذ سألوا

منـــك الدعاء فزال القحط بالمطـــر

والله ما هبطت كفـــك إذ رفعـــت

حتى أراق فجاج السهل والوعـــر

(دام الحَبَا مغرقاً للأرض في زمـــن)[2]

لـــولا دعاؤك لم يبـــرح بمنهمـــر

(فأوقف) الغيث حول الناس (إذ غمهم)[3]

كي لا يكون له في الناس من ضرر

أسرى بك الله من بيـــت الحرام إلى

بيـــت مباركة بالقـــدس مشتهـــر

وبشَّرَتْـــكَ (وفود)[4] الأنبيـــاء بهـــا

لك البشارة يا ذا الفخر (والأثـــر)[5]

---

1 ســري: صاحــب مــروءة وسخــاء. الكلمـــة الأولى غيــر واضحـــة؛ ويمكـــن قراءتهـــا (ووافـــق).

2 هـــذا الشطـــر غيـــر مفهـــوم ولا موزون. لـــذا يمكـــن قراءتـــه كمـــا جـــاء بيـــن قوسيـــن. (كلمـــة الحبـــا) تعـــني: السحـــاب الكثيـــف المقتـــرب مـــن الأرض.

3 هـــذا الشطـــر غيـــر مفهـــوم ولا مـــوزون؛ لـــذا يمكـــن قراءتـــه كمـــا جـــاء بيـــن قوسيـــن.

4 بقعـــة مـــن الحبـــر غطـــت هـــذه الكلمـــة؛ ويمكـــن أن تكـــون "وفـــود" أو "جمـــوع".

5 الكلمـــة في عـــروض البيـــت غيـــر واضحـــة. يمكـــن أن تكـــون: "والسيـــر" أو "والأثـــر".

(ومن) هناك وقِيتَ السمع مخترقــا[1]

مع الأفاضل روح القدس في زمــر

....

[2]..............................

ومنـــذ ألفيت نفـــسي في سرادقـــه

ضفـــرت منه بجـــاه غيـــر منتظـــر

يا سيـــي يا رســـول الله ليس لنـــا

إلا حمـــاك لدى الأهوال والـــوزر

فيا حبيـــبي ويا ذخري ويا أمـــلي

يا شفيع الورى في الضيق والخطـــر

ويا رجائي ويا عـــزي ويا سنـــدي

ويا عمادي ومن أقضي به وطـــري

ما لي شفيع ولا من أستغيـــث بـــه

سواك يا سيد الأمـــلاك والبشـــر

هذا عُبَيْدُكُـــمُ[3] الجـــاني ينـــوح أحـــا

قلب كئيـــب من الزلات منكســـر

هـــذا عُبَيْدُكُـــمُ ملـــــقى ببابكـــــم

يرجوا شفاعتكم يا خيـــر منتصـــر

[1] الكلمـــة الأولى في الصـــدر عليهـــا بقعـــة مـــن الحبـــر؛ ويمكـــن أن تكـــون "ومـــن".

[2] هـــذا البيـــت غيـــر واضـــح ولا مفهـــوم. يمكـــن قراءتـــه هكـــذا:

لعـــلَّ أضفـــر مـــن غُقْـــبى مدائحـــه بموقـــف ومقـــام السعـــد للمدخـــر

[3] استعمـــل صيغـــة التصغيـــر لكلمـــة عبدكـــم.

مالي مقام ولا جاه ألوذ به

يوما سواك حبيب الله في الندر

إذا مررت على الأهوال خذ بيدي

يا سيدي ليس لي صبر[1] على سقر

يا ذا الجلال ويا ذا الفضل والكرم

نج عبيدك يا رب من السعر[2]

وامنح عبيدك يا مولاي مغفرة

تمحي الذنوب ولا تبقي ولا تذر

قد مر عمرى في الهوى وفي طرب

وفي اتباع الهوى يا ضيعة العمر

واسوءتا كيف ألقى الله، ذا الزلل[3]

إني المقر ما في الكون من وزر

فليس ينجو بذاك اليوم من أحد

إلا رجال التقى، وَيْحٌ لمقتصر

مني القطيعة والرحمن ذو كرم

وما امتثلت و لم أصغ لمزدجر

كيف النجاة وما قدمت من عمل

أنجو به يوم لا عذر لمعتذر

---

[1] الأفضل هنا كلمة "جُهْدٌ"؛ لأن عبارة "ليس لي صبر" قد تعطي معنى معاكس.

[2] سُعُرٌ؛ مفردها السعير: لهب النار. والسُّعُرُ: الجنون.

[3] كذا... والله أعلم

يا صامد القلب يا مغرور بالأمـــل

يا ذاهـــب الوقت في لهو وفي خطـــر

مالي أراك على الـــزلات منعكفـــا

كأنمـــا لإلـــه العـــرش لـــم تحشـــر

بعد الخروج من الدنيـــا ترى ندمـــا

ولـــو دخلـــت إلى دار النعيـــم جـــر[1]

تقـــول بعد خروجك يـــا أسفـــا

وأطوَلّ حزني على ما فات من عمـــر

لم أكتسب عملا في البعث ينفعـــني

ولا جمعـــت شئـــون الـــزاد للسفـــر

مات الرجال وما أبقى الزمان سوى

قـــوم قلوبهـــمُ أقـــسى مـــن الحجـــر

عُـــمْيُ البصائر إن مروا بموعظـــة

مـــروا كسائمـــة الأنعـــام والحمـــر

فاحذرهُمُ أبداً واحـــذر مجالسهـــم

هُـــمُ الشياطين كن منهـــم على حـــذر

وفِـــرَّ من قرنـــاء الســـوء مجتهـــداً

واصحب رجال التقى تصفو من القذر

وفِـــرَّ من علمـــاء الســـوء إنهـــم

في البعث أول من يُلـــقى على سقـــر

[1] الجـــري: الوكيـــل والضامـــن.

يا ويح من لم يكن بالعلم ذا عمـــل

يا طول حسرته إن كان ذا خطـــر

والجاهلـــون من العبـــاد أكثرهـــم

على الضلال فكن منهم على حـــذر

فالقـــوم قد ختلـــوا الدنيا بآخـــرة

ألقـــوا بأنفسهم بالجهل في الغـــرر

لكنهم ستـــروا بالفقـــر بدعتهـــم

هم الزنادقـــة الضُّـــلاَّل في البشـــر

باعوا الفريضة بالمنـــدوب يا عجبا

ما لِلْفَرَاشِ[1] رمى بالنفس في السعـــر

لا تطمئن إلى الدنيـــا وزخرفهـــا

فـــإن غايتهـــا كاللمـــح بالبصـــر

وكن منيبـــا إلى الرحمـــن متقيـــا

طـــوبى لمرأى منيب القلب مذكـــر

فاعلم بأن سراح القلـــب فكرتـــه

والقلب تغمـــره الأنـــوار بالفكـــر

واعلـــم بأن صفـــاء القلـــب أربعـــة

بالورع والصمت والإفراد والسهر[2]

[1] إشـــارة إلى الفراشـــات الـــتي لا تكـــف عـــن الـــدوران حـــول ضـــوء القنديـــل حـــتى تسقـــط في لهيبـــه.

[2] هـــذه الصفـــات اتبعهـــا المتصوفـــة؛ ويقصـــد منهـــا: 1 ــ الورع وهـــو مجاهـــدة التقـــوى عندهـــم. 2 ــ ثـــم الصمـــت وهـــم الصيـــام عـــن الكـــلام وتعويضـــه بالذكـــر. 3 ــ ثـــم الإفـــراد: وهـــو الإنفـــراد والعزلـــة. 4 ــ ثـــم السهـــر: وهـــو قضـــاء الليـــل بالذكـــر والتأمـــل.

عليك بالذكر فاستمسك بـه أبـداً

فالذكر مشغلة للقلب في الخير

الغافلون هُمُ الموتى قلوبهم

والذاكرون هُمُ الأحياء في البشر

فالازم الذكر باسم الله مجتهداً

إن شئت صدرك بالأنوار يسفر

إن الرجال به العلا وصلوا

وعلموا قدر سِرّ القلب والفكر

وناظروا ملكوت اللوح واطلعوا

على عجائب صنع الله والقدر

شمس الشهود لهم تبدو إذا غربت

شمس النهار فباعوا النوم بالسهر

طوبى لتابعهم يغشو مراتبهم

ويبصر الدر في أصدافه القشر

فافعل بما فعلوا تظفر بما ظفروا

وجاهد النفس في الأعمال وابتدر

ولا تكن لهواء[1] النفس متبعا

فيطمس القلب ما يغشاه من كدر

وراقب الله إن الله مطلع

عليك في جملة الأنفاس والفكر

[1] يقصد بهذه الكلمة "هوى" وليس "هواء"؛ وقد اضطر لذلك.

والحافظين الكرام الكاتبيـــن جَـــلاَ[1]

ما ليس يغني فكن منه على حـــذر

وفِـــرَّ من سبل الشيطان معتصمـــا

بالله في كل ما تقفـــوه[2] من أثـــر

وعالج النفـــس إن النفـــس مائلـــة

للفخـــر فاعتصمن بالله واصطبـــر

وقـــف بربـــك إن الله ذو كـــرم

وامْـــلأ قداحك بالقرآن والذكـــر

يا سابح اليـــوم ما للسبح تقطعـــه[3]

لولا ارتقيت على الألواح[4] والأســـر

ما جاب صعب فجاج القدس غير فَتىً

(مشمـــر طوقـــه الجـــد بـــالأزر)[5]

وكل موعظـــة ليســـت بنافعـــة

إلا لِمَـــرْئٍ[6] سليم الصدر مؤتمـــر

يا غافلون عن الرحمـــن فانتبهـــوا

(متنافسون) في الدنيا على خطـــر[7]

---

[1] جـلا يجلـو جـلاء الأمـر: كشفـه وأظهـره.

[2] تقـفى الشـيء: اختـاره.

[3] سبَّـحَ: في الكـلام أكثـر منـه. وسبَّـحَ: قـال سبحـان اللـه. ومعـنى الشطـر هـو: يا أيهـا المسبـح طـول اليـوم؛ مالـك تقطـع تسبيحـك..؟

[4] لـوح الجسـد جمـع ألـواح: عظمـه.

[5] هـذا الشطـر غيـر مفهـوم ولا مـوزون؛ لـذا يمكـن قراءتـه كمـا جـاء بيـن قوسيـن.

[6] هي امـرئ؛ ويبـدو أنـه اضطـر لكسـر القيـاس.

[7] هـذا الشطـر غيـر مـوزون بسبـب كلمـة "المتنافسـون"؛ لـذا يمكـن قراءتهـا "مُتْنافسـون"؛ بسكـون التـاء.

لا حول لي طمحت نفسي بما عملت

بمـــا أمـــرت وما قلـــبي بمذكـــر

زلـــة وما عملت نفسي بموعظـــة

فيا خســـارة ما ضيعت من عمـــر

لكـــن لي طمعـــا في الله يرحمـــني

وفي شفاعـــة خير الخلق من مضـــر

عليه أزكي صـــلاة الله يصحبهـــا

أزكى التحيـــة بالآصـــال والبكـــر

ثم الرضى عن سَدَاتِ[1] المجد سادتنـــا

وصحب الرسول ومن يقف على أثر

ما هبت الريح من أرض الحجاز وما

آوى الحجيج مقـــام الركن والحجر

وهـــذه أيضـــاً بعـــض المقطوعـــات والأبيـــــات المتفرقـــــة الـــتي نظمهـــا العلامـــة **عبـــد الرحمـــن الأخضـــــري**؛ نثبتهـــــا هنـــا لعلهـــا تكـــون مفيـــدة.

يـــا طالبـــا ربـــــه بصـــدق

بــــادر وإن جلـــت الخطـــوب

واقصـــد كريمـــا بـــلا تـــوان

فسائـــل اللـــــه لا يخيـــب

[1] أسقـط ألـف المـد بعـد السيـن للضـرورة.

غيـــره:

ولا تأسفن على الدنيـــا وزينتهـــا

وأرح فؤادك من هـــم ومن حـــزن

وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعهـــا

هل راح منها بغير القطن والكفـــن

غيـــره:

ألـــم تـــر أن اللـــه قـــال لمريـــم

إليك فهزي الجذع تساقط الرطـــب

ولو شاء أحنى الجذع من غير هـــز

ولكـــن كـــل شيء لـــه سبـــب

غيـــره:

عجبـــا للمسيـــح بين النصـــارى

حيـــن قالـــوا أن الإلـــه أبـــوه

ثـــم قالـــوا ابـــن الإلـــه إلـــه

ثـــم قامـــوا بجهلهـــم عبـــدوه

*****

سادساً ـ القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني:

اللـــه المقتـــــدر الأزل	سبحانـــه جلّ عن المثـــل
سبحانـــه هـــو الصمـــد	الفـــرد الجبـــار الأزل
للـــه الحمـــد على نعـــم	منها الإرشاد إلى السبـــل
فَهَـــدَى برسول اللـــه إلى	أزكى ما كان من الملـــل
صلوات الله عليـــه مـــدى	مرِّ الإصباح مع الأُصـــل
زكـــاه اللـــــه وفضّلـــه	وحباه مقام القاب عـــلي
في ليل أســـرى اللـــه بـــه	للعرش كما في الذكر تُلي
فرقى مرقى ورأى عجبـــا	وأنيـــل مقامـــا لم ينـــل
وتباشـــرت الأمـــلاك بـــه	والروح مشيعهـــا فقـــل
بين الأمـــلاك يطاف بـــه	يسراً لك يا خير الرّســـل
عـــرج المختـــار لمرتبـــة	جبريـــل إليها لم يصـــل
إذ ذاك أتـــم اللـــه لـــه	ما خوّلـــه من منتحـــل
فحبـــاه مقاما فـــاق بـــه	أرباب العزم من الرّســـل
يا خيبـــة من لـــم يقتفـــه	ولسنتـــه لـــم يمتثـــل
وجميع الخلـــق تلـــوذ بـــه	يوم الأهوال من الوجـــل
تاللـــه لأن شفاعتـــــه	لمقدمـــة والرسل تـــلي
بل أول من ينشـــق لـــه	قبـــر ويحـــلّى بالحُلـــل
ورســـول اللـــه مفاخـــره	ومحاسنـــه لم تشتمـــل
وحنين الجذع له عجـــب	والمـــاء بكفـــه منهمـــل
فتوضـــأ منـــه ثلاثمائـــة	ورووا وكذلك مشتمل

ألف مع نصف الألف رووا وانشق له بدر فقل
والألف بصاع قد شبعوا والصاع جميعا لم يزل
وكذا الأشجار له نطقت كالضبّ وذئب والحمل
وفضائل أحمد لو كتبت في وِقْرِ الألف من الإبل
كلّ الكتاب وما وصلوا لفضائله طول الدول
يا خير الخلق عُبَيْدكم يخشى ما قارف من زلل
في جاهك إنّ له طعما في نيل الجنة ذو أمل
فلعل بفضل شفاعتكم يوقى ما خاف من الثقل
يَا ربي لطفتك يا صمد إني في لطفك ذو أمل
فاغفر للعبد جنايته أنت الغفار لذي الزلل
يا نفسي توبي ولا تهني في تقوى الله وفي العمل
فعسى ينجيني من المحن وعذاب النار المشتعل
لا تأتي النفس إلى عمل إلا بالعجز وبالكسل
وإذا ما تأتي لمعصية تأتي بالحرص وبالجدل
فتجارتها لمهالكها فاحذرها أيّما تَمِلِ
وزكاء النفس مُخالفها وموافقها فعلى خلل
ومتابعها لا بدّ له يشقى لو فاق على زجل
وخبيث النفس وطائعها تلقيه على ضنك الوحل
لا تقتفها فيما قصدت وبطاعة ربك فاشتغل
والحي يصون جوارحه عما تأتيه من الزلل
والمَيْتُ القَلْبِ مَنَ أُهْمَلَهَا حتى تلقيه على وحل
والفكر سراج القلب ولا كنّا عن ذلك في شُغُل

وحجاب الغفلة مكتنـــف بالقلب فأي الفكر يـــلي

وقلوب الخلق بها وقعـــت ظُلُمَاتٌ مِنْ سُوءِ العَمَلِ

شمـــر عن ساق الجـــد ولا تمهل فالحسرة في المهـــل

وهـــلاك المـــرء وعلتـــه وخسارتـــ طول الأمـــل

فعليك بتقوى اللـــه أخـــي واحْذَرْ مِن زَيْغَةِ الْمِلَـــلِ

في هذي الدار لنـــا أمـــل والموت يجي قبل الأمـــل

من عاش اليوم يموت غـــدا والحكم ينفـــذ بالأجـــل

ما فـــوق الموت لنا عبـــر لكـــنَّ الغفلـــة لم تـــزل

لو يدري المـــرء عواقبـــه من هول الموت وما سَيَلِي

ما ذاق لذيذ العيـــش ولا نوماً وانكبَّ إلى العمـــل

لكـــن المـــرء بصيرتَـــــه من حجاب الغفلة في ظلل

وصنيـــع المـــرء مجالســـه في القبر فجاهد وامتثـــل

واعبد مـــولاك بلا وهـــن جاهـــد في الذكر وفي العمـــل

من قـــدم شيئـــاً يلحقـــه من بعد الموت على عجل

من خاف مقـــام الله نجـــا والويل لعبـــد لم يجـــل

ومراقبة الرحمـــن هـــدى تنجي الإنسان من الزلل

وإذا مـــا جئـــت لمعصيـــة فاحذر مولاك على عجل

وَاعْلَـــمْ أنَّ الْجَبَّـــارَ دَرَى ورأى ما تصنع من عمل

فاللـــه رقيـــبٌ مُطَّلِـــع وعليك شهود لم تحـــل

فاحـــذر مولاك ونقمتـــه واخشع من ربك ذا خجل

إيـــاك وأن تغتـــر أخي بالحلم أو ببساط المهـــل

ثم اذكر هول القبر ومـــا تلقى في الحشر من الغلل

واشفق عن نفسك ليس لها … من عذاب جهنم من قبل[1]

إن شئت هوى كن ذا جلد … للنار وإلاَّ فاعتدل

ما أظلم ذا الإنسان وما … أطغاه وما أعصاه قل

يعصى مولاه وخوّله … خيراً جمّاً لمّا يزل

واحذر كيد الشيطان أخي … إن الشيطان لذو حيل

والنفس تقود لشهوتها … ليكون لها الشيطان ولي

ومثال النفس وشهوتها … كذباب أمَّ إلى عسل

وهواء النفس مخالفها … يعلو في الجنة عن زحل

من يملك أمر النفس نجا … ومتابعها في النار صلي

وَشَوَاهُ لَظَى نَزَّاعَتُهُ … أكلته أُكْل القتل

ودع الدنيا وزخارفها … وحبائلها ذات الحيل

فازْهَدْ فيها واقصر أملا … فمحبتها رأس الزلل

من آثرها عن آخرة … مأواه جهنم لم يحل

سوط[2] في الجنة يفضلها … بحذافرها إن تكتمل

ما منها للإنسان سوى … كفن في قبر منسدل

فاتْرُكْ حبّ الدنيا وكُنِ … عنها بالطاعة في شغل

والفترة[3] في الأعمال هوى … تبقى أسِفاً لمّا يَزُلِ

والعاقل يقفو سنة من … فاق الأعلام من الرّسل

والناس اليوم على هُوَّةٍ … في دينهِمُ وعلى خلل

---

[1] نسخ هذا البيت بخلل في الوزن؛ ويستقيم بالشكل التاليَ
من نار جهنم من قبل

[2] هكذا.

[3] أي الفتور.

فعليك بنفسك فَارْتقها وتبتل للمولى تصل

وَلُجِ الخلوات لتألفها ومِنَ أهْل الغفلة فانعزل

وجليسك إن يكسبك هوى فجلوسك مَعْهُ مِنَ الزَّلَل

وجليس المرء مشاركه وجليس السوء من العلل

وغواة الإنس أشرهم قرناء السوء فلا تَمِلِ

وخيار الناس أجلهم علما وجهادا في العمل

وأشر الناس أدلهم لطريق الشر من السبل

أصحب من شئت فأنت له تَبَعٌ ولما يهواه تل

وعقوق الوالد يوقع في إسخاط الباري فامتثل

ووصايا الله بطاعتهم في الذكر مكررة النقل

فاحتل عن نفسك مجتهدا وعنِ الضّلال فلا تسل

وعليك بجوعٍ مَّعَ سهر والصّمت وإلاّ فانعزل

ودع الجهال وخلّتهم تزداد هدى والقلب علي

الجهل عمى والعلم هدى يهدي الإنسان إلى السبل

ما نال مقام المجد فتى إلا بالعلم وبالعمل

فعليك بأهل العلم إذا عملوا بالعلم هدى تنل

واحذر علماء السوء فقد خُصُّوا بالإفك وبالخطل

حفظوا الأقوال وما عملوا بالعلم فساء القوم قل

ما حرفتهم إلا لعبا ولحوم الناس بلا قلل

أرباب قلوب قاسية للطاعة أصلا لم تمل

لا نطق لذكر الله لهم إلا باللهو وبالهزل

لا يكسبون العلم سوى لرياء الناس وللجدل

طمس الأقـــوال تملقهـــم لولاة السوء ذوي الخلل
يصلـــون النـــار كما وردا من قبلِ أولي الأوثان قل
فاتـــرك أفعالهـــم أبـــدا وخذ الأقوال ولا تمـــل
حاش علمـــاء الخيـــر أولي حظ في العلم وفي العمل
فعليك أخي بِمَجَالِسِهِـــمْ واظفر بمحبتهـــم تصـــل
وادخل في المنقطعيـــن إلى مولاهم واقصر في الأمل
واتل القرآن بفكر حـــجى آنـــاء الليل بـــلا كلـــل
والـــزم عمـــلا بمواعظـــه وزواجره المنهاج تـــلي
ما فوق كتاب الله هـــدى لأولي الألباب ذوي الوجل
وكتـــاب اللـــه تلاوتـــه تهديك إلى أهدى السبل
إن شئـــت رياضا مونقـــة وحدائق في الفردوس قل
والحـــور العين وفاكهـــة فاتل القـــرآن بكل تـــل
فعليك بسيـــرة سيدنـــا طه المختار من الرســـل
إن شئـــت الجنة فاجتهـــد في تقوى الله بـــلا ملـــل
اعمل ما شئت فأنت بـــه مجـــزى في يوم النكـــل
وشبـــاب المـــرء غنيمتـــه سعد الشبان أولى العمـــل
تبـــاً لفـــتى قـــد ضيعـــه وحديث الخمس له امْتَثِلِ
واعبـــد لا أمنا ولا قنطـــا تجزى بالجنـــة والحلـــل
من صام الحر وقـــام بـــه يرقى مرقى في الخلـــد علي
وكواعـــب فيـــه مخـــدرة ودهاق الكوب من العسل
إن شئت جحيمـــا محرقـــة وحميما منه البطـــن مُلِي
ومقامـــع ليـــس لها مثـــل وسلاســـل والأغلال تلي

وعــذاب ليس له طــرف فاعص مولاك ولا تســل

فعليك بتقــوى الله تنــل في الخلــد قبابا لم تحــل

ورضى وخيامــا مشرقــة بالحور مغنجــة المقــل

وحــلى وثيابــا رائِقــة كالسندس يا لك من حلل

والحي يليــن بموعظــة والميت بألــف لم ينــل

فحذار الناس وما صنعــوا فالناس اليوم على خلــل

ويل للنــاس من الحكــم في يوم الحسرة والنكــل

إذ تنفضــح الأسرار بــه وترى عورات ذوي الزلل

وتحدث الأرض بما وقعــا للخلق عليها من العمــل

وتجي الأشهاد بما شهــدت وتفر الناس إلى الرســل

ويجازى المــرء بما عمــلا لا ظلم اليوم على رجــل

وبكــاء الناس إذا كثــروا والطفل يشيب من الوجل

ويفيض الدمع من النــدم ويفيــح المرء من العلــل

بل يفتقــر الإنســان إلى مثقال الــذر من العمــل

يتمنى الخلــق رجوعهــم وتمنــوا شيئــا لم ينــل

وجهنم تــرمي بالشــرر كالقصر على شكل الجمل

والنــاس يكلمهــم عنــق من النار يعلو كالجبــل

ويجوز الخلق على الــركب فزعا من هول ذي ثقــل

وتهيــج النار بصيحتهــا وتغيظهــا عند الشعــل

وتفــور تكاد تَمَيَّــز مــن غيــظ أولى الأجرام تلي

وإذا زفرت للخلق بــدت تصطــك بإذن الله قــل

ولها زعــاقات مدهشــة ولها أمــواج كالظلــل

لولا حلم المولى مكــرت بجميع الخلق بــلا مهــل

وجهنــم ســودا مظلمــة أبدا لا تفتُر من شعــل

فــإذا جاء المختــار لهــا خمدت إذ ذاك من الخجل

نجانــا اللــه وعاملنــــا باللطــف ووفق للعمــل

من حق عليه القول شُــفي والأمر مُقاضى في الأزل

أعظم بــورود الخلــق إلى حوض المختار من الغلل

ذو لون أصــفى من لبــن ومذاق أحلى من عســل

من مسك أطيب رائحــة كالنجم كؤوســا فامتثــل

ومسيــر الشهر مسافتــه كزوايا أربــع معتــدل

لا يظمــأ شاربــه أبــدا وهنــاك رسول الله يلي

ويــذاد التــارك سنتــه الراغب عنها ذو الحيــل

يا حسرة أهــل الزيــغ إذا يتبــرأ منهم حيــن يلي

ويقــول رسول الله لهــم سحقا سحقا لذوي الميل

واذكر هول الميــزان ومــا في أخذ الصحف من الوجل

تــأتي صحــف متطايــرة من تحت العرش إلى الرجــل

هذي صحف لك تقرؤهــا فيها ما قلت من العمــل

وصــراط أرق من شعــر أمضى من سيف منصقل

من فوق جهنم منتصــب ولــه عقبــات فامتثــل

وجميــع الخلــق تعبــره بقضــاء الله فــلا تخــل

وينــجي اللــه برحمتــه من شاء ويوبق ذا الزلــل

وزلازل يوم البعث أتــت جمــا لكتاب اللــه تلي

وكتــاب اللــه وسنتــه فرقان الحق من الخلــل

ولســـان المــرء محاربــه إذ كم قد أوبق من رجل
ويفــوه المــرء بموبقـــة تنهــد بها شم الجبـــل
يهوى في النار بهـــا حِقبـــا تمضيه بسخط الله قـــل
يهجوهـــا الناطـــق هيِّنـــة وتفوق الشامخ في الثقل
من أحسن طاعتـــ ه طلبـــا للشهرة خاب ولم ينـــل
من أم ريـــاء الناس غـــوى قلب وبسخط الله بُـــلي
لا يبـــقي الله لـــه عمـــلا بل يفضحه يوم الوجـــل
والعجب هلاك المرء وقـــد يردي الإنسان بلا مهـــل
وعليك بحفظ السمع تفـــز بنجاة القلب من العلـــل
فالسمع إذا مـــا أهمـــل في سمع برصاص النار ملي
وفســـاد الديـــن وآفاتـــه طمـــع يغشاه ولم ينـــل
وذووا الأطماع لهم شبـــه بذباب الجيفة في المثـــل
وزكـــاة القلب سلامتـــه من حجاب الغفلة والزلل
إن الأكدار إذا ركـــدت في قلب المرء فذاك يُـــلي
وكنوز القلـــب يصادفهـــا من شاء الله بلا حيـــل
من مـــاط صـــدئ المـــرآة رأى أشكال الكون لذي مقل
من جاب رحاب النفس وقـــد ألقى النعلين على عجل
إذ حل بواد القدس وقِـــدْ ما آنس منه النور خـــل
حاذي حضرات القدس وقد أمسى إذ ذاك في حلـــل
فلنعم فتى يرتـــاض فضـــا ء عرصات القلب إلى النهل
ما حلّ بساط القـــدس فتى يصبو للراحة والكســـل
ما طاق السير أخو عـــرج ما طاق الحرب أخو فشل

هل يستمعون الصم دعـــا هل يهدي العمي إلى السبل
من عاق النفس عوائدهـــا يعلو شاوا في القدس عــلي
وزكاة النفـــس طهارتها مما تهـــواه من الخطـــل
وعلاج النفـــس رياضتهـــا بمجاهـــدة فلتعتـــــدل
ومراقبة المـــولى وحضـــو ر القلب مقاليـــد الغلـــل
مـــن دان لأمـــر الله نجـــا والويـــل لمن لم يمتثـــل
من صح له الإخـــلاص رقي درجات القدس وبالرجل
حكم ظهرت لما انفجـــرت في القلب ينابيع النِّحـــل
وفقيـــد دليـــل يرشـــده تهديـــه صـــلاة للسبـــل
عجبا لفتى يشكـــو ظمـــأ ويخـــوض بماء منهمـــل
وشهـــود الحـــق وبهجتـــه لأخي قلب حي وجـــل
فإذا دلكـــت شمس وخبت ظهرت وربت قبل الذلل
من غاص بذكر القلب بدا كاليم رأى الياقوت جلي
من شد عرى حزم وسرى يقضي وطرا مهما يصـــل
أسلك أثـــرا تربح سفـــرا واعتق عبدا تنجـــو تنـــل
أجري نهرا واسقي شجـــرا تجني ثمـــرا تحت الظلـــل
من سام حمى الجبـــار عمى والنفس رمى في منسفـــل
وبناشئـــة الأسحـــار أخي لتنال تفـــز بالحـــور جلي
من بات يقوم بمخمصـــة أضحى بحجاء منصقـــل
وتبيت الحور تطوف بـــه فيما يروى عن خير ولي
وريـــاض الجنـــة مسكنـــة يجـــزى بنعيم مكتمـــل
وعمـــاد الدين ومركـــزه في الصدق وفي الإخلاص جـــل

أخلـــص للـــه مراقبـــة واصدق في القول وفي العمل
هيهات أولوا الإخلاص عفـــوا وبقى في الوقت ذووا الخلل
صـــم بكـــم عمي حُـــمُر كخشاش الأرض وكالجعـــل
لا تنفـــع فيهـــم وعظـــة مما في القلب من الخطـــل
جعلوا دين المـــولى هـــزؤا فالقـــوم لهم إبليـــس ولي
شهوات النفس عبادتهـــم والكل لملء البطـــن ملي
يسعون إلى الشهوات كما يسعى الحيوان إلى الأكل
ملك الشيطـــان قلوبهـــم فهووا في مهواة الزلـــل
هذا زمن قد غـــاض بـــه ينبوع الحـــق و لم يَســـل
ونجوم الدين لقـــد أفَلُـــوا من بعد ضيـــاء مكتمـــل
وظلام الباطـــل منتشـــر عـــم الآفـــاق و لم يـــزل
ومعاص الله قد انتشـــرت وبدت في الناس بلا خجل
هاج الفساق وقد كثـــروا في الناس وقلّ أولوا العمل
قد غـــر الناس وأوبقهـــم أنظـــار اللـــه إلى أجـــل
وهجوم الساعـــة مقتـــرب والناس توسع في الأمـــل
وديوك الدلجة قد صرخـــوا ودنى الإصبـــاح لمرتجـــل
رحل الأقـــوام فيا أسفـــا وأطول بكائي في الطلـــل
وثبات المركب قد ظعنـــوا وبقيت أكابد في نكـــل
قد مات عني الأبطال ومـــا تركوا في الثلة من بطـــل
وبدت في الناس دجاجلـــة أبنـــاء البدعـــة والخيـــل
لحطام الناس لقـــد نصبـــوا شبكات الطاعة والعمل
والناس اليوم قد انتهكـــوا حرمات الدين فلا تطـــل

والحُرُّ برمز العيـن كـفى	والعبد بضرب السوط يلي
والدهر يفيد المـرء هـدى	بتعاقب الأعصر والـدول
وشموس العبـرة مشرقـة	للعاقل مهـمى يمتثـل
قد وهنت بذاك وما عملت	نفسي بمقالي من عمـل
للخير تخص الغيـر ومـا	عملت بالخيـر فيا وجلي
مثلي كطبـيب حـل بـه	سقـم ويعالج ذا العلـل
يا رب عبيـدك معتـرف	بالذنب وأوزار الثقـل
ورجائي فيـك يؤانسـني	مولاي ومن ذا غيرك لي
فاغفر لعُبَيْدِكَ ما اكتسبت	يده مـن سيء العمـل
لحبيـك أحمـد سيدنـا	أزكى الشفعاء لذي الزلل
صلوات اللـه عليـه تفي	وسلاما ذا أرج حفـل
وعلى الأبطـال صحابتـه	وأسود الحرب أولوا النحل
وأبي بكـر وأبي حفـص	وأبي عمرو والليث علي
هـذه كلمـات مُشْرِقَـة	مشكاة الناس ذوي العمل
نجزت بربيع الآخـر مـن	جمع حجج وقت المثـل

*****

سابعـاً ـ الجوهـر المكنـون في الثلاثـة فنـون:

الجوهـر المكنـون في الثلاثـة فنـون (البيـان والمعـاني والبديـع)؛ أرجـوزة نظمهـا **الأخضـري**؛ ويصـل عـدد أبياتهـا إلى 291 بيتـاً. وهي عبـارة عـن منظومـة لخـص

فيها كتاب **"التلخيص في علوم البلاغة"**؛ **لجلال الدين محمد ابن عبد الرحمن القزويني.**[1] وهذا ما صرح به **الأخضري** نفسه حين قال:

فَجِئْتُهُ بِرَجَزٍ مُفِيدِ
مُهَذَّبٍ مُنَقَّحٍ سَدِيدِ
مُلْتَقِطاً مِنْ دُرَرِ **"التَّلخِيص"**
جَوَاهِراً بَدِيعَةَ التَّلْخِيصِ
سَلَكْتُ مَا أَبْدَى مِنَ التَّرْتِيبِ
وَمَا أَلَوْتَ الْجُهْدَ فِي التَّهْذِيبِ

إذن فقد صرح **الأخضري** بأنه قد اتبع الترتيب نفسه؛ الذي وضعه **القزويني**؛ غير أنه اجتهد بالتهذيب ــ كما قال ــ ولم يكتف بالاقتباس والشرح. وبالمقارنة المتأنية بين كتاب **القزويني** ومنظومة **الأخضري** يتبين أنه ــ بالفعل ــ اتبع معظم الترتيب الموضوع في كتاب **"التلخيص"**؛ وقد قام بنظم المحتويات الملخصة بمهارة فائقة؛ حتى أنه عالج بعض القضايا بطريقة واضحة وبعناوين أكثر دلالة؛ مثل: تخصيصه عنواناً للإسناد العقلي؛ الذي كان مدمجاً

---

[1] وهو أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر؛ ولد بالموصل سنة 666 هـ/739م وتوفي بدمشق سنة 1268 هـ/ 1338م. فقيه شافعي وأديب؛ تولى القضاء في عدة أماكن. من مؤلفاته أيضاً "الإيضاح" وهو شرح للتلخيص"، و"السور المرجانيمن شعر الأرجاني".

عند **القزويني** في محتوى الإسناد الخبري ككل. كما حرص على إعادة تبويب موضوع **"أحوال المسند إليه"**؛ بغرض تقريب الفكرة وتوضيحها لتلاميذه؛ فقام بإنشاء فصل بعنوان: **"الخروج عن مقتضى الظاهر"**؛ بينما عولج هذا الموضوع في كتاب **"التلخيص"** مدمجاً وبشكل غامض. ومجمل القول؛ فالأمثلة على ذلك عديدة ولا يتسع المجال للخوض فيها.

المهم أن هذه المنظومة وجدت عناية كبيرة من قبل العلماء وطلاب العلم؛ فنقلت واستظهرت وشرحت؛ كما طبعت في مصر. وقد تولى **الأخضري** بنفسه شرح **"الجوهر المكنون"**؛ فأنجز له شرحاً كبيراً فاق التلخيص للقزويني؛ وهو بالمكتبة الوطنية الجزائرية؛ ولكنه غير منقح؛ ويبدو أن الزمن لم يمهل **الأخضري** للقيام بذلك. وعليه فقد اهتم بهذا الشرح عدد من العلماء في المغرب والمشرق؛ مثل: **أحمد بن مبارك العطار القسنطيني** الذي كتب **"نزهة العيون" وعبد الكريم الفكون القسنطيني** الذي حاول تبييض المخطوط الخام **"للجوهر المكنون"**؛ **ومحمد بن محمد علي ابن موسى الثغري الجزائري** الذي كتب: **"موضح السر المكنون على الجوهر المكنون"**؛ ويوجد ـ كما يقول **الشيخ عبد الرحمن**

الجيلالي ـ هذا الشرح مع شرح **الأخضري** بإحدى زوايا مدينة معسكر؛ في حي بابا علي.[1] وكان **الثغري** معجباً للغاية بمنظومة **الأخضري** وبشرحها عليه؛ إلاّ أنه أشار ـ كما ذكر ابن الفكون ـ إلى حالة الشرح الذي لم يكمل **الأخضري** تنقيحه. وقد تولى ـ أيضاً ـ بعض علماء المشرق شرح **"الجوهر المكنون"**؛ منهم: **أحمد الدمنهوري.** وجملة القول فإن منظومة **"الجوهر المكنون" للأخضري** ستعرض كاملة في قسم الملاحق؛ فنتمنى أن تعود بالفائدة على القارئ الكريم.

سَمَّيْتُهُ (بِالْجَوْهَرِ الْمَكْنُونِ)
فِي صَدَفِ الثَّلاَثَةِ الفُنُونِ
وَاللَّهَ أرْجُو أنْ يكُونَ نَافِعَا
لِكُلِّ مَنْ يَقْرَؤُهُ وَرَافِعَا
وَأنْ يكُونَ فَاتِحاً لِلْبَابِ
لِجُمْلَةِ الإخْوَانِ وَالأصْحَابِ

المقدمة

فَصَاحَةُ المُفْرَدِ أنْ يَخلُصَ مِنْ
تَنَافُرٍ غَرَابَةٍ خُلْفٍ زُكِنْ

[1] أنظر تاريخ الجزائر العام، ج: 3، ص ص: 80 ـ 81. وتاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص ص: 173 ـ 175.

وَفِي الكَلاَمِ مِـــنْ تَنَافُـــرِ الكَلِـــمْ

وَضَعْــفِ تَأْلِيفٍ وَتَعْقِيــدٍ سَلِــمْ

وَذِي الكَلاَمِ صِفَــةٌ بِهَا يُطِيــقْ

تَأْدِيَــةَ المَقْصُودِ بِاللَّفْــظِ الأَنِيــقْ

وَجَعَلُــــوا بَلاَغَــةَ الكَــلاَمِ

طِبَاقَــهُ لِمُقْتَــــضَى المَقَـــــامِ

وَحَافِــــظٌ تَأْدِيَــةَ المَعَــانِي

عَــنْ خَطَــإٍ يُعْــرَفُ بِالمَعَــانِي

وَمَا مِنَ التَّعْقِيدِ فِي المَعْــنَى يَــقِي

لَــهُ البَيَــانُ عِنْدَهُــمْ قَدِ انْتُــقِي

وَمَا بِهِ وُجُوهُ تَحْسِيــنِ الكَــلاَمْ

تُعْــرَفُ يُدْعَى بِالْبَدِيِ وَالسَّــلاَمْ

الفــن الأول: علــم المعــاني

عِلْــمٌ بِهِ لِمُقْتَــضَى الحَالِ يُــرَى

لَفْظــاً مُطَابِقــاً وَفِيــهِ ذُكِــرَا

إِسْنَــادُ مُسْنَــدٌ إِلَيْــهِ مُسْنَــدُ

وَمُتَعَلِّقَــاتُ فِعْــلٍ تُــــورَدُ

قَصْـــرٌ وَإِنْشَــاءٌ وَفَصْلٌ وَصْلٌ أَوْ

إِيجَــازٌ اطْنَــابٌ مُسَـــاوَاةٌ رَأَوْا

البـــاب الأول: الإسنـــاد الخبـــري

الحُكْمُ بِالسَّــلْبِ أَوِ الإِيجَـــابِ

إِسْنَادُهُــمْ وَقَصْــدُ ذِي الخِطَـابِ

إِفَـــادَةُ السَّامِــعِ نَفْـسَ الحُكْـمِ

أَوْ كَـوْنَ مُخْبِـرٍ بِــهِ ذَا عِلْـمِ

فَـــأَوَّلٌ فَائِـــدَةٌ وَالثَّـــانِي

لاَزِمُهَـــا عِنْــدَ ذَوِي الأَذْهَـانِ

وَرُبَّمَا أُجْــرِيَ مُجْــرَى الجَاهِـلِ

مُخَاطَــبٌ إِنْ كَانَ غَيْــرَ عَامِــلِ

كَقَوْلِنَـــا لِعَالِــمٍ ذِي غَفْلَـــةِ

الذِّكْــرُ مُفْتَـــاحٌ لِبَابِ الحَضْـــرَةِ

فَيَنْبَــغِي اقْتِصَـــارُ ذِي الإِخْبَـــارِ

عَــلَى المُفِيـــدِ خَشْيَـــةَ الإِكْثَـــارِ

فَيُخْبَــرُ الخَــالِي بِــلاَ تَوْكِيــدِ

مَا لَمْ يَكُنْ فِي الحُكْــمِ ذَا تَرْدِيــدِ

فَحَسَـــنٌ وَمُنْكِــــرُ الإِخْبَــارِ

حَتْــمٌ لَــهُ بِحَسَــبِ الإِنْكَــارِ

كَقَوْلِــهِ إِنَّـــا إِلَيْكُــمْ مُرْسَلُــونْ

فَـــزَادَ بَعْدُ مَا اقْتَضَـــاهُ المُنْكِـــرُونْ

لِلَفْـظِ الاِبْتِـداءَ ثُـمَّ الطَّلَـبِ

ثُمَّتَ الاِنْكَـارِ الثَّلاَثَـةَ انْسُـبِ

وَاسْتُحْسِنَ التَّأكِيدُ إنْ لَوَّحْتَ لَـهْ

بِخَبَـرٍ كَسَائِـلٍ فِي المَنْزِلَـهْ

وَأَلْحَقُـوا أمَـارَةَ الإنْكَـارِ بِـهْ

كَعَكْسِـهِ لِنُكْتَـةٍ لَـمْ تَشْتَبِـهْ

بِقَسَـمٍ قَـدْ إنَّ لاَمُ الاِبْتِـدَا

وَنُـونِيَ التَّوْكِيـدِ وَاسْمٍ أُكِّـدَا

وَالنَّـفْيُ كَالإثْبَاتِ فِي ذَا البَـابِ

يَجْـرِي عَلَى الثَّلاَثَـةِ الألْقَـابِ

بِـأنْ كَـأنَّ لاَمٍ أوْ بَـاءِ يَمِيـنْ

كَمَا جَلِيسُ الفَاسِقِيـنَ بِالأمِيـنْ

فصـل في الإسنـاد

وَلِحَقِيقَـةٍ مَجَـازٍ وَرَدَا

لِلْعَقْـلِ مَنْسُوبَيْـنِ أمَّـا المُبْتَـدَا

إسْنَـادُ فِعْـلٍ أوْ مُضَاهِيـهِ إلَى

صَاحِبِـهِ كَفَـازَ مَـنْ تَبَتَّـلاَ

أقْسَامُـهُ مِـنْ حَيْـثُ الاِعْتِقَـادُ

وَوَاقِـعٌ أرْبَعَـةٌ تُفَـادُ

وَالثَّانِ أنْ يُسْنَدَ لِلْمَلاَبِسِ

لَيْسَ لَهُ يُبْنَى كَثَوْبٍ لاَبِسِ

أَقْسَامُهُ بِحَسَبِ النَّوْعَيْنِ فِي

جُزْأَيْهِ أَرْبَعٌ بِلاَ تَكَلُّفِ

وَوَجَبَتْ قَرِينَةٌ لَفْظِيَّهْ

أَوْ مَعْنَوِيَّةٌ وَإِنْ عَادِيَّهْ

الباب الثاني: في المسند إليه

يُحْذَفُ لِلْعِلْمِ وَلاِخْتِبَارِ

مُسْتَمِعٍ وَصِحَّةِ الإِنْكَارِ

سَتْرٍ وَضِيقِ فُرْصَةٍ إِجْلاَلِ

وَعَكْسِهِ وَنَظْمِ اسْتِعْمَالِ

كَحَبَّذَا طَرِيقَةُ الصُّوفِيَّهْ

تَهْدِي إِلَى الْمَرْتَبَةِ العَلِيَّهْ

وَاذْكُرْهُ لِلأَصْلِ وَالاِحْتِيَاطِ

غَبَاوَةٍ إِيضَاحِ انْبِسَاطِ

تَلَذُّذٍ تَبَرُّكٍ إِعْظَامِ

إِهَانَةٍ تَشَوُّقٍ نِظَامِ

تَعَبُّدٍ تَعَجُّبٍ تَهْوِيلِ

تَقْرِيرٍ أَوْ إِشْهَادٍ أَوْ تَسْجِيلِ

وَكَوْنُـــهُ مُعَرَّفــاً بِمُضْمِــــرِ

بِحَسَبِ الْمَقَـــامِ فِي النَّحْـــوِ دُرِي

وَالأَصْــلُ فِي الْمُخَاطَبِ التَّعْيِيــنُ

وَالتَّــرْكُ لِلشُّمُــولِ مُسْتَبِيــــنُ

وَكَوْنُـــهُ بِعَلَــمٍ لِيَحْصُــــلاَ

بِذِهْــنِ سَامِــعٍ بِشَخْــصٍ أَوَّلاَ

تَبَـــرُّكٍ تَلَـــذُّذٍ عِنَايَــــةِ

إِجْــلاَلِ أَوْ إِهَانَـــةٍ كِنَايَـــةِ

وَكَوْنُـــهُ بِالْوَصْــلِ لِلتَّفْخِيــمِ

تَقْرِيــرٍ أَوْ هُجْنَـــةٍ أَوْ تَوْهِيــــمِ

إِيمَــاءٍ أَوْ تَوَجُّــهُ السَّامِــعِ لَــهْ

أَوْ فَقْدِ عِلْمِ سَامِــعٍ غَيْرِ الصِّلَــهْ

وَبِإِشَــــارَةٍ لِكَشْــفِ الحَـــالِ

مِنْ قُــرْبٍ أَوْ بُعْدٍ أَوِ اسْتِجْهَــالِ

أَوْ غَايَــةِ التَّمْيِيــزِ وَالتَّعْظِيــــمِ

وَالحَــطِّ وَالتَّنْبِيــهِ وَالتَّفْخِيــــمِ

وَكَوْنُــهُ بِاللاَّمِ فِي النَّحْــوِ عُلِــمْ

لَكِــنَّ الاِسْتِغْــرَاقَ فِيهِ يَنْقَسِــمْ

إِلَى حَقِيــقِيٍّ وَعُـــرْفِيٍّ وَفِي

فَــرْدٍ مِنَ الجَمْعِ أَعَــمَّ فَاقْتُــفِي

وَبِإِضَافَــةٍ لِحَصْــرٍ وَاخْتِصَــارْ

تَشْرِيــفِ أَوَّلٍ وَثَــانٍ وَاحْتِقَــارْ

تَكَافُــؤٌ سَآمَـــــةٌ إِخْفَـــاءُ

وَحَـــثٌ أَوْ مَجَــازٌ اسْتِهْـــزَاءُ

وَنَكَّــرُوا إفْــرَاداً أَوْ تَكْثِيــرَا

تَنْوِيعــاً أَوْ تَعْظِيمــاً أَوْ تَحْقِيــرَا

كَجَهْــلٍ أَوْ تَجَاهُــلٍ تَهْوِيــــلِ

تَهْوِيــنٍ أَوْ تَلْبِيــسٍ أَوْ تَقْلِيــلِ

وَوَصْفُهُ لِكَشْــفٍ أَوْ تَخْصِيــصِ

ذَمٌّ ثَنَــا تَوْكِيــدٍ أَوْ تَنْصِيـــــصِ

وَأَكَّدُوا تَقْرِيراً أَوْ قَصْدَ الخُلُــوصْ

مِنْ ظَنٍّ سَهْوٍ أَوْ مَجَازٍ أَوْ خُصُوصْ

وَعَطَفُـــوا عَلَيْـــهِ بِالبَيَـــانِ

بِاسْــمٍ بِــهِ يَخْتَــصُّ لِلْبَيَــانِ

وَأَبْدَلُــوا تَقْرِيــراً أَوْ تَحْصِيــلاَ

وَعَطَفُـــوا بِنَسَــقٍ تَفْصِيــــلاَ

لأَحَــدِ الجُزْأَيْــــنِ أَوْ رَدٌّ إِلَى

حَقٌّ وَصَرْفِ الحُكْــمِ لِلَّذِي تَــلاَ

وَالشَّــكٌّ وَالتَّشْكِيــكِ وَالإِبْهَــامِ

وَغَيْــرِ ذَلِــكَ مِــنَ الأَحْكَــامِ

وَفَصْلُــهُ يُفِيــدُ قَصْــرَ المُسْنَــدِ

عَلَيْهِ كَالصُّــوفِيِّ وَهْوَ المُهْتَــدِي

وَقَدَّمُــوا لِلأَصْــلِ أَوْ تَشْرِيــفِ

لِخَبَــرٍ تَلَــذُّذٍ تَشْرِيـــــفِ

وَحَــطٌ اهْتِمَــامٍ أوْ تَعْظِيــــمِ

تَفَــاؤُلِ تَخْصِيــصٍ أوْ تَعْمِيــمِ

إنْ صَاحَبَ الْمُسْنَدُ حَرْفَ السَّلْــبِ

إذْ ذَاكَ يَقْتَــضِي عُمُومَ السَّلْــبِ

فصــل: في الخــروج عــن مقتــضى الظاهــر

وَخَرَجُوا عَنْ مُقْتَــضَى الظَّوَاهِــرِ

كَوَضْــعِ مُضْمَــرٍ مَكَانَ الظَّاهِــرِ

لِنُكْتَــــةٍ كَبَعْــثٍ أوْ كَمَــــالِ

تَمْيِيــزٍ أوْ سُخْرِيَــةٍ إجْهَــــالِ

أوْ عَكْسٍ أوْ دَعْوَى الظُّهُورِ وَالْمَدَدْ

لِنُكْتَةِ التَّمْكِينِ كَــ"اللَّهُ الصَّمَــدْ"

وَقَصْــدُ الاِسْتِعْطَافِ وَالإرْهَــابِ

نَحْوُ "الأمِيــرُ وَاقِــفٌ بِالبَــابِ"

وَمِنْ خِلاَفْ الْمُقْتَضَى صَرْفُ الْمُرَادْ

ذِي نُطْقٍ أوْ سُــؤَلٍ لِغَيْــرِ مَا أرَادْ

لِكَوْنِـــهِ أوْلَى بِــهِ وَأجْـــدَرَا

كَقِصَّــةِ الحَجَّــاجِ وَالقَبَعْثَــرَى

وَالاِلْتِفَــاتِ وَهْوَ الاِنْتِقَــالُ مِــنْ

بَعْضِ الأسَالِيبِ إلَى بَعْضٍ قَمِــنْ

وَالوَجْـــهُ الاِسْتِجْلاَبُ بِالْخِطَـــابِ
وَنُكْتَـــةٍ تَخْتَـــصُّ بَعْضُ البَـــابِ
وَصِيغَـــةَ المَـــاضِي لآتٍ أَوْرَدُوا
وَقَلَبُـــوا لِنُكْتَـــةٍ وَأَنْشَـــدُوا
وَمَهْمَـــهٍ مُغْبَـــرَّةٍ أَرْجَـــاؤُهُ
كَـــأَنَّ لَـــوْنَ أَرْضِـــهِ سَمَـــاؤُهُ

البـــاب الثالـــث: المسنـــد

يُحْـــذَفُ مُسْنَـــدٌ لِمَـــا تَقَدَّمَـــا
وَالْتَزَمُـــوا قَرِينَـــةَ لِيُعْلَمَـــا
وَذِكْـــرُهُ لِمَا مَـــضَى أَوْ لِيُـــرَى
فِعْـــلاً أَوِ اسْمـــاً فَيُفِيـــدُ الْمُخْبَـــرَا
وَأَفْـــرَدُوهُ لاِنْعِـــدَامِ التَّقْوِيَـــهْ
وَسَبَب كَـ"الزُّهْدُ رَأسُ التَّزْكِيَـــهْ"
وَكَوْنُـــهُ فِعْـــلاً فَلِلتَّقْيِيـــدِ
بِالوَقْـــتِ مَـــعْ إِفَـــادَةِ التَّحْدِيـــدِ
وَكَوْنُهُ اسْماً لِلثُّبُـــوتِ وَالـــدَّوَامْ
وَقَيَّـــدُوا كَالْفِعْـــلِ رَعْياً لِلتَّمَـــامْ
وَتَرَكُـــوا تَقْيِيـــدَهُ لِنُكْتَـــةٍ
كَسُتْـــرَةٍ أَوِ انْتِهَـــازِ فُرْصَـــةٍ

وَخَصَّصُوا بالوَصْفِ وَالإضَافَهْ
وَتَرَكُوا لِمُقْتَضٍ خِلاَفَهْ

وَكَوْنُهُ مُعَلَّقاً بالشَّرْطِ
فَلِمَعَانِي أدَوَاتِ الشَّرْطِ

وَنَكَّرُوا إتْبَاعاً أوْ تَفْخِيماً
حَطًّا وَفَقْدَ عَهْدٍ أوْ تَعْمِيماً

وَعَرَّفُوا إفَادَةً لِلْعِلْمِ
بنِسْبَةٍ أوْ لاَزِمٍ لِلْحُكْمِ

وَقَصَّرُوا تَحْقِيقاً أوْ مُبَالَغَهْ
بِعُرْفِ جِنْسِهِ كَـ"هِنْدُ الْمُبَالِغَهْ"

وَجُمْلَةٌ لِسَبَبٍ أوْ تَقْوِيَهْ
كَـ"الذِّكْرُ يَهْدِي لِطَرِيقِ التَّصْفِيَهْ"

وَاسْمِيَّةُ الجُمْلَةِ وَالفِعْلِيَهْ
وَشَرْطُهَا لِلنُّكْتَةِ الجَلِيَّهْ

وَأخَّرُوا أصَالَةً وَقَدَّمُوا
لِقَصْرِ مَا بِهِ عَلَيْهِ يُحْكَمُ

تَنْبِيهٍ أوْ تَفَاؤُلٍ تَشَوُّفِ
كَفَازَ بِالْحَضْرَةِ ذُو تَصَرُّفِ

البـــاب الرابـــع: في متعلقـــات الفعـــل

وَالفِعْـــلُ مَعْ مَفْعُولِهِ كَالْفِعْلِ مَـــعْ
فَاعِلِـــهِ فِيمَـــا لَهُ مَعْـــهُ اجْتَمَـــعْ
وَالغَـــرَضُ الإشْعَـــارُ بِالتَّلَبُّـــــسِ
بِوَاحِـــدٍ مِـــنْ صَاحِبَيْـــهِ فَأْتَـــسِ
وَغَيْـــرُ قَاصِـــرٍ كَقَاصِـــرٍ يُعَـــدُّ
مَهْمَا يَـــكُ المَقْصُودُ نِسْبَـــةً فَقَـــدْ
وَيُحْـــذَفُ المَفْعُـــولُ لِلتَّعْمِيـــــمِ
وَهُجْنَـــــةٍ فَاصِلَـــــةٍ تَفْهِيـــــمِ
مِـــنْ بَعْـــدِ إبْهَـــامٍ وَالاِخْتِصَـــارِ
كَـــ"بَلَـــغَ المُولَـــع بِالأذْكَـــــارِ"
وَجَـــاءَ لِلتَّخْصِيـــصِ قَبْلَ الفِعْـــلِ
تَهَمُّـــــمٍ تَبَـــــرُّكٍ وَفَصْـــــلِ
وَاحْكُـــمْ لِمَعْمُولاَتِـــهِ بِمَا ذُكِـــرْ
وَالسِّرُّ فِي التَّرْتِيبِ فِيهَـــا مُشْتَهِـــرْ

البـــاب الخامـــس: القصـــر

تَخْصِيـــصُ أمْـــرٍ مُطْلَقـــاً بِأمْـــرِ
هُـــوَ الَّـــذِي يَدْعُونَـــهُ بِالْقَصْـــرِ

يَكُونُ فِي المَوْصُوفِ وَالأَوْصَافِ

وَهْوَ حَقِيقِيٌّ كَمَا إضَافِي

لِقَلْبِ أَوْ تَعْيِينِ أَوْ إِفْرَادِ

كَأَنَّمَا تَرْقَى بِالاِسْتِعْدَادِ

وَأَدَوَاتُ القَصْرِ إلاَّ إِنَّمَا

عَطْفٌ وَتَقْدِيمٌ كَمَا تَقَدَّمَا

الباب السادس: في الإنشاء

مَا لَمْ يَكُنْ مُحْتَمِلاً لِلصِّدْقِ

وَالكَذِبِ الإِنْشَا كَـ"كُنْ بِالْحَقِّ"

وَالطَّلَبُ اسْتِدْعَاءُ مَا لَمْ يَحْصُلِ

أَقسَامُهُ كَثِيرَةٌ سَتَنْجَلِي

أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَدُعَاءٌ وَنِدَا

تَمَنٍّ اسْتِفْهَامٌ اعْطِيتَ الْهُدَى

وَاسْتَعْمَلُوا كَلَيْتَ لَوْ وَهَلْ لَعَلّْ

وَحَرْفَ حَضٍّ وَلِلاِسْتِفْهَامِ هَلْ

أَيٌّ مَتَى أَيَّانَ أَيْنَ مَنْ وَمَا

وَكَيْفَ أَنَّى كَمْ وَهَمْزٌ عُلِمَا

وَالهَمْزُ لِلتَّصْدِيقِ وَالتَّصَوُّرِ

وَبِالَّذِي يَلِيهِ مَعْنَاهُ حَرِي

وَهَلْ لِتَصْدِيــق بِعَكْــسِ مَا غَبَــرْ

وَلَفْــظُ الاِسْتِفْهَــامِ رُبَّمَــا عَبَــرْ

لأمْــرِ اسْتِبْطَــــاءِ أوْ تَقْرِيــرِ

تَعَجُّــــبِ تَهَكُّــــمٍ تَحْقِيــــرِ

تَنْبِيــهِ اسْتِبْعَــادِ أوْ تَرْهِيــبِ

إنْكَــارِ ذِي تَوْبِيــخٍ أوْ تَكْذِيــبِ

قَدْ يَــجِي أمْــراً وَنَهْيــاً وَنِــدَا

فِي غَيْــرِ مَعْنَــاهُ لأمْــرٍ قُصِــدَا

وَصِيغَــةُ الإخْبَارِ تَــأتِي لِلطَّلَــبْ

لِفَــالٍ أوْ حِرْصٍ وَحَمْــلٍ وَأدَبْ

البــاب السابــع: الفصــل والوصــل

الفَصْــلُ تَرْكُ عَطْفِ جُمْلَةٍ أتَــتْ

مِنْ بَعْدِ أُخْرَى عَكْسَ وَصْلٍ قَدْ ثَبَتْ

فَافْصِــلْ لَدَى التَوْكِيدِ وَالإبْــدَالِ

لِنُكْتَــــةٍ وَنِيَّــــةِ السُّــــؤَالِ

وَعَدَمِ التَّشْرِيكِ فِي حُكْمٍ جَــرَى

أوِ اخْتِــلاَفٍ طَلَبــاً أوْ خَبَــــرَا

وَفَقْــدِ جَامِــعٍ وَمَــعْ إيهَــامِ

عَطْفٍ سِوَى المَقْصُودِ فِي الكَــلاَمِ

وَصِلْ لَدَى التَّشْرِيكِ فِي الإِعْــرَابِ

وَقَصْدِ رَفْعِ اللَّبْــسِ فِي الجَــوَابِ

وَفِي اتِّفَـــاقٍ مَـعَ الاتِّصَـــالِ

فِي عَقْـــلٍ أَوْ فِي وَهْمٍ أَوْ خَيَـــالِ

وَالوَصْلُ مَعْ تَنَاسُبٍ فِي اسْمٍ وَفِي

فِعْلٍ وَفَقْدِ مَانِـــعٍ قَـــدِ اصْطُــفِي

البـــاب الثامــن: الإيجــاز والإطنــاب والمســاواة

تَأدِيَـــةُ المَعْـــنَى بِلَفْـــظٍ قَـــدْرِهِ

هِيَ المُسَـــاوَاةُ كَسِــرْ بِذِكْـــرِهِ

وَبِأَقَـــلَّ مِنْـــهُ إِيجَـــازٌ عُلِــمْ

وَهْوَ إِلَى قَصْرٍ وَحَـــذْفٍ يَنْقَسِـــمْ

كَـــ"عَنْ مَجَالِسِ الفُسُوقِ بُعْـــدَا

وَلاَ تُصَاحِـــبْ فَاسِقـــاً فَتَـــرْدَى"

وَعَكْسُـــهُ يُعْـــرَفُ بِالإِطْنَـــابِ

كَـــ"الْزَمْ ـــ رَعَاكَ اللَّهُ ـــ قَرْعَ البَابِ"

يَـــجِيءُ بِالإِيضَـــاحِ بَعْدَ اللَّبْـــسِ

لِشَـــوْقٍ أَوْ تَمَكُّـــنٍ فِي النَّفْـــسِ

وَجَـــاءَ بِالإِيغَـــالِ وَالتَّذْيِيـــــلِ

تَكْرِيـــرِ اعْتِـــرَاضٍ أَوْ تَكْمِيـــلِ

يُـــدْعَى بِالاِحْتِـــرَاسِ وَالتَّتْمِيـــمِ
وَقَفْوِ ذِي التَّخْصِيصِ ذَا التَّعْمِيـــمِ
وَوَصْمَـــةِ الإِخْـــلاَلِ وَالتَّطْوِيـــلِ
وَالحَشْـــوُ مَـــرْدُودٌ بِلاَ تَفْصِيـــلِ

الفـــن الثـــاني: علـــم البيـــان

فَـــنُّ البَيَـــانِ عِلْمٌ مَا بِهِ عُـــرِفْ
تَأدِيَـــةُ المَعْـــنَى بِطُرْقٍ مُخْتَلِـــفْ
وُضُوحُهَـــا وَاحْصُـــرْهُ فِي ثَلاَثَـــةِ
تَشْبِيـــهٍ أوْ مَجَـــازٍ أوْ كِنَايَـــةِ

فصـــل في الدلالـــة الوضعيـــة

وَالقَصْـــدُ بِالدَّلاَلَـــةِ الوَضْعِيَّـــهْ
عَلَى الأَصَحِّ الفَهْـــمُ لاَ الحِسِّيَّـــهْ
أقْسَامُهَـــا ثَلاَثَـــةٌ مُطَابَقَـــهْ
تَضَمُّـــنٌ الْتِـــزَامٌ امَّـــا السَّابِقَـــهْ
فَهْيَ الحَقِيقَـــهْ لَيْسَ فِي فَنِّ البَيَـــانِ
بَحْـــثٌ لَهَا وَعَكْسُـــهُ العَقْلِيَّتَـــانِ

البـــاب الأول: التشبيـــه

تَشْبِيهُنَـــا دَلاَلَـــةٌ عَلَى اشْتِـــرَاكْ

أمْرَيْـــنِ فِي مَعْـــنًى بِآلَـــةٍ أتَـــاكْ

أرْكَانُــــــهُ أرْبَعَـــــةٌ وَجْـــهٌ أدَاهْ

وَطَرَفَـــاهُ فَاتَّبِـــعْ سُبْـــلَ النَّجَـــاهْ

فَصْـــلٌ وَحِسِّيَـــانِ مِنْهُ الطَّرَفَـــانْ

أيَضـــاً وَعَقْلِيَّـــانِ أوْ مُخْتَلِفَـــانْ

الوَجْـــهُ مَـــا يَشْتَرِكَـــانِ فِيـــهِ

وَدَاخِـــلاً وَخَارِجـــاً تُلْفِيـــــهِ

وَخَـــارِجٌ وَصْفٌ حَقِيـــقِيٌّ جَـــلاَ

بِحِـــسٍ أوْ عَقْـــلٍ وَنِسْـــبِيٌّ تَـــلاَ

وَوَاحِـــــداً يَكُـــونُ أوْ مُؤَلَّفَـــــا

أوْ مُتَعَـــــدِّداً وَكُـــــلٌّ عُرِفَـــــا

بِحِـــسٍّ أوْ عَقْلٍ وَتَشْبِيـــهٍ نُـــمِي

فِي الضِّـــدِّ وَالتَّلْمِيـــحِ لِلتَّهَكُّـــمِ

فصـــل: في أداة التشبيـــه وغايتـــه وأقسامـــه

أدَاتُـــــهُ كَـــافٌ كَـــأنَّ مِثْـــلُ

وَكُلٌّ مَا ضَاهَـــاهُ ثُـــمَّ الأصْـــلُ

إيــلاَءُ مَا كَالْكَافِ مَا شُبِّــهَ بِــهْ
بِعَكْسِ مَا سِــوَاهُ فَاعْلَــمْ وَانْتَبِــهْ
وَغايَــةُ التَشْبِيــهِ كَشْفُ الحَــالِ
مِقْــدَارٍ أوْ مَكَـــانٍ أوْ إيصَــالِ
تَزْيِــــنٍ أوْ تَشْوِيــهٍ اهْتِمَــــامِ
تَنْوِيــهٍ اسْتِظْــرَافٍ أوْ إيهَــــامِ
رُجْحَانُــهُ فِي الوَجْــهِ بِالمَقْلُــوبِ
كَــ"اللَّيْثُ مِثْلُ الفَاسِقِ المَصْحُوبِ"
وَبِاعْتِبَــارِ الطَّرَفَيْــنِ يَنْقَســمْ
أرْبَعَــةً تَرْكِيبــاً افْــرَاداً عُلِــمْ
وَبِاعْتِبَــارِ عَــدَدٍ مَلْفُــوفٍ أوْ
مَفْــرُوقٍ أوْ تَسْوِيَــةٍ جَمْــعٍ رَأوْا
وَبِاعْتِبَــارِ الوَجْـــهِ تَمْثِيــلٌ إذَا
مِــنْ مُتَعَـــدِّدٍ تَـــرَاهُ أخِــذَا
وَبِاعْتِبَــارِ الوَجْــهِ أيْضاً مُجْمَــلُ
خَــفِيٌّ أوْ جَــلِيٌّ أوْ مُفَصَّـــلُ
وَمِنْــهُ بِاعْتِبَــارِهِ أيْضــاً قَرِيــبْ
وَهْوَ جَلِيُّ الوَجْهِ عَكْسُهُ الغَرِيــبْ
لِكَثْــرَةِ التَّفْصِيــلِ أوْ لِنَـــدْرَةِ
فِي الذِّهْنِ كَــ"التَّرْتِيبِ فِي كَنُهَيْتِي"
وَبِاعْتِبَـــارِ آلَــةٍ مُؤَكَّـــدُ
بِحَذْفِهَـــا وَمُرْسَــلٌ إذْ تُوجَــدُ

وَمِنْـــهُ مَقْبُـــولٌ بغَايَـــةٍ يَـــفِي

وَعَكْسُـــهُ المَـــرْدُودُ وَالتَّعَسُّـــفِ

وَأَبْلَـــغُ التَّشْبِيـــهِ مَا مِنْهُ حُـــذِفْ

وَجْـــهٌ وَآلَـــةٌ يَلِيـــهِ مَا عُـــرِفْ

البـــاب الثـــاني: الحقيقـــة والمجـــاز

حَقِيقَـــةٌ مُسْتَعْمَـــلٌ فِيمَا وُضِـــعْ

لَهُ بعُـــرْفِ ذِي الخِطَـــابِ فَاتَّبِـــعْ

ثُمَّ المَجَـــازُ قَـــدْ يَـــجِيءُ مُفْـــرَدَا

وَقَـــدْ يَـــجِي مُرَكَّبـــاً فَالْمُبْتَـــدَا

كَلِمَـــةٌ غَايَـــرَتِ المَوْضُوعَ مَـــعْ

قَرِينَـــةٍ لِعُلْقَـــــةٍ نِلْـــتَ الـــوَرَعْ

كَاخْلَعْ نِعَـــالَ الكَوْنِ كَيْ تَـــرَاهُ

وَغُـــضَّ طَرْفَ القَلْبِ عَنْ سِـــوَاهُ

كِلاَهُمَـــا شَـــرْعِيٌّ أَوْ عُـــــرْفِيُّ

نَحْـــوُ ارْتَقَى لِلْحَضْرَةِ الصُّـــوفِيُّ

أَوْ لُغَـــوِيٌّ وَالمَجَـــازُ مُرْسَـــــلُ

أَوِ اسْتِعَـــــارَةٌ فَأَمَّـــــا الأَوَّلُ

فَمَـــا سِـــوَى تَشَابُـــهٍ عَلاَقَتُـــــهْ

جُـــزْءٌ وَكُـــلٌ أَوْ مَحَـــلٌ آلَتُـــهْ

ظَرْفٌ وَمَظْرُوفٌ مُسَبَّــبٌ سَبَــبْ

وَصْــفٌ لِمَاضٍ أوْ مَآلٍ مُرْتَقِــبْ

فصــل في الاستعــارات

وَالاِسْتِعَــارَةُ مَجَــازٌ عُلْقَتُــــهْ

تَشَابُــهٌ كَــ"أسَـدٍ شَجَاعَتُــهْ"

وَهْي مَجَــازٌ لُغَــةً عَلَى الأصَــحْ

وَمُنِعَــتْ فِي عَلَــمٍ لِمَا اتَّضَــحْ

وَفَــرْداً أوْ مَعْــدُوداً أوْ مُؤَلَّفَــا

مِنْــهُ قَرِينَــةٌ لَهَــا قَــدْ أُلِفَــــا

وَمَــعْ تَنَــافِي طَرَفَيْهَــا تَنْتَــمِي

إِلَى العِنَــادِ لاَ الوِفَــاقِ فَاعْلَــمِ

ثُــمَّ العِنَادِيَّـــــةُ تَلْمِيحِيَّــــهْ

تُلْــفَى كَمَــا تُلْــفَى تَهَكُّمِيَّــهْ

وَبِاعْتِبَــــارِ جَامِــــعٍ قَرِيبَــــهْ

كَقَمَــــرٍ يَقْــــرَأُ أوْ غَرِيبَــــهْ

وَبِاعْتِبَــــارِ جَامِــعٍ وَطَرَفَيْـــــنِ

حِســاً وَعَقْلاً سِتَّــةٌ بِغَيْرِ مَيْــنِ

وَاللَّفْظُ إنْ جِنْســاً فَقُــلْ أصْلِيَّــهْ

وَتَبَعِيَّـــــةٌ لَــــدَى الوَصْفِيَّــــهْ

وَالفِعْلُ وَالحَرْفُ كَحَالِ الصُّـــوفِي

يَنْطِـــقُ أَنَّـــهُ المُنِيـــــبُ المُـــوفِي

وَأُطْلِقَـــتْ وَهْيَ الَّتِي لَمْ تَقْتَـــرِنْ

بِوَصْـــفٍ أوْ تَفْرِيعِ أمْرٍ فَاسْتَبِـــنْ

وَجُـــــرِّدَتْ بِلاَئِـــــقٍ بالفَصْـــلِ

وَرُشِّحَـــتْ بِلاَئِـــــقٍ بِالأَصْـــلِ

نَحْوُ ارْتَـــقَى إِلَى سَمَاءِ القُـــدْسِ

فَفَـــاقَ مَنْ خَلْـــفَ أرْضِ الحِـــسِّ

أَبْلَغُهَـــــا التَّرْشِيـــحُ لاِبْتِنَائِـــــهِ

عَـــلَى تَنَـــاسِي الشِّبْـــهِ وَانْتِفَائِـــهِ

فصـــل في التحقيقيـــة والعقليـــة

وَذَاتُ مَعْـــنًى ثَابِـــتٍ بِحِـــسٍ أوْ

عَقْـــــلٍ فَتَحْقِيقِيَّـــةٌ كَـــذَا رَأَوْا

كَأَشْرَقَـــتْ بَصَائِـــرُ الصُّوفِيَّـــــهْ

بِشَمْسِ نُـــورِ الحَضْـــرَةِ القُدْسِيَّـــهْ

فصـــل في المكنيـــة

وَحَيْـــثُ تَشْبِيهٌ بِنَفْـــسٍ أُضْمِـــرَا
وَمَـــا سِـــوَى مُشَبَّـــهٍ لَمْ يُذْكَـــرَا
وَدَلَّ لاَزِمٌ لِمَـــا شُبِّـــهَ بِـــهْ
فَذَلِـــكَ التَّشْبِيـــهُ عِنْـــدَ المُنْتَبِـــهْ
يُعْـــرَفُ بِاسْتِعَـــارَةِ الكِنَايَـــةِ
وَذِكْـــرُ لاَزِمٍ بِتَخْيِيلِيَّـــةِ
كَأَنْشَبَـــتْ مَنِيَّـــةٌ أَظْفَارَهَـــا
وَأَشْرَقَـــتْ حَضْرَتُهَـــا أَنْوَارَهَـــا

فصـــل في تحسيـــن الاستعـــارة

مُحْسِـــنُ اِسْتِعَـــارَةٍ تَدْرِيـــهِ
يُـــدْعَى بِوَجْهِ الحُسْـــنِ لِلتَّشْبِيـــهِ
وَالبُعْـــدُ عَنْ رَائِحَـــةِ التَّشْبِيـــهِ فِي
لَفْـــظٍ وَلَيْسَ الوَجْهُ أَلْغَـــازاً قُـــفِي

فصـــل في تركيـــب المجـــاز

مُرَكَّـــبُ المَجَـــازِ مَـــا تَحَصَّـــلاَ

فِي نِسْبَـــةٍ أوْ مِثْلِ تَمْثِيـــلٍ جَـــلاَ

وَإنْ أَبى اسْتِعَـــارَةً مُرَكَّـــبُ

فَمَثَـــلاً يُـــدْعَى وَلاَ يُنَكَّـــبُ

فصـــل في تغييـــر الإعـــراب

وَمِنْـــهُ مَـــا إعْرَابُـــهُ تَغَيَّـــرَا

بِحَـــذْفِ لَفْـــظٍ أوْ زِيَادَةٍ تُـــرَى

البـــاب الثلـــث: الكنايـــة

لَفْـــظٌ بِـــهِ لاَزِمُ مَعْنَـــاهُ قُصِـــدْ

مَـــعْ جَـــوَازِ قَصْـــدِهِ مَعْهُ يَـــرِدْ

إلَى اخْتِصَاصِ الوَصْفِ بِالمَوْصُوفِ

كَـــ"الخَيْرُ فِي العُزْلَةِ يَا ذَا الصُّوفِي"

وَنَفْسُ مَوْصُوفٍ وَوَصْفٍ وَالْغَرَضْ

إيضَاحٌ اِخْتِصَارٌ أوْ صَوْنٌ عَـــرَضْ

أوِ انْتِفَــاءِ اللَّفْــظِ لاِسْتِهْجَــانِ
وَنَحْــوِهِ كَــ"اللَّمْــسِ وَالإتْيَــانِ"

فصــل في مراتــب المجــاز الكــنى

ثُمَّ المَجَــازُ وَالكُــنَى أبْلَــغُ مِــنْ
تَصْرِيــحٍ أوْ حَقِيقَــةٍ كَذَا زُكِــنْ
فِي الفَــنِّ تَقْدِيــمُ اسْتِعَــارَةٍ عَلَى
تَشْبِيــهٍ ايْضــاً بِاتِّفَــاقِ العُقَــلاَ

الفــن الثالــث: علــم البديــع

عِلْمٌ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِيــنِ الكَــلاَمْ
يُعْــرَفُ بَعْدَ رَعْيِ سَابِــقِ المَــرَامْ
ثُــمَّ وُجُــوهُ حُسْنِــهِ ضَرْبَــانِ
بِحَسَــبِ الألْفَــاظِ وَالمَعَــانِي

الضــرب الأول: المعنــوي

وَعُــدَّ مِــنْ ألْقَابِــهِ الْمُطَابَقَــهْ
تَشَابُــــهُ الأطْــرَافِ وَالْمُوافَقَــهْ

وَالعَكْـــسُ وَالتَّسهِيمُ وَالْمُشَاكَلَـــهْ

تَـــزَاوجٌ رُجُـــوعٌ أوْ مُقَابَلَـــهْ

تَوْرِيَـــةٌ تُـــدْعَى بِإيهَـــامٍ لِمَـــا

أُرِيـــدَ مَعْنَـــاهُ البَعِيـــدُ مِنْهُمَـــا

وَرُشِّحَـــتْ بمَا يُلاَئِـــمُ القَرِيـــبْ

وَجُـــرِّدَتْ بِفَقْـــدِهِ فَكُنْ مُنِيـــبْ

جَمْـــعٌ وَتَفْرِيـــقٌ وَتَقْسِيمٌ وَمَـــعْ

كِلَيْهِمَا أوْ وَاحِـــدٍ جَمْـــعٌ يَقَـــعْ

وَاللَّـــفُّ وَالنَّشْـــرُ وَالاِسْتِخْـــدَامُ

أيْضـــاً وَتَجْرِيـــدٌ لَـــهُ أقْسَـــــامُ

ثُـــمَّ الْمُبَالَغَـــةُ وَصْـــفٌ يُـــدَّعَى

بُلُوغُـــهُ قَـــدْراً يُـــرَى مُمْتَنِعَـــا

أوْ تَابِعـــاً وَهْـــوَ عَـــلَى أنْحَـــاء

تَبْلِيـــغٌ إِغْـــرَاقٌ غُلُـــوٌّ جَـــائِي

مَقْبُـــولاً أوْ مَـــرْدُوداً التَّفْرِيـــعُ

وَحُسْـــــنُ تَعْلِيـــلٍ لَـــهُ تَنْوِيـــعُ

وَقَدْ أتَـــوْا فِي الْمَذْهَبِ الكَـــلاَمِي

بِحُجَـــــجٍ كَمَهْيَـــعِ الكَـــــلاَمِ

وَأكَّـــدُوا مَدْحـــاً بِشِبْـــهِ الـــذَّمِّ

كَالْعَكْسِ والإِدْمَاجُ مِنْ ذَا العِلْـــمِ

وَجَاءَ الاِسْتِتْبَاعُ وَالتَّوْجِيـــهُ مَـــا

يَحْتَمِـــلُ الوَجْهَيْـــنِ عِنْدَ العُلَمَـــا

وَمِنْهُ قَصْدُ الجَـدِّ بِالْهَـزْلِ كَمَـا

يُثْنَى عَلَى الفَخُورِ ضِدَّ مَا اعْتَمَـا

وَسُـوقُ مَعْلُومٍ مَسَاقَ مَا جُهِـلْ

لِنُكْتَـةٍ تَجَاهُـلٌ عَنْهُـمْ نُقِـلْ

وَالقَـوْلُ بِالمُوجَـبِ قُلْ ضَرْبَـانِ

كِلاَهُمَـا فِي الفَـنِّ مَعْلُومَـانِ

وَالاِطِّـرَادُ العَطْـفُ بِالآبَـاءِ

لِلشَّخْـصِ مُطْلَقـاً عَلَى الْـوَلاَءِ

الضـرب الثـاني: اللفـظي

مِنْـهُ الجِنَـاسُ وَهْـوَ ذُو تَمَـامِ

مَـعَ اتِّحَـادِ الحَـرْفِ وَالنِّظَـامِ

وَمُتَمَاثِـلاً دُعِي إنِ ائْتَلَـفْ

نَوْعٌ وَمُسْتَوْفًى إذَا النَّوْعُ اخْتَلَـفْ

لَنْ يَعْـرِفَ الوَاحِـدُ إلاَّ وَاحِـدَا

فَاخْرُجْ عَنِ الكَوْنِ تَكُنْ مُشَاهِـدَا

وَمِنْـهُ ذُو التَّرْكِيـبِ ذُو تَشَابُـهِ

خَطًّـا وَمُفْـرُوقٌ بِـلاَ تَشَابُـهِ

وَإِنْ بِهَيْئَـةِ الحُـرُوفِ اخْتَلَفَـا

فَهْـوَ الَّـذِي يَدْعُونَـهُ المُحَرَّفَـا

وَنَاقِــصٌ مَعَ اخْتِلاَفٍ فِي العَــدَدْ

وَشَــرْطُ خُلْفِ النَّوْعِ وَاحِدٌ فَقَــدْ

وَمَــعْ تَقَــارُب مُضَارِعــاً أُلِــفْ

وَمَعْ تَبَاعُــدٍ بِلاَحِــقٍ وُصِــفْ

وَهْوَ جِنَاسُ القَلْبِ حَيْثُ يَخْتَلِــفْ

تَرْتِيبُهَــا لِلْكُلِّ وَالبَعْــضَ أضِــفْ

مُجَنَّحــاً يُــدْعَى إذَا تَقَاسَمَــا

بَيْتــاً فَكَانَــا فَاتِحــاً وَخَاتِمَــا

وَمَــعْ تَــوَالِي الطَّرَفَيْــنِ عُرِفَــا

مُزْدَوَجــاً كُــلُّ جِنَــاسٍ أُلِفَــا

تَنَاسُــبُ اللَّفْظَيْــنِ بِاشْتِقَـــاقِ

وَشِبْهِــهِ فَــذَاكَ ذُو الْتِحَـــاقِ

وَيَــرِدُ التَّجْنِيـــسُ بِالإشَــارَةِ

مِنْ غَيْــرِ أنْ يُذْكَــرَ فِي العِبَــارَةِ

وَمِنْــهُ رَدُّ عَجُــزِ اللَّفْــظِ عَــلَى

صَدْرٍ فَــفِي نَثْــرٍ بِفَقْــرَةٍ جَــلاَ

مُكْتَنِفــاً وَالنَّظْـــمُ الأوَّلْ أوَّلاَ

آخِــرَ مِصْــرَاعٍ فَمَا قَبْــلُ تَــلاَ

مُكَــرَّراً مُجَانِســاً وَمَا الْتَحَــقْ

يَأْتِي كَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أحَــقْ

فصـــل في السجـــع

وَالسَّجْعُ فِي فَوَاصِــلِ فِي النَّثْــرِ
مُشْبِهَـــةٍ قَافِيَــةً فِي الشِّعْــــرِ
ضُرُوبُـــهُ ثَلاَثَــةٌ فِي الفَـــنِّ
مُطَــرَّفٌ مَعَ اخْتِــلاَفِ الْــوَزْنِ
مُرَصَّــعٌ إنْ كَانَ مَــا فِي الثَّانِيَــهْ
أوْ جُلُّــهُ عَــلَى وِفَــاقِ المَاضِيَــهْ
وَمَــا سِــوَاهُ المُتَــوَازِي فَــادْرِي
كَـ"سُــرُرٍ مَرْفُوعَةٍ فِي الذِّكْــرِ"
أبْلَــغُ ذَاكَ مُسْتَــوٍ فَمَــا يُــرَى
فِيهِ الْقَرِينَتَيْــنِ الأخْــرَى أكْثَــرَا
وَالعَكْسُ إنْ يَكْثُرْ فَلَيْسَ يَحْسُــنُ
وَمُطْلَقــاً أعْجَازُهَــا تُسَكَّـــــنُ
وَجَعْــلُ سَجْعٍ كُلَّ شَطْرٍ غَيْرَ مَــا
فِي الآخرِ التَّشْطِيــرُ عِنْدَ الْعُلَمَــا

فصـــل في الموازنـــة

ثُـــمَّ المُوَازَنَــةُ وَهْيَ التَّسْوِيَــهْ
لِفَاصِلٍ فِي الْوَزْنِ لاَ فِي التَّقْفِيَــهْ

وَهْيَ المُمَاثَلَــةُ حَيْــثُ يَتَّفِـــقْ

فِي الوَزْنِ لَفْظٌ فَقْرَتَيْــهِ فَاسْتَفِــقْ

وَالقَلْــبُ وَالتَّشْرِيعُ والْتِــزَامُ مَــا

قَبْلَ الــرَّوِيِّ ذِكْــرُهُ لَنْ يَلْزَمَــا

السرقـــات

وَأخْــذُ شَاعِــرٍ كَلاَمَــاَ سَبَقَــهْ

هُــوَ الَّــذِي يَدْعُونَــهُ بِالسَّرِقَــهْ

وَكُــلُّ مَــا قُــرِّرَ فِي الألْبَــاب

أوْ عَــادَةٍ فَلَيْسَ مِــنْ ذَا البَــابِ

وَالسَّرِقَـــاتُ عِنْدَهُــمْ قِسْمَــانِ

خَفِيَّـــةٌ جَلِيَّـــةٌ وَالثَّـــانِي

تَضَمُّـــنُ المَعْنَى جَمِيعــاً مُسْجَــلاَ

إرَادَةُ انْتِحَــالِ مَــا قَــدْ نُقِــلاَ

بِحَالِـــهِ وَألْحَقُــوا المُرَادِفَــا

بِــهِ وَيُــدْعَى مَــا أتَى مُخَالِفَــا

لِنَظْمِــهِ إغَــارَةً وَحُمِــدَا

حَيْــثُ مِنَ السَّابِقِ كَانَ أجْــوَدَا

وَأخْــذُهُ المَعْــنَى مُجَــرَّدَا دُعِي

سَلْخــاً وَإلْمَامــاً وَتَقْسِيماً فَــعِي

السرقــة الخفيــة

وَمَا سِـــوَى الظَّاهِـــرِ إنْ تَغَيَّـــرَا
مَعْـــنًى بِوَجْهٍ مَا وَمَحْمُوداً يُـــرَى
لِنَقْـــلٍ أوْ خَلْـــطٍ شُمُولِ الثَّـــانِي
وَقَلْـــبٍ أوْ تَشَابُـــهِ المَعَـــانِي
أحْوَالُـــهُ بِحَسَـــبِ الخَفَـــاءِ
تَفَاضَلَـــتْ فِي الحُسْـــنِ وَالثَّنَـــاءِ

الاقتبـــاس

وَالاقْتِبَـــاسُ أنْ يُضَمَّـــنَ الكَـــلاَمُ
قُرْآنـــاً أوْ حَدِيثَ سَيِّـــدِ الأنَـــامِ
وَالاقْتِبَـــاسُ عِنْدَهُـــمْ ضَرْبَـــانِ
مُحَـــوَّلٌ وَثَابِـــتُ المَعَـــانِي
وَجَائِـــزٌ لِـــوَزْنٍ أوْ سِـــوَاهُ
تَغْيِيـــرُ نَـــدْرِ اللَّفْـــظِ لاَ مَعْنَـــاهُ

التضمين والحل والعقد

وَالأَخْذُ مِنْ شِعْرٍ بِحَذْفِ مَا خَفِي
تَضْمِينُهُمْ وَمَا عَلَى الأَصْلِ يَفِي
لِنُكْتَةٍ جَلِيَّةٍ وَاغْتُفِرَا
يَسِيرُ تَغْيِيرٍ وَمَا مِنْهُ يُرَى
بَيْتاً فَأَعْلَى بِاسْتِعَانَةٍ عُرِفْ
وَشَطْراً أو ادْنَى بِإِيدَاعٍ أُلِفْ
وَالعَقْدُ نَظْمُ النَّثْرِ لاَ بِالاِقْتِبَاسْ
وَالحَلُّ نَثْرُ النَّظْمِ فَاعْرِفِ القِيَاسْ
وَاشْتَرَطُوا الشُّهْرَةَ فِي الكَلاَمِ
وَالمَنْعُ أَصْلُ مَذْهَبِ الإِمَامِ

التلميح

إِشَارَةٌ لِقِصَّةٍ شِعْرٍ مَثَلْ
مِنْ غَيْرِ ذِكْرِهِ فَتَلْمِيحٌ كَمَلْ

تذنيـــب بالألقـــاب مـــن الفـــن

مِنْ ذَلِــكَ التَّوْشِيــحُ وَالتَّرْدِيــدُ
تَرْتِيــــبٌ اخْتِــرَاعٌ أَوْ تَعْدِيــدُ

كَالتَّائِبُــونَ العَابِدُونَ الحَامِــدُونْ
السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ لسَّاجِــدُونْ

تَطْرِيــزٌ أَوْ تَدْبِيــجٌ اسْتِشْهَــادُ
إِيضَــاحٌ ائْتِــلاَفٌ اسْتِطْــــرَادُ

إِحَالَــــةٌ تَلْوِيــحٌ أَوْ تَخْيِيــــلُ
وَفُرْصَــــةٌ تَسْمِيــطٌ أَوْ تَعْلِيــلُ

تَحْلِيَــــةٌ أَوْ نَقْــلٌ أَوْ تَختُّــــمُ
تَجْرِيــدٌ اسْتِقْــلاَلٌ أَوْ تَهَكُّــــمُ

تَعْرِيــضٌ أَوْ إِلْغَــــازٌ اِرْتِقَــــاءُ
تَنْزِيــــلٌ أَوْ تَأْنِيــسٌ أَوْ إِيمَــاءُ

حُسْنُ البَيَانِ وَصْفٌ أَوْ مُرَاجَعَــهْ
حُسْـــنُ تَخَلُّــصٍ بِــلاَ مُنَازَعَــهْ

فصـــل: فيمـــا لا يعـــد كذبـــا

وَلَيْــسَ فِي الإِيهَــامِ وَالتَّهَكُّــمِ
وَلاَ التَّغَــالِي بِسِــــوَى المُحَــرَّمِ

مِنْ كَذِبٍ وَفِي المِـزَاحِ قَدْ لُـزِبْ
بِحَيْثُ لاَ مِنْهُ يُعَـدُّ مِنَ الكَـذِبْ

خاتمـــــة

وَيَنْبَـــغِي لِصَاحِـبِ الكَـــلاَمِ
تَأَنُّـــقٌ فِي البِـــدْءِ وَالخِتَـــامِ
بِمَطْلَـعٍ حَسَنٍ وَحُسْـنِ الفَـالِ
وَسَبْـكٍ أَوْ بَرَاعَـةِ اسْتِهْـــلاَلِ
وَالحُسْنُ فِي تَخَلُّصٍ أَوِ اقْتِضَـابْ
وَفِي الَّذِي يَدْعُونَهُ فَصْلَ الخِطَـابْ
وَمِنْ سِمَاتِ الحُسْـنِ فِي الخِتَـامِ
إِرْدَافُـــهُ بِمُشْعِـــرِ التَّمَـــامِ
هَــذَا تَمَـامُ الجُمْلَـةِ المَقْصُـودَهْ
مِنْ صِفَـةِ البَلاَغِـةِ المَحْمُـودَهْ
ثُمَّ صَـلاَةُ اللَّـهِ طُـولَ الأَمَـدِ
عَلَى النَّـبِيِّ المُصْطَـفَى (مُحَمَّـدِ)
وَآلِــهِ وَصَحْبِـهِ الأَخْيَـــارِ
مَـا غَـرَّدَ المُشْتَـاقُ بِالأَسْحَـارِ
وَخَـرَّ سَاجِـداً إِلَى الأَذْقَـــانِ
يَبْـغِي وَسِيلَـةً إِلَى الرَّحْمَـــنِ

تَـــمَّ بِشَهْــرِ الحجَّـــةِ المَيمُـــــونِ

تَتْمِيـــمُ نِصْفِ عَاشِـــرِ القُــرُونِ

*****

ثامناً: ــ السلم المرونق:

"السلم المرونق" منظومة من بحر الرجز؛ أنجزها **الأخضري** في 144 بيتاً؛ وقد لخص فيها **"علم المنطق والحكمة"** ببراعة كبيرة؛ بغرض إفادة تلاميذه، وتعليمهم أهم القضايا التي عالجها علم المنطق. وبذلك تتضح مكانة **الأخضري** العلمية والمنهجية. كما قام **الأخضري** ــ بنفسه ــ بإعداد شرح لمنظومة **"السلم المرونق"**. وقد طبع المتن وشرحه معاً في مصر. كما طبعت المنظومة ــ لوحدها ــ عدة مرات في مصر.

وقد تولى ــ أيضاً ــ شرح منظومة **"السلم المرونق"** عدد من علماء المغرب والمشرق كـ: مصر والسودان والهند؛[1] حيث طبعت وتناولها الناس بالحفظ والدرس. ففي المشرق شرحت من قبل: **إبراهيم الباجوري**،[2] **ومحمد الأنبابي**،[3] **ومحمد التفاني**. أما في الجزائر؛ فأهم شرح لمنظومة **"السلم المرونق"** كان

---

[1] أنظر تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 2، ص ص: 159 ــ 160.

[2] وهو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري؛ فقيه شافعي ولد سنة 1198 هـ/1784م؛ في قرية باجور التابعة للمنوفية بمصر؛ وتولى مشيخة الأزهر؛ ثم توفي سنة 1277هـ/1860م. من مؤلفاته أيضاً: "حاشية على مختصر السنوسي" في المنطق، و"التحفة الخيرية" وهي حاشية على الشنشورية في الفرائض، و "تحفة المريد على جوهرة التوحيد"، وغيره.

[3] هو شمس الدين محمد بن محمد بن حسين الأنبابي؛ فقيه شافعي؛ ولد في القاهرة سنة 1240 هـ/1824م، وتوفي بها سنة 1313هـ/1896م؛ تقلد مشيخة الأزهر مرتين؛ من مؤلفاته أيضاً: "حاشية على رسالة الصبان" في البيان، و"تقرير على حاشية السجاعي على شرح القطر لابن هشام" في النحو، وغيره.

من قبل **سعيد بن إبراهيم قدورة**،[1]؛ هذا بالإضافة إلى المستشرق الفرنسي **لوسياني**[2]؛ الذي أعد ـ أيضاً ـ تحقيقاً وشرحاً **"للسلم المرونق"**.

وهكذا؛ ففي الوقت الذي يقف علماء آخرون ضد تدريس المنطق والكتابة فيه ـ لاعتقادهم أنه من العلوم العقلية؛ التي تتعارض مع المعتقد الديني ـ نرى **الأخضري** يقف في صف العلماء المتنورين؛ الذين يؤيدون تدريس المنطق؛ لما فيه من فوائد. وقد أشار **الأخضري** بنفسه لهذا الأمر حين قال:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ أَخْرَجَا
نَتَائِجَ الفِكْرِ لأَرْبَابِ الحِجَا
وَحَطَّ عَنْهُمْ مِنْ سَمَاءِ العَقْلِ
كُلَّ حِجَابٍ مِنْ سَحَابِ الجَهْلِ
حَتَّى بَدَتْ لَهُمْ شُمُوسُ المَعْرِفَهْ
رَأَوْا مُخَدَّرَاتِهَا مُنْكَشِفَهْ

إلى أن يقول:

(وَبَعْدُ): فَالْمَنْطِقُ لِلْجَنَانِ
نِسْبَتُهُ كَالنَّحْوِ لِلِّسَانِ

---

[1] هو فقيه مالكي ومفتي الجزائر؛ ولد بالجزائر وتوفي بها سنة 1066 هـ/1656م. من مؤلفاته أيضاً: "شرح الصغرى للسنوسي"، و"شرح على جوهرة التوحيد للقاني".

[2] Luciani,J,D. (1851 – 1932).؛ وهو من علماء القانون؛ ولكنه اهتم بتحقيق ونشر عدد من المخطوطات العربية؛ في الجزائر وباريس.

فَيَعْصِمُ الأفْكَارَ عَنْ غَيِّ الخَطَا

وَعَنْ دَقِيقِ الْفَهْمِ يَكْشِفُ الغِطَا

فَهَاكَ مِنْ أصُولِهِ قَوَاعِدَا

تَجْمَعُ مِنْ فُنُونِهِ فَوَائِدَا

سَمَّيْتُهُ: "بالسُّلَّمِ الْمُرَوْنَقِ"[1]

يُرْقَى بِهِ سَمَاءُ عِلْمِ "الْمَنْطِقِ"

وَاللَّهَ أرْجُو أنْ يَكُونَ خَالِصَا

لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ لَيْسَ قَالِصَا[2]

وَأنْ يَكُونَ نَافِعاً لِلْمُبْتَدِي

بِهِ إلَى الْمُطَوَّلاَتِ يَهْتَدِي

وَالخُلْفُ فِي جَوَازِ الاشْتِغَالِ

بِهِ عَلَى ثَلاَثَةٍ أقْوَالِ

فَابْنُ الصَّلاَحِ وَالنَّوَاوِي حَرَّمَا

وَقَالَ قَوْمٌ يَنْبَغِي أنْ يُعْلَمَا

وَالقَوْلَةُ المَشْهُورَةُ الصَّحِيحَهْ

جَوَازُهُ لِكَامِلِ القَرِيحَهْ

مُمَارِس السُّنَّةِ وَالكِتَابِ

لِيَهْتَدِي بِهِ إلَى الصَّوَابِ

---

[1] كتب في النسخة التي بين يدي: "السلم المنورق" ويبدو أن ذلك حدث بسبب التصحيف.

[2] أي ليس منقبضاً ولا منكمشاً

فصل: في أنواع العلم الحادث

إِدْرَاكُ مُفْرَدٍ تَصَوُّراً عُلِمْ
وَدَرْكُ نِسْبَةٍ بِتَصْدِيقٍ وُسِمْ
وَقَدِّمِ الأَوَّلَ عِنْدَ الوَضْعِ
لأَنَّهُ مُقَدَّمٌ بِالطَّبْعِ
وَالنَّظَرِي مَا احْتَاجَ لِلتَّأَمُّلِ
وَعَكْسُهُ هُوَ الضَّرُورِيُّ الْجَلِي
وَمَا بِهِ إِلَى تَصَوُّرٍ وُصِلْ
يُدْعَى بِقَوْلٍ شَارِحٍ فَلْتَبْتَهِلْ
وَمَا لِتَصْدِيقٍ بِهِ تُوُصِّلاَ
بِحُجَّةٍ يُعْرَفُ عِنْدَ العُقَلاَ

فصل: في أنواع الدلالة الوضعية

دِلاَلَةُ اللَّفْظِ عَلَى مَا وَافَقَهْ
يَدْعُونَهَا دِلاَلَةَ الْمُطَابَقَهْ
وَجُزْئِهِ تَضَمُّناً وَمَا لَزِمْ
فَهْوَ الْتِزَامٌ إِنْ بِعَقْلٍ الْتُزِمْ

فصــــل: في مباحــث الألفــاظ

مُسْتَعْمَــلُ الألْفَاظِ حَيثُ يُوجَــدُ
إمَّــا مُرَكَّـــبٌ وَإمَّــا مُفْــرَدُ
فَــأوَّلٌ مَــا دَلَّ جُــزْؤُهُ عَــلَى
جُــزْءِ مَعْنَــاهُ بِعَكْــسِ مَا تَــلاَ
وَهْوَ عَلَى قِسْمَيْــنِ أعْنِي المُفْــرَدَا
كُــلِّيٌّ أوْ جُــزْئِيٌّ حَيْثُ وُجِــدَا
فَمُفْهِـــمُ اشْتِــرَاكِ الكُــلِيُّ
كَأسَـــدٍ وعَكْسُــهُ الجُـــزْئِيُّ
وَأوَّلاً لِلــذَّاتِ إنْ فِيهَــا انْــدَرَجْ
فَانْسُبْــهُ أوْ لِعَــارِضٍ إذَا خَــرَجْ
وَالكُلِّيَاتُ خَمْسَــةٌ دُونَ انْتِقَــاصْ
جِنْسٌ وَفَصْلٌ عَرَضٌ نَوْعٌ وَخَــاصْ
وَأوَّلٌ ثَلاثَـــةٌ بِــلاَ شَطَــطْ
جِنْــسٌ قَرِيبٌ أوْ بَعِيدٌ أوْ وَسَــطْ

فصــل في نسبــة الألفــاظ للمعــاني

وَنِسْبَـــةُ الألْفَـــاظِ لِلْمَعَــانِي
خَمْسَــةُ أقْسَــامٍ بِــلاَ نُقْصَــانِ

تَوَاطُؤٌ تَشَاكُكٌ تَخَالُفُ
وَالاِشْتِرَاكُ عَكْسُهُ التَّرَادُفُ
وَاللَّفْظُ إِمَّا طَلَبٌ أَوْ خَبَرُ
وَأَوَّلٌ ثَلاَثَةٌ سَتُذْكَرُ
أَمْرٌ مَعَ اسْتِعْلاَ وَعَكْسُهُ دُعَا
وَفِي التَّسَاوِي فَالْتِمَاسٌ وَقَعَا

فصل: في بيان الكل والكلية والجزء والجزئية

الكُلُّ حُكْمُنَا عَلَى المَجْمُوعِ
كَكُلُّ ذَاكَ لَيْسَ ذَا وُقُوعِ
وَحَيْثُمَا لِكُلِّ فَرْدٍ حُكِمَا
فَإِنَّهُ كُلِّيَّةٌ قَدْ عُلِمَا
وَالحُكْمُ لِلْبَعْضِ هُوَ الْجُزْئِيَّهْ
وَالْجُزْءُ مَعْرِفَتُهُ جَلِيَّهْ

فصل: في المعرفات

مُعَرَّفٌ عَلَى ثَلاَثَةٍ قُسِمْ
حَدٌّ وَرَسْمِيٌّ وَلَفْظِيٌّ عُلِمْ

فَالْحَــدُّ بِالْجِنْــسِ وَفَصْلٍ وَقَعَــا

والرسـم بالجنــس وخاصة معــا

وَنَاقِــصُ الحَــدِّ بِفَصْلٍ أَوْ مَعَــا

جِنْـسٍ بَعِيــدٍ لاَ قَرِيــبٍ وَقَعَــا

وَنَاقِــصُ الرَّسْمِ بِخَاصَّــةٍ فَقَــطْ

أَوْ مَعَ جِنْــسٍ أَبْعَــدٍ قَدِ ارْتَبَــطْ

وَمَــا بِلَفْــظِيٍّ لَدَيْهِــمْ شُهِــرَا

تَبْدِيــلُ لَفْــظٍ بِرَدِيــفٍ أَشْهَــرَا

وَشَــرْطُ كُلٍّ أَنْ يُــرَى مُطَّــرِدَا

مُنْعَكِســاً وَظَاهِــراً لاَ أَبْعَــدَا

وَلاَ مُسَاوِيــاً وَلاَ تَجَــوُّزَا

بِــلاَ قَرِينَــةٍ بِهَــا تُحِــرِّزَا

وَلاَ بِمَــا يُــدْرَى بِمَحْــدُودٍ وَلاَ

مُشْتَــرِكٍ مِــنَ القَرِينَــةِ خَــلاَ

وَعِنْدَهُــمْ مِــنْ جُمْلَــةِ المَــرْدُودِ

أَنْ تَدْخُــلَ الأَحْكَامُ فِي الحُــدُودِ

وَلاَ يَجُوزُ فِي الحُــدُودِ ذِكْــرُ أَوْ

وَجَائِــزٌ فِي الرَّسْمِ فَــادْرِ مَا رَوَوْا

بـــاب القضايـــا وأحكامهـــا

مَا احْتَمَلَ الصِّدْقَ لِذَاتِـــهِ جَـــرَى

بَيْنَهُـــمُ قَضِيَّـــةٌ وَخَبَـــرَا

ثُـــمَّ القَضَايَـــا عِنْدَهُـــمْ قِسْمَـــانِ

شَرْطِيَّـــةٌ حَمْلِيَّـــةٌ وَالثَّـــانِي

كُلِّيَـــةٌ شَخْصِيَّـــةٌ وَالأوَّلُ

إمَّـــا مُسَـــوَّرٌ وَإِمَّـــا مُهْمَـــلُ

وَالسُّـــورُ كُلِّيًّـــا وَجُزْئِيًّـــا يُـــرَى

وَأَرْبَـــعٌ أقْسَامُـــهُ حَيْثُ جَـــرَى

إمَّـــا بِكُـــلٍّ أوْ بِبَعْـــضٍ أوْ بِـــلاَ

شَيْءٍ وَلَيْسَ بَعْضُ أوْ شِبْهٍ جَـــلاَ

وَكُلُّهَـــا مُوجَبَـــةٌ وَسَالِبَـــهْ

فَهْيَ إِذَنْ إِلَى الثَّمَـــانِ آيِبَـــهْ

وَالأوَّلُ المَوْضُـــوعُ فِي الحَمْلِيَّـــهْ

وَالآخِـــرُ المَحْمُـــولُ بِالسَّوِيَّـــهْ

وَإِنْ عَلَى التَّعْلِيـــقِ فِيهَا قَدْ حُكِـــمْ

فَإِنَّهَـــا شَرْطِيَّـــةٌ وَتَنْقَسِـــمْ

أيْضـــاً إِلَى شَرْطِيَّـــةٍ مُتَّصِلَـــهْ

وَمِثْلُهَـــا شَرْطِيَّـــةٌ مُنْفَصِلَـــهْ

جُزْآهُمَـــا مُقَــدَّمٌ وَتَـــالِي

أَمَّــا بَيَـــانُ ذَاتِ الاِتِّصَـــالِ

مَــا أَوْجَبَــتْ تَــلاَزُمَ الجُزْأَيْــنِ

وَذَاتُ الاِنْفِصَــالِ دُونَ مَيْــــنِ

مَــا أَوْجَبَــتْ تَنَافُــراً بَيْنَهُمَــا

أَقْسَامُهَــــا ثَلاَثَـــــةٌ فَالْتُعْلَمَــا

مَانِــعُ جَمْــعٍ أَوْ خُلُــوٍّ أَوْ هُمَــا

وَهْوَ الحَقِيــقِيُّ الأَخَصُّ فَاعْلَمَــا

فصــل: في التناقــض

تَنَاقُــضٌ خُلْــفُ القَضِيَّتَيْــنِ فِي

كَيْــفٍ وَصِدْقُ وَاحِدٍ أَمْرٌ قُــفِي

فَــإِنْ تَكُنْ شَخْصِيَّــةً أَوْ مُهْمَلَــهْ

فَنَقْضُهَــا بِالْكَيْـــفِ أَنْ تُبَدِّلَــهْ

وَإِنْ تَكُــنْ مَحْصُــورَةً بِالسُّــورِ

فَانْقُضْ بِضِــدِّ سُورِهَا المَذْكُــورِ

وَإِنْ تَكُــنْ مُوجَبَـــةً كُلِّيَّــــهْ

نَقِيضُهَـــا سَالِبَـــةٌ جُزْئِيَّــــهْ

وَإِنْ تَكُـــنْ سَالِبَـــةً كُلِّيَّــهْ

نَقِيضُهَـــا مُوجَبَـــةٌ جُزْئِيَّــــهْ

فصـــل: في العكـــس المستـــوي

العَكْـــسُ قَلْبُ جُـــزْأيِ القَضِيَّـــهْ

مَـــعَ بَقَـــاءِ الصِّـــدْقِ وَالْكَيْفِيَّـــهْ

وَالْكَـــمِّ إلاَّ المُوجَـــبَ الكُلِّيَّـــهْ

فَعَوْضُهَـــا المُوجَبَـــةُ الجُزْئِيَّـــهْ

وَالعَكْـــسُ لاَزِمٌ لِغَيْـــرِ مَا وُجِـــدْ

بِـــهِ اجْتِمَاعُ الخِسَّتَيْـــنِ فَاقْتَصِـــدْ

وَمِثْلُهَـــا المُهْمَلَـــةُ السَّلْبِيَّـــهْ

لأَنَّهَـــا فِي قُـــوَّةِ الجُزْئِيَّـــهْ

وَالعَكْـــسُ فِي مُرَتَّـــبٍ بِالطَّبْـــعِ

وَلَيْـــسَ فِي مُرَتَّـــبٍ بِالوَضْـــعِ

بـــاب: في القيـــاس

إنَّ القِيَـــاسَ مِنْ قَضَايَـــا صُـــوِّرَا

مُسْتَلْزِمـــاً بِالـــذَّاتِ قَوْلاً آخَـــرَا

ثُـــمَّ القِيَـــاسُ عِنْدَهُـــمْ قِسْمَـــانِ

فَمِنْـــهُ مَـــا يُـــدْعَى بِالاِقْتِـــرَانِي

وَهْوَ الَّـــذِي دَلَّ عَـــلَى النَّتِيجَـــةِ

بِقُــــوَّةٍ وَاخْتَــصَّ بِالْحَمْلِيَّـــةِ

فَـــإِنْ تُـــرِدْ تَرْكِيبَـــهُ فَرَكِّبَـــا

مُقَدِّمَاتِــــهِ عَـــلَى مَا وَجَبَــــا

وَرَتِّـــبِ المُقَدِّمَــــاتِ وَانْظُـــرَا

صَحِيحَهَـــا مِنْ فَاسِـــدٍ مُخْتَبِـــرَا

فَـــإِنَّ لاَزِمَ المُقَدِّمَــــاتِ

بِحَسَـــــبِ المُقدِّمَـــاتِ آتِ

وَمَـــا مِـــنَ المُقَدِّمَـــاتِ صُغْـــرَى

فَيَجِـــبُ انْدِرَاجُهَـــا فِي الكُبْـــرَى

وَذَاتُ حَـــدٍّ أَصْغَـــرٍ صُغْرَاهُمَـــا

وَذَاتُ حَـــدٍّ أَكْبَـــرٍ كُبْرَاهُمَـــــا

وَأَصْغَـــرٌ فَـــذَاكَ ذُو انْـــــدِرَاجِ

وَوَسَـــطٌ يُلْـــغَى لَـــدَى الإِنْتَـــاجِ

فصـــل: في الأشكـــال

الشَّكْـــلُ عِنْـــدَ هَـــؤُلاَءِ النَّـــاسِ

يُطْلَـــقُ عَـــنْ قَضِيَّـــتَيْ قِيَـــاسِ

مِـــنْ غَيْـــرِ أَنْ تُعْتَبَـــرَ الأَسْـــوَارُ

إِذْ ذَاكَ بِالضَّـــرْبِ لَـــهُ يُشَـــارُ

وَلِلْمُقَدِّمَــــاتِ أشْكَـــالٌ فَقَــطْ
أرْبَعَــةٌ بِحَسَبِ الحَــدِّ الوَسَــطْ
حَمْــلٌ بِصُغْرَى وَضْعُهُ بِكُبْــرَى
يُــدْعَى بِشَكْــلٍ أوَّلٍ وَيُــــدْرَى
وَحَمْلُــهُ فِي الكُلِّ ثَانِيــاً عُــرِفْ
وَوَضْعُــهُ فِي الكُلِّ ثَالِثــاً أُلِــفْ
وَرَابِــعُ الأشْكَالِ عَكْــسُ الأوَّلِ
وَهْيَ عَلَى التَّرْتِيــبِ فِي التَّكَمُّــلِ
فَحَيْــثُ عَنْ هَذَا النِّظَــامِ يُعْــدَلُ
فَفَاسِــــدُ النِّظَـــامِ أمَّــا الأوَّلُ
فَشَرْطُــهُ الإيجَــابُ فِي صُغْــرَاهُ
وَأنْ تُــــرَى كُلِّيَّــةً كُبْــــرَاهُ
وَالثَّانِي أنْ يَخْتَلِفَا فِي الكَيْفِ مَــعْ
كُلِّيَــةِ الكُبْرَى لَهُ شَــرْطٌ وَقَــعْ
وَالثَّالِثُ الإيجَــابُ فِي صُغْرَاهُمَــا
وَأنْ تُــرَى كُلِّيَّــةً إحْدَاهُمَــــا
وَرَابِــعٌ عَــدَمُ جَمْــعِ الخِسَّتَيْــنِ
إلاَّ بِصُــورَةٍ فَفِيهَــا تَسْتَبِيــــنْ
صُغْرَاهُمَــا مُوجَبَـــةٌ جُزْئِيَّــــهْ
كُبْرَاهُمَــــا سَالِبَــةٌ كُلِّيَّــــهْ
فَمُنْتِــــجٌ لأوَّلٍ أرْبَعَــــةُ
كَالثَّــانِ ثُــمَّ ثَالِــثٌ فَسِتَّــــةُ

وَرَابِـعٌ بِخَمْسَـةٍ قَـدْ أُنْتِجَـا

وَغَيْـرُ مَا ذَكَرْتُـهُ لَـنْ يُنْتِجَـا

وَتَتْبَـعُ النَّتِيجَـةُ الأَخَـسَّ مِـنْ

تِلْـكَ المُقَدِّمَـاتِ هَكَذَا زُكِـنْ

وَهَـذِهِ الأَشْكَـالُ بِالْحَمْـلِيِّ

مُخْتَصَّـةٌ وَلَيْـسَ بِالشَّـرْطِيِّ

وَالْحَـذْفُ فِي بَعْضِ الْمُقَدِّمَـاتِ

أَوِ النَّتِيجَـةِ لِعِلْـمٍ آتِ

وَتَنْتَـهِي إِلَى ضَـرُورَةٍ لِمَـا

مِـنْ دَوْرٍ أَوْ تَسَلْسُـلٍ قَدْ لَزِمَـا

في القيـاس الاستثنـائي

وَمِنْـهُ مَـا يُـدْعَى بِالِاسْتِثْنَـائِي

يُعْرَفُ بِالشَّـرْطِي بِـلاَ امْتِـرَاءِ

وَهْـوَ الَّـذِي دَلَّ عَلَى النَّتِيجَـةِ

أَوْ ضِدِّهَـا بِالفِعْـلِ لاَ بِالقُـوَّةِ

فَـإِنْ يَـكُ الشَّرْطِيُّ ذَا اتِّصَـالِ

أَنْتَـجَ وَضْعُ ذَاكَ وَضْـعَ التَّـالِي

وَرَفْـعُ تَـالٍ رَفْـعَ أَوَّلٍ وَلاَ

يَلْـزَمُ فِي عَكْسِهِمَا لِمَا انْجَـلَى

وَإِنْ يَكُـــنْ مُنْفَصِـــلاً فَوَضْـــعُ ذَا

يُنْتِـــجُ رَفْـــعَ ذَاكَ وَالعَكْسُ كَـــذَا

وَذَاكَ فِي الأَخَـــصِّ ثُمَّ إِنْ يَكُـــنْ

مَانِـــعَ جَمْـــعٍ فَبِوَضْعٍ ذَا رُكِـــنْ

رَفْـــعٌ لِـــذَاكَ دُونَ عَكْـــسٍ وَإِذَا

مَانِـــعَ رَفْعٍ كَانَ فَهْوَ عَكْـــسُ ذَا

فصـــل: في لواحـــق القيـــاس

وَمِنْـــهُ مَـــا يَدْعُونَـــهُ مُرَكَّبَـــا

لِكَوْنِـــهِ مِنْ حُجَـــجٍ قَـــدْ رُكِّبَـــا

فَرَكِّبَنْـــهُ إِنْ تُـــرِدْ أَنْ تَعْلَمَـــــهْ

وَاقْلِـــبْ نَتِيجَـــةً بِـــهِ مُقَدَّمَـــــهْ

يَلْـــزَمُ مِـــنْ تَرْكِيبِهَـــا بِأُخْـــرَى

نَتِيجَـــــةٌ إِلَى هَلُـــــمَّ جَـــــرَّا

مُتَّصِـــلُ النَّتَائِـــجِ الَّـــذِي حَـــوَى

يَكُـــونُ أَوْ مَفْصُولُهَـــا كُلٌّ سَـــوَا

وَإِنْ بِجُـــزْئِيٍّ عَلَى كُلِّيٍّ اسْتُـــدِلّْ

فَذَا بِالاِسْتِقْـــرَاءِ عِنْدَهُـــمْ عُقِـــلْ

وَعَكْسُـــهُ يُدْعَى القِيَاسَ المَنْطِـــقِي

وَهْـــوَ الَّـــذِي قَدَّمْتُـــهُ فَحَقِّـــقِ

وَحَيْثُ جُــزْئِيٌّ عَلَى جُزْءٍ حُمِـــلْ

لِجَامِــعٍ فَــذَاكَ تَمْثِيــلٌ جُعِــلْ

وَلاَ يُفِيـــــدُ القَطْــعَ بِالدَّلِيـــــلِ

قِيَـــاسُ الاِسْتِقْــراءِ وَالتَّمْثِيـــــلِ

أقســام الحجــة

وَحُجَّـــــةٌ نَقْلِيَّـــــةٌ عَقْلِيَّـــــهْ

أَقْسَـــامُ هَــذِي خَمْسَــةٌ جَلِيَّــهْ

خَطَابَــةٌ شِعْرٌ وَبُرْهَـــانٌ جَــدَلْ

وَخَامِسٌ سَفْسَطَةٌ نِلْــتَ الأَمَــلْ

أَجَلُّهَـــا البُرْهَـــانُ مَا أُلِّــفَ مِنْ

مُقَدِّمَـــاتٍ بِالْيَقِيـــــنِ تَقْتَـــرِنْ

مِـــنْ أَوَّلِيَّـــــاتٍ مُشَاهَـــــدَاتِ

مُجَرَّبَـــــاتٍ مُتَوَاتِـــــرَاتِ

وَحَدَسِيَـــــاتٍ وَمَحْسُوسَـــــاتِ

فَتِلْـــكَ جُمْلَـــةُ اليَقِينِيَّـــــاتِ

وَفِي دِلاَلَـــــةِ المُقَدِّمَـــــاتِ

عَـــلَى النَّتِيجَـــــةِ خِـــلاَفٌ آتِ

عَقْـــلِيٌّ أَوْ عَـــادِيٌّ أَوْ تَوَلُّــــدُ

أَوْ وَاجِـــــبٌ وَالأَوَّلُ المُؤَيَّـــــدُ

خاتمـــــــــة

وَخطَـــأُ البُرْهَـــانِ حَيْثُ وُجِـــدَا
فِي مَـــادَةٍ أوْ صُـــورَةٍ فَالْمُبْتَـــدَا
فِي اللَّفْظِ كَاشْتِرَاكٍ أوْ كَجَعْـــلِ ذَا
تَبَايُـــنٍ مِثْـــلَ الرَّدِيـــفِ مَأخَـــذَا
وَفِي المَعَـــانِي لاِلْتِبَـــاسِ الكَاذِبَـــهْ
بِـــذَاتِ صِـــدْقٍ فَافْهَـــمِ المُخَاطَبَـــهْ
كَمِثْـــلِ جَعْلِ العَـــرَضِي كَالذَّاتِي
أوْ نَاتِـــجٍ إحْـــدَى المُقَدِّمَـــاتِ
وَالحُكْـــمِ لِلْجِنْسِ بِحُكْمِ النَّـــوْعِ
وَجَعْـــلُ القَطْعِيِّ غَيْـــرَ القَطْـــعِي
وَالثَّـــانِي كَالْخُرُوجِ عَنْ أشْكَالِـــهِ
وَتَرْكُ شَرْطِ النَّتْـــجِ مِنْ إكْمَالِـــهِ
هَـــذَا تَمَـــامُ الغَـــرَضِ المَقْصُـــودِ
مِنْ أُمَّهَـــاتِ المَنْطِـــقِ المَحْمُـــودِ
قَـــدِ انْتَـــهَى بِحَمْـــدِ رَبِّ الفَلَـــقِ
مَا رُمْتُـــهُ مِنْ فَنِّ عِلْـــمِ المَنْطِـــقِ
نَظَمَـــهُ العَبْـــدُ الذَّلِيـــلُ المُفْتَقِـــرْ
لِرَحْمَـــةِ المَوْلَى العَظِيـــمِ المُقْتَـــدِرْ

الأَخْضَــرِيُّ (عَابِــدُ الرَّحْمَـــــنِ)

المُرْتَــجِي مِــنْ رَبِّــه المَنَّـــــانِ

مَغْفِـــــرَةً تُحِيــطُ بِالذُّنُـــــوبِ

وَتَكْشِــفُ الغِطَـــا عَنِ القُلُــوبِ

وَأنْ يُثِيبَنَـــــا بِجَنَّـــــةِ العُــــلاَ

فَإنَّــــهُ أكْــرَمُ مَـــنْ تَفَضَّـــــلاَ

وَكُنْ أخِي لِلْمُبْتَــدِي مُسَامِحــاً

وَكُنْ لإصْــلاَحِ الفَسَادِ نَاصِحــاً

وَأصْلِــــحِ الفَسَــادَ بِالتَّأمُّـــــلِ

وَإنْ بَدِيهَـــــةً فَــــلاَ تُبَــــدِّلِ

إذْ قِيلَ كَــمْ مُزَيِّــفٍ صَحِيحــاً

لأجْلِ كَــوْنِ فَهْمِــهِ قَبِيحـــــاً

وَقُلْ لِمَنْ لَمْ يَنْتَصِــفْ لِمَقْصَــدِي

العُــذْرُ حَقٌّ وَاجِــبٌ لِلْمُبْتَــدِي

وَلِبُــنَيٍّ احْدَى وَعِشْرِيــنَ سَنَــهْ

مَعْــذِرَةٌ مَقْبُولَــةٌ مُسْتَحْسَنَـــــهْ

لاَ سِيَّمَـــا فِي عَاشِــرِ القُــرُونِ

ذِي الجَهْــلِ وَالفَسَــادِ وَالفُتُــونِ

وَكَـــانَ فِي أوَائِـــلِ المُحَـــرَّمِ

تَألِيــفُ هَذَا الرَّجَـــزِ المُنَظَّـــمِ

مِـــنْ سَنَـــةِ إحْــدَى وَأرْبَعِيــنَ

مِـــنْ بَعْــدِ تِسْعَــةٍ مِــنَ المِئِيــنَ

ثُـمَّ الصَّـلاَةُ وَالسَّـلاَمُ سَرْمَـدَا
عَلَى رَسُولِ اللَّـهِ خَيْرِ مَنْ هَـدَى
وَآلِـهِ وَصَحْبِـهِ الثِّقَـاتِ
السَّالِكِيـنَ سُبُـلَ النَّجَـاةِ
مَا قَطَعَـتْ شَمْسُ النَّهَارِ أَبْرُجَـا
وَطَلَعَ البَـدْرُ الْمُنِيـرُ فِي الـدُّجَى

*****

تاسعاً: ـ منظومة السراج في علم الفلك:

وهذه المنظومة المسماة بـ **"السراج"** في الفلك. وجدت من شرحها؛ لأهميتها وفائدها؛ إذ تولى شرحها تلميذ **الأخضري**؛ وهو **عبد العزيز بن أحمد ابن مسلم الفارسي**، ثم تلاه الشيخ **سحنون بن عثمان الميدوي الونشريسي**؛ الذي شرح أيضاً منظومة **"السراج"** تحت عنوان **"مفيد المحتاج في شرح السراج"** وقد طبع في **مصر** سنة 1324 هـ/1906م. وفي الجزائر بواسطة المطبعة الثعالبية. كما طبع المتن وشرحه في الجزائر أيضاً. وبعدها تعددت الشروح على السراج مروراً بشرح **سحنون الونشريسي**. ومن بين تلك الشروح **"جوهر المحتاج في شرح السراج"**.

ويفتتح **الأخضري** منظومته هذه هكذا:

الحمد لله العلي الحق	المالك الوهاب رب الخلق
نحمده جل على الأنعام	بنعمة الإيمان والإسلام
ثم الصلاة على محمد	خير الورى المشرف الممجد
وآله وصحبه وعترته	وكل من وقره من أمته
وبعد فاعلم أن علم الفلك	علم عزيز من أجل مسلك
أعني الذي تدري به الأوقات	والفجر والقبلة والساعات
وما به تطرق للغيب	فذلك الحرام دون ريب
واعلم بأن العلم بالنجوم	علم شريف ليس بالمذموم
لأنه يفيد في الأوقات	كالفجر والأسحار والساعات
وهكذا يليق بالعباد	حين قيامهم إلى الأوراد
فليس يدري جاهل ما قد قضى	في الليل جملة فربما انقضى
فهاك منه ضابطا يا من سلك	سميته السراج في علم الفلك
وقد بدأت يا أخي هذا الكتاب	بنبذ لطيفة من الحساب
وإنما بالله أستعين	بأنه المهيمن المعين

فصل

واعلم أن الجهل بالأوقات	جهل بأمر الصوم والصلاة
فالعلم بالأوقات فرض يقبل	لأَنَّهُ بِهِ يَتِمُّ الْعَمَلُ

فأول الظهر الـــزوال قـــد عـــرف	وقامـــة للعصر بعـــد ما ألـــف
والمغرب الغروب وقـــت متحـــد	وللعشـــاء شفـــق إذا فقـــد
والفجر بالفجرالأخيـــر الصـــادق	المستطيل الضـــوء في المشـــارق
والأول الكـــاذب بالعيـــان	مرتفـــع كذنـــب السرحـــان
ومستطيـــل الضـــوء كالغمامـــة	تعرفـــه بهـــذه العلامـــة
يغتـــر كـــل جاهـــل وغافـــل	بـــه ويدريه اللبيـــب العاقـــل

فصـــل في معرفـــة ساعـــات النهـــار بالأقـــدام

وتعـــرف الساعـــات بالأقـــدام	في جملـــة الشهـــور والأيـــام
فالساعـــة الأولى (بكد) تعـــرف	وبعدها التي (بيب) توصـــف
لثالث الساعات ســـت يا فـــتى	رابعهـــا ثلاثـــة كـــذا أتى
وقدمـــان يا فـــتى للخامســـة	وقـــدم منفـــرد للسادســـة
وسابع الساعات مثل السادســـة	وثامن الساعات مثل الخامسة
وهكذا اعكـــس ما بقى واعتبر	واجمع إلى الزوال كل ما ذكـــر
واعرف حروفه وهي اثنـــا عشر	يحـــود جب بجد وحي تعتبـــر
لكل شهر واحـــد منهـــا علـــم	واقسم على أيامه نقطا فهـــم
وهكـــذا في النقـــص والزيـــادة	وذاك ما قد اقتضتـــه العـــادة
والاعتـــدال يـــوم يويـــا فـــتى	من مارس واشتنبـــر قد ثبتـــا
كذا رجوع الشمس من دجنبرا	وشهـــر ينيـــه فكن معتبـــرا

فصـــل

للعصـــر سبعـــة مـــن الأقـــدام ... مع الـــزوال جملـــة الأيـــام

وما بقى من النهـــار قد عـــرف ... ثلاث ساعات خلا سدساً ألف

وزد على ظـــل الـــزوال قدمـــاً ... للظهر مع نصف وربع فاعلما

فصـــل في نُبَـــذٍ مِـــنَ الحســـاب

ويدخـــل الربيـــع من فبرايـــرا ... ليلـــة يـــه فالتكـــن مثايـــرا

ليـــز ميـــب يدخـــل المصيـــف ... ومثلـــه مـــن غشتج الخريـــف

ويدخـــل الشتـــاء في نونبـــرا ... ليلـــة يـــو فاستمـــع ودبـــرا

فصـــل

ويعـــرف المجهـــول في الأيـــام ... بقـــدر حرف الشهـــر والأيام

خذ ما مضى من شهرك العجـــمي وزد ... عليه نقط حرفه الـــذي عهـــد

واطرحه طرح سبعـــة فما بـــقي ... سبعاً أو أدنى فاستمع وحقـــق

فابـــدأ به من يـــوم ذاك العـــام ... فمـــا انتـــهى فيه من الأيـــام

فذاك عيـــن يومـــك المجهـــول ... وكالشهور جملـــة الفصـــول

فصل في معرفة السنة الكبيسة

ودخل النيروز بالثلاثة ... في سنة الكبس فخذ مقالة

عام ثمان وثلاثين سنة ... من بعد تسعمائة مبينة

فاحسب وكبس خامس الأعوام ... من سنة الكبس على الدوام

حتى إذا بلغت عام ند ... وعام فز فازدلف وعد

عاما وصير سادس الأعوام ... مثل الكبيس فاستمع كلام

وفيه وجه آخر فاعلم ذكر ... فخذ سنين هجرة بالمنكسر

واطرح من المجموع قل خمسين ... وأربعاً فاعلم من المئين

واضرب في ياء ما بقي فما اجتمع ... فاطرح ثلاثين ثلاثين تطع

وما بقي أقل من طرح فإن ... تجاوز العشر فكبس قد زكن

اسقط لذي القرنين نقط شين ... ونقط عا مع نقط سين

وما بقي فاطرحه طرح أربع ... فإن بقى طرح فكبس فلتع

وعدة الحسوم سبع تدخل ... ليلة **ياء** من ربيع تقبل

وتدخل الليالي منه دجنبرا ... ليلة **يب** منه كن معتبرا

وهكذا السمائم المشهورة ... من شهر **يليز** كذا مذكورة

ويدخل النيسان من أبريلا ... ليلة **كز** فاعرف الدليلا

وهي سبعة من الليالي ... وغيثها مبارك ذو بال

وعاشوراء عاشر المحرم ... وقيل يوم تاسع فالتعلم

وكان مولد الرسول الصادق ... ليلة **يب** من ربيع السابق

ومولد المسيح من دجنبرا ... ليلة **كد** منه قدما شهرا

واعلـم بـأن السبعـة الأيـام المبتـغى صيامهـا في العـام
ليلـة **يـه** كان من شعبانـا ويوم **كـز** من رجب قد كانا
لأن فيـه بعـث الرسـول صـلى عليـه ربنـا الجليـل
وثالث الأيام **يـه** ذي القعـدة كـذاك يوم تاسـع للحجـة
ومثـل ذاك ثالـث المحـرم وعاشـر له فحصـل واعلـم

فصـل في معرفـة سنيـن ذي القرنيـن

وإن ترد سنيـن ذي القرنيـن خـذ ما لهجرة من السنيـن
وعامـك الموجود إن به دخـل اكتبرج فاحسبه وإلا فاختـزل
ثـم تـرد أعجميـة أجـل فواحد من كل **لـج** يختـزل
وما يرى أدنى فلا إسقـاط فيـه وما بقي من بعد ذا فزد عليـه
من النين قـدر **غيـن** مع **لـج** ثم لذي القرنين كلما خـرج

فصـل في معرفـة أول يـوم مـن الشهـر العـربي

وإن تـرد أول يـوم الشهـر العـربي فاستمـع لشعـري
خذ نقط حرف شهرك الـذي فقـد وابدأ بيوم عامك الذي عهـد
فحيث ما قد انتهى لك العـدد فذاك يوم الشهر فاستمع تفـد
حروفـه **أجـد وزبجهو أبـد** لكل شهر واحد نلت العـدد
وعـدة الشهـور الأعجميـة خذهـا إليـك جملـة جليـة

يناير مارس مايه يليه قل غشت اكتبر دجنبر نقل
لاء لها فبراير **كح** شهر واجعل ثلاثين لغير ما ذكر
فصل وإن ترد يا صاح تعقل بأي يوم كل شهر يدخل
خذ نقط حرف شهرك المقصود وابدأ بيوم عامك المعهود
فحيث ما انتهى لك التعداد فذاك يوم شهرك المراد
حروفه **أددز به زجود حو** لكل شهر واحد كذا رووا
وللفصول **خشه** مع **رصد** **الهاء والدال** معاً للعدد
الخاء للخريف **والشين** للشتا **والراء** للربيع **والصاد** أتى
للصيف ثم افعل كما تقررا وحصل العلم تكن معتبرا

فصل في معرفة أس السنة العجمية

وإن ترد تعرف أس عامك فانظر إلى دجنبر في ذلك
وإن يكن آخره يوم الأحد فالأس واحد وقس ما لم تزد
وإن يكن في العام كبس فالتزد في الأس واحداً وحصّل واجتهد
وشسه وربع يوم للسنة العجمية فخذها متقنة
وسند وخمس يوم سدس للعربي وبذا يكبس

فصل في ترحيل الشمس على المنازل

وإن ترد ترحيل شمس فاعلما على المنازل فخذها محكما

خذ ما مضى من ذلك الفصل أجـل ورد له يوميـن ثم ما حصـل

فاجعلـه إطراحـا لكل منـزل **يـج** وكن مبتدئـا بـالأول

وما بـقي أقل من طرح فمـا قد قطعت من مترل قد علمـا

فـأول الربيـع **فـرغ** أول **وهقعـة** للصيـف لا تبـدل

وللخريـف **صرفـة** معلومـة وللشتـاء **شولـة** مفهومـة

وشفهـص يجمع كل ما ذكـر فسبعـة لكل فصـل فاعتبـر

وهي تقيـم عنـد كل مترلـة ثلاثـة وعشـرة مكملـة

الا بجبهـة فيـوم زائـد فيها لأجل الصيف فابغ الفائدة

فصـل في ترحيـل الشمـس عـلى البـروج

وإن ترد ترحيلها على البـروج وما الذي قد قطعت من الدروج

فخـذ من أبريـل إلى نهـارك وزد عليه تسعـة يا سالـك

واطرح ثلاثين ثلاثيـن الجميـع وابدأ بأول البـروج يا سميـع

فكل طـرح كامـل لواحـد ما لم يصل فدرج من واحـد

فصـل في ترحيـل القمـر عـلى المنـازل

إن ترد يا صاح ترحيـل القمـر على المنازل فلـذ بما اشتهـر

خذ ما مضى من شهرك العـربي تفـد وابدأ بمترلة شمـس في العـدد

واعـط ليلـة لكـل منـزل وهو يرى لكل منـزل جـل

أو بإزائه وربما انحرف   لأن لاتساع بينهما اختلف

فصل في ترحيل القمر على البروج

وإن ترد ترحيله على البروج   وما الذي قد قطعه من الدروج

خذ ما مضى من شهرك العربي وزد   عليه مثله وخمسة تجد

لكل برج خمسة من ذلك   وابدأ ببرج الشمس في حسابك

فإن بقي واحد فانتبه   فست أدراج مضت له به

وإن بقي اثنان فاثنا عشر   من الدروج ثم قس ما غبر

واعلم بأن البدر يستهل   بثالث للشمس يستحل

ومن هنا في الازدياد يشرع   في كل يوم نصف سبع يسطع

وهكذا في النقص ثم يرجع   يسير ليلتين ثم يطلع

ويرجع النقص **ليه** في القمر   وثامن العشرين ربما ظهر

والشهر كامل إذا ما ظهرا   لذا النهار وناقص إن لم يرا

فصل في معرفة ساعات الليل

وتعرف الساعات بالمنازل   في الليل مهما قمت فلتقابل

وانظر إلى توسط النجوم   وابدأ من الشمس إلى المعلوم

أعني التي في وسط السماء   واطرح من المجموع نقط **حاء**

واضرب في ست ما بقي فما خرج   فاطرحه طرح سبعة ولا حرج

لكل طـرح ساعـة وما يـرى   أقل من طرح فأسبـاع تـرى

وبيـن كـل منـزل ومنـزل   ستـة أسبـاع بأمر منجـل

وإن يكـن ما بينهـا توسـط   من القضا فبالتحري مقسـط

وإن يكـن في القبلـة الغمـام   فبالطلـوع كلهـا تـرام

فاحسب من الشمس إلى الـذي بـدا   واطرح من المجموع **يـه** أبدا

واعمل على المعلوم فيه ترتـقي   وإن يكن في قبـة ومشـرق

فاحسب من المنزلـة التي تـلي   شمساً لساقـط بلا طرح قـل

وقس على المعلـوم في هـذا النمـط   وإن بدا نجم من الشرق سقط

نظيـره في الغـرب فالتبـادر   وهـذه الأبيـات في النظائـر

للنطـح غفـر بطنـه الزبـاني   ثريـة الإكليـل قـد أبـاني

والدبـر إن قلّبـه نظيـر   وهقعـة لشولـة تشيـر

وهنعـة نعائـم لديهـا   وللـذراع بلـدة تلايهـا

ونثـرة تذبـح سعـد الأبلـع   وجبهـة من السعود الأرفـع

لزبـرة أخبيـة تظلهـا   وصرفـة فـرغ مقـدم لهـا

عواؤها فرغـا مؤخـراً تـلي   وبطن حوت للسماك الأعـزل

شاميها من نطحها إلى السمـاك   ويمـاني ما سـواه قد أتـاك

وهكـذا البـروج منه شـامي   ويمـني فاستمـع نظـامي

شاميهـا من حملهـا للسنبلـة   ويمـني ما عداهـا قد انجـلى

فحملهـا رقيبـه الميـزان   وثورهـا بعقـرب بيـان

جوزاؤهـا للقوس قد تشيـر   سرطانهـا لجديهـا نظيـر

وأسـد لدلوهـا قـد نفـرا   عذراؤها تطرد حوتا مدبـرا

فصـــل في معرفـــة القطـــب ومعرفـــة التوســـط والاستـــدلال بالقطـــب عـــلى القبلـــة

القطـــب كوكب خفي حولـــه نجم ســـني النور حكمه لـــه

وهو مقيـــم ما له من حركـــة لكنه استقـــر وسط السمكـــة

وهي التي بنات نعـــش حولهـــا والفرقدان كوكب رأس لهـــا

ذنبهـــا الجدي بذاك يوصـــف عنـــد المنجمين طـــراً يعـــرف

وانظر إلى الجنـــوب كل يمـــني والقطب بين منكبيك قد بـــني

وكل شام بين شرق وجنـــوب والقطب عن يسار منكب يؤب

فـــذاك خـــط قبلـــة لدينـــا سبحـــان مـــن بـــه علينـــا

فصـــل في معرفـــة الطالـــع

وطالـــع البـــروج بالنهـــــار يعرف باساعة يا ذا القـــاري

لكل بـــرج ساعتيـــن فاجعـــل وابدأ ببرج الشمس في التنقـــل

وحيث ما انتهيت في الحســـاب فـــذاك طالع بـــلا ارتيـــاب

وإن أردت طالـــع المنـــازل فاجعل لكل ساعة يا عاقـــل

منزلة وسدسهـــا وابـــدأ بمـــا ذكرتـــه وافعـــل بما تقدمـــا

فزحـــل في كل بـــرج يعـــرج بقـــدر لام أشهـــرا فيخـــرج

والمشتـــري عاما فخـــذ يقينـــا وأحمـــر خمســـا وأربعينـــا

والشمس شهرا كاملا والزهــرة   في كل بــرج قدر كوتثبــت

وكاتــب يقيم سبعــة عشــر   في كل برج دائماً كذا استقــر

والقمــر المنير يســري ليلتيــن   وثلثــا من ليلة بغيــر ميــن

واعلــم بأن جملــة الــدراري   مسيرهــا للشرق باشتهــرار

وجملة الأفــلاك بالعكس تسيــر   لمغــرب بقــدرة الله القديــر

فهــذه عدتهـــا كمــا تــرى   لكــل دري سمــاء شهــرا

أسبوعها في السيــر بدر يا فــتى   لأنـــه أقربهــا كمــا أتى

بقــدر ما يكون بعد الكوكــب   يكــون قدر مكثــه فرتــب

فصــل في ذكــر عــدد خــدام الشمــس وكيفيــة سيرهــا في الفلــك وفيــه فوائــد

أنشــأ ربي منــشئ الأفــلاك   للشمس ستين من الأمــلاك

مــع ثلاثمائــــة يجرونهــا   في رابــع الأفــلاك يخدمونهــا

ووكــــل الإلــــه رقيائــــل   بهــم كذا أتى عن الأوائــل

يجرونهــا في عجلــة من نــور   وهي بظهــر الفلك المذكــور

بظهــر بحــر زاخــر من مــاء   مرتفــع في وســط السمــاء

والبحــر من أسفله مكفــوف   يجري من أعلاه ولا يحيــف

كجريان السهم يجــري فاعتبــر   وذاك من أقــل صنع المقتــدر

فحلمهــم عند الغروف خلفهــا   والعكس في الطلوع فاعرف وصفها

وإن أراد اللــــه بالكســوف   أسقطها في بحرهــا المألــوف

بقـدر هذا الغـرق الذكـور   يكون في الشمس ذهاب النـور
وتظهـر الكواكـب الخفيـة   حـتى تصيـر كلهـا جليـة
وقيـل غيـر ذاك في أسبابـه   فانظـره في محلـه وبابـه

بـاب في القسمـة وفيـه خمسـة فصـول

ـ الأول: في قسمـة البـروج عـلى الـدراري.
ـ والثـاني: في قسمـة المنـازل عـلى الـدراري.
ـ والثالـث: في قسمـة المنـازل عـلى البـروج.
ـ والرابـع: في الأيـام عـلى الـدراري.
ـ والخامـس: في قسمـة الـدراري عـلى الساعـات.

الفصـل الأول في قسمـة البـروج عـلى الـدراري

وتقسم البروج الاثـنى عشـرا   على الدراري كلها كما تـرى
فأسـد للشمـس والسرطـان   للقمـر والثـور والميـزان
لزهـرة والحمـل ثم العقـرب   لأحمـر فهو المريـخ ينسـب
للمشتري الحوت مع القـوس أجـل   والجدي ثم الدلو فاعلم لزحـل
للكاتـب الجـوزاء والعـذراء   جـاءت بـذاك عنهم الأنبـاء

الفصل الثني في قسمة المنازل على الدراري

واقسم عليها أيضا المنازل وردها في جدول يا فاضل
وابدأ بشمس قمر فالأحمر فكاتب فالمشتري فالأزهر
فزحل وبعد ذاك تقسم فأربع لكل دري تسهم

الفصل الثالث في قسمة المنازل

وتقسم المنازل المذكورة على البروج قسمة مشهورة
لكل واحد بتقسيم جلي مترلتان ثم ثلث منزل
من أجل ذاك البدر كان قد مكث في كل برج ليلتين وثلث
واعلم بأن عدة الدروج لكل واحد من البروج
بقدر نقط اللام في الحساب ومثل ذاك عدة الأبواب

الفصل الرابع في قسمة الأيام على الدراري

فاعط دريا لكل يوم وقس على ترتيبه في النظم
شمس تقمرت بأحمر كتب بمشتر زهر مقاتل حسب
فأحد للشمس ثم رتب عليه ما بقي كذاك فاحسب

الفصـــل الخامـــس في قسمـــة الساعـــات عـــلى الـــدراري

وكــل دري مــن الــدراري   رب لساعــة مــن النهــار

والليل قــس عليه في ذا النظــم   وابــدأ بساعة لــرب اليــوم

زحــل مشتري مريــخ شمــس   زهرة كاتب القمر دون لبــس

فزحل رب الأولى يــوم السبت   وقــس على ترتيبه في البيــت

فصـــل في السعـــود والنحـــوس مـــن الـــدراري

والشمس والزهرة ثم المشتــري   سعد مريخ زحل نحيس حري

وكاتــــب وقمــر سعــدان   لكن مع النحس هما نحســان

وأعظــم النحــوس باتفـــاق   مقاتــل فاحــذر ولا تــلاق

وراقــب الإلــه في كل عمــل   تنــل من الإله أحسن الأمــل

وكل من قد حــرم المراقبــه   فماله في الخيــر من مطالبــه

ومن أطــاع الله رب العالميــن   أطاعــه كل قــوي ومتيــن

وجاء في الحديث عمن أسقــط   من خاف من شيء عليه سلط

ومن يخاف الله خوفــا مؤلمــا   خاف منه كل شيء فاعلمــا

واعمل بتقوى الله واعلــم أنهــا   قطب المعاملة فارقب حسنهــا

أمرتــك الخيــر ومــا ائمرتــه   ولســت عامــلا بما ذكرتــه

لكــــن ربي غافــر الــزلات   فمنه أرجو العفو عن فعــلاتي

فصـــل في الكواكـــب

وجملــة الكواكب المذكــورة   مضيئــة بالــذات مستنيــرة
إلا القمـــــر فإنــه مقتبــس   من نور شمــس نوره ملتمــس

بـــاب في شــرف الـــدراري وسقوطهـــا

وشرف الشمس ببيــت الحمــل   سقوطها الميــزان يا ذا العقــل
وزهـــرة لها بحـوت شــرف   سقوطها العذراء حقا يعــرف
وشرف الكاتــب في العــذراء   سقوطــه الحوت بلا امتــراء
والثــور فيــه شــرف للقمــر   لكن بعقــرب سقوطه حــري
مقاتـــل يشــرف بالميــزان   سقوطــه بالحمــل خذ بيــاني
والمشتــري شرفــه السرطــان   سقوطــه بالجــدي يا إنســان
وأحمــر شرفــه في الجـــدي   سقوطــه السرطــان يا ذكي
الشمس تشرف في عشــر من الحمــل   من بعد تسع حساب غير ذي خلل
والبدر بالثــور يرقى منتــهى شرفــا   وحل ثالثة الأجــزا بلا مهــل
وللمقاتــل بالميــزان مرتبـــة   تعلو لعزتها الأملاك في الـــدول
إحدى وعشــرين تمـضي منه في درج   مكانه الشرف المأثــور عن زحــل
فالنصــف من سرطــان المــاء منزلــة   للمشتري شــرف أربى على الأمــل
وإنـــي لا أرى المريــخ مرتفعــا   في الجدي ذا شرف عــال بلا مثــل
وفي ثمــان مــع العشريــن من درج   ترى له صولة بالبيض والأسل

لزهرة السعد بطن الحـوت إن نزلـت	تسير فيه بلبس الحلي والحلـل
سبعا وعشرين من أجزائـه كملـت	تحجبت فيه بالأستار والكلـل
والنصف من درج العذرا غـدا شرفـا	له عطارد مسرورا أخا جـذل
وفي النظايـر للأشراف يسقـط مـا	سميت منه ضليعا شاكي العلل

بـاب في الأعـداء والأصدقـاء مـن الـدراري

الشمس والكيوان أعـدا أبـدا	نعـم ولا يتفقـان سرمـدا
إن شرف الكيوان فالشمـس تـرى	سقوطها والعكس هكذا جرى
وكاتـب مع زهـرة كذلـك	والمشتري مع أحمر يا سالـك
وما لبـدر مـن عـدو فيهـم	وأحمـر صديق شمس منهـم
بـدر صديـق زهرة قد علمـا	والمشتري صديقه قد انتـمى
وأحمـر صديقـه الكيـوان	وكاتب للشمـس يا إنسـان

بـاب الأعـداء والأصدقـاء مـن البـروج

وكلما للنـار والريـح انتـمى	من البروج أصدقاء فاعلمـا
وهكـذا المـاء مـع التـراب	فاعلم صديقيـن بلا ارتيـاب
والعكس في التـراب مع الهواء	والنـار أيضاً هكـذا للمـاء

بــاب سعــادة البــروج وشقاوتهــا

فأول الحمل شقي يا فــتى — وآخــر منه سعيد قد أتى
والثور بالعكس وما يليــه — بعكســه كذاك نستوفيــه
فواحــد أولــه شــقي — وواحد بالعكس يا ذكي
من بعد أن تستثني السرطــان — إذ كالذي من قبله قد كان

بــاب في نــواحي الــدراري

والشمس بالمشــرق في النهــار — بمغرب في الليل باشتهــار
والعكس في عدوها المقاتــل — فخذ وكن متبعــا يا سائلي
وزهرة بالليل قــل جوفيــه — وبالنهــار يا أخي قبليــه
والعكس في عطارد والقمــر — ما بين قبلة وغرب اشتهــر
وبين مشرق وجوف مشتــري — وبين شرق قبلة للأحمــر

فصــل في قــدر عظــم الشمــس والقمــر

وعظم الشمس كقــدر الأرض — قصا ونيفا فخذه وامــض
والبدر قدره كنقــط فــاء — قد قيل في بعض من الأنباء
وبيــن كل فلــك وفلــك — كنقط ثامن السنين قد حكي
وغلــظ كل واحد كذلــك — سبحان ربنا القوي المالــك

وفي الكتاب جملة الـدراري　　في قوله بالخنس الجـواري
والكـل في الأفـلاك قـد يجـرون　　كما أتى في الذكر يسبحون

بـاب معرفـة التربيـع وهـو مستخـرج مـن علـم الفلـك

وإن تـرد معرفـة التربيـع　　وتخرج الكمين بالتوزيـع
فانظـر إلى اسـم طالـع وكوكبـه　　وكوكب الساعة فاعلم وانتبـه
وزد عليهم هذه الأسـامي　　نوح وحام يافث مع سـام
ثـم تعدهـم بعـد سبعـة　　وتطرح الجميع طرح تسعة
وربع الأرض وبعـد تنظـر　　في أي ربع بات فيه القمر
فإن يكن في مشرق فالتبتـدي　　من قبلة فاعلم بما في العدد
وهكذا فيما بـقي تبتديـه　　إن بات في ربع فبالذي يليه
فحيث ما انتهى لك التعـداد　　فذلـك الربع وهو المـراد
وافعل به كما فعلـت أولا　　حتى ترى الكمين فيه قد جـلا

بـاب في جهـات البـروج الإثـنى عشـر

بيت الحية برج كل واحـد　　والثانيكبسه فخذ مقاصـد
فبيت الأخوة فبيت الأبويـن　　فبيت الأبناء تفهم دون مين
يتلوه بيت مرض قد انجـلى　　من بعده بيت النكاح فانقلا
فبيت موته فبيـت السفـر　　فبيت ملكه فخذ ولا تزدري

فبيـــت سعده بالأصدقـــاء فبيـــت الأعداء بالشقـــاء

فصـــل في نحـــوس القمـــر

ونحسه بعقـــرب قد ذكـــرا لأنها سقوطه كما جـــرى
وهكذا اجتماعه مع زحـــل وذنب واحمر نحس جـــلي
وكونه في ثامـــن المطالـــع وثاني عشرة كذاك واقـــع
أو موضع محترق قد كان فيـــه وذاك بين عقرب وما يليـــه

فصـــل في معرفـــة الليـــل والنهـــار مـــن البـــروج الإثـــنى عشـــر

أن البروج قل على قسميـــن الليـــل والنهار دون ميـــن
النـــار والريـــاح نهاريـــان والمـــاء والتـــراب ليليـــان
فكـــل ليـــلي مؤنث شهـــر وغيره بالعكس هكذا ذكر

فصـــل في البـــروج

فصل من البروج ذو تقلـــب وثابت مجسد فالتحســـب
فالأول الحمل مع السرطـــان وهكذا الجدي مع الميـــزان
والثابت العقرب ثم الأســـد والدلو ثم الثور والمجســـد

والقوس والعذراء مع الجــوزاء   وهكذا الحوت فاستمع إلى أنباء
ويجمع المذكور شكل تثــم   لكل حرف أربع فلتعلــم
والشمس والأحمــر ناريــان   عطارد والكيوان ريحيــان
وزهرة وقمــر والمشتــري   مائيــة فاعلم وخذ لا تزدري

بــاب في بيــان الأركــان الــتي تقــوم منهــا الأبــدان وهي الطبائــع

واعلم بــأن عدة الأركــان   أربعــة عناصــر الأبــدان
النــار والهــوا مخففــان   والمــاء والأرض مثقــلان
فالحر واليبس لطبــع النــار   والبرد واليبس لترب جــار
رطوبة حرارة قــل للهــوا   رطوبة برودة ماء حــوى

فصــل في قسمــة الحــروف والبــروج عــلى الطبائــع

وإن أردت قسمة الحــروف   على الطبائع بلا تكليــف
فضع حروف نتهم في جــدول   واقسم عليها أبجد وكمــل
وذا على طريق أهل الفلــك   والحكماء نهمة عنهم حكي
فنتهــم معنــاه بإقــراء   نــار تراب وهــواء مــاء
ولتقسم البروج مثل ذلــك   عليــه كي تتبع المسالــك

يبدو أن المنظومة لم تنتهي هنا. ومع هذا نكتفي بما حصلنا عليه ــ إلى الآن ــ من هذه المنظومة الرائعة في الفلك؛ التي سماها **عبد الرحمن الأخضري**: السراج في الفلك. نقلناها من كتاب مفيد المحتاج في شرح السراج؛ الذي أعده **سحنون بن عثمان بن سليمان بن احمد ابن أبي بكر الميدوي**. وهو منشورات المكتبة الثعالبة بالجزائر.

*****

عاشراً: ــ ومنظومة "أزهار المطالب في علم بالإسطرلاب"[1].

يبدأ هذه المنظومة هكذا:

القــول في تسميــة الآلات[2]

ورسم الاسطرلاب حيث يـاتي

---

[1] الأسطرلاب أو الأسطرالاب (Astralabe): آلة فلكية عريقة؛ تسمى عند العرب أيضاً باسم (ذات الصفائح). وربما عاد اختراعها الأول إلى الفراعنة أو البابليين؛ نظراً لعنايتهم واهتمامهم بعلم بالفلك وتتبع النجوم ودراسة حركتها. وذكر اليعقوبي أن ثيون الأسكندري الذي عاش في القرن الرابع الميلادي ألف عملاً حول الأسطرلاب؛ غير أن عمله هذا لم يصل إلينا. كما تبين أن السريانيين كان لهم اهتمام بالأسطرلاب؛ إذ قام ــ في القرن السابع الميلادي ــ سفيروس سيبوخت بالكتابة حول الآسطرلاب. وفي العصر الإسلامي شاع استعمال الأسطرلاب وانتشر استعماله بين المسلمين؛ حيث ألف أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر بن سهل الصوفي الرازي (291هـ/903م ــ 376هـ/986م)؛ كتاب العمل في عمل الأسطرلاب، وفي القرن الثامن الميلادي قام أبو إسحاق إبراهيم بتطوير الأسطرلاب. ومن ذلك الوقت تعددت المؤلفات المتعلقة بالأسطرلاب لدى المسلمين؛ خاصة في الأندلس والمغرب؛ منها منظومة الأخضري هذه.

[2] تعددت أشكال آلة الأسطرلاب؛ كما اختلفت المواد التي صنعت بها. فمنها الخشبية، ومنها النحاسية ومنها الحديدية...

بالأم ذات البطن والكرسي ما[1]

علا وفيه عروة قد رسما[2]

وظاهر الأم به مميز

دواير محيطة بالمركز[3]

أولها دايرة للأشهر[4]

ينقصها من كامل وأبتر

حاوية لكل أيام السنة

وهي التي بسطحه مبينة

وبعدها البروج الإثنى عشرة[5]

قسم البروج فوقها قد سطرا

فكل واحد من الأبراج

له ثلاثون من الأدراج[6]

وربع الارتفاع فوق سطرا

بالجهتين فيه تسعون ترا

ووسط الظهر به ضلعان

فجهة الظلين موضوعان

[1] الأم: هي التي تشتمل الصفائح المثبتة في الوجه. أما الكرسي: فهو الخط المستقيم المار بمركز الدائرة والكرة المنتهي إلى الجانبين: الأيمن والأيسر.

[2] العروة: هي التي فيها الحلقة؛ وهي ماسكة للكرسي.

[3] المركز: هو النقطة المفروضة في وسط الصفيحة.

[4] أي محيط الدائرة الأولى في وجه الأسطرلاب تكون للأشهر.

[5] البروج الفلكية هي: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، العذراء، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت،

[6] أي لكل برج ثلاثون درجة.

قد عرف المبسوط والمنكوس

كل من الاصباح فيه اقتفي

فظله المبسوط بالإجماع

يزيد عند نقص الارتفاع

وحيث زاد الارتفاع نقصا

وعكسه المنكوس فيما نصحا

وما يدار فوقها عضاده[1]

محدودة الرأسين للإفادة

وشطبتاه فوقها مثقوبتان

لأخذ لارتفاع قل مبعدتان

ووجه الأم فيه حجرة بدت[2]

فيها جميع الدرجات نزلت

والعنكبوت شبكة تدار[3]

على الصفائح لها اضطرار

وعدلت منطقة البروج

في وسطها بجملة الدروج

وحولها كواكب قد عدلت

وكلها على السموت عدلت[4]

---

[1] العضادة: هي المسطرة التي تدور على ظهر الأسطرلاب.

[2] الحجرة: هي الدائرة المقسومة.

[3] العنكبوت: هي الصفيحة المشبكة الموضوعة فوق الصفائح المشتملة على منطقة الأبراج.

[4] السموت مفردها سمت: ويستعمل في علم الفلك للدلالة على طول القوس؛ وهو الزاوية المحصورة بين أي مستقيم مرسوم في الأفق مارا بموضع الراصد، وبين الخط المرسوم من الشرق إلى الغرب. ويقصد بها أيضاً خطوط الطول.

وعند رأس الجدي باستواء

محدد يدعي مدى الأجزاء

تدرى به الأجزاء للساعات

وقوس ما ثبت من الأوقات

وتحتها صفائح الأعراض[1]

لكل إقليم من الأراضي

في وجهها دواير مرسومة

ثلاثة محيطة محكومة

فالدارة الكبرى لرأس الجدي

يمشي عليها دايما في الجدي

وسطاؤها للحمل والميزان

وبعدها الصغرى للسرطان

فدارة الميزان ثم الحمل

يدعونها بدارة المعدل[2]

وللشمال كل ما فيها اندرج

وللجنوب كل ما عنها خرج

وخطها المنصوب باستواء

يدعى بخط وسط السماء

---

[1] الصفائح سميت بها آلة الأسطرلاب؛ (ذات الصفائح)؛ وفي كل صفحة توجد ثلاث دوائر على مركز واحد.

[2] هكذا للضرورة الشعرية. ويقصد أن الدارة الوسطى؛ وهي دارة الميزان والحمل؛ هي مدار الاعتدال.

منشــؤه مـــن قبــة الكـــرسي[1]

يمر نحــو الجـــانــب السفـــلي

فإن تعــد القطـــب سمـــة الوتـــد

وخط نصف الليـــل كل ذا ورد

وخطهـــا المدعـــو بخـــط الأفـــق

من مغرب يمـــر نحـــو المشـــرق

ثـــم دوايـــــر المقنطــــرات[2]

كاملـــة وغيـــر كامـــــلات

وعـــد الارتفـــاع بينهـــا وضـــع

بحســـب اصطـــلاح من قد يصطنـــع

والنقطـــة الوســـطى بسمت الرأس قـــد

تدعى سمت السموت قـــد ورد

ومن هنالك السمـــوت أخرجـــت

أعدادها بين الخطوط أدرجـــت

وخـــط للأعـــراض والساعـــات

في الجهة السفـــلى وللأوقـــات

وثقب في القطب تســـمى المحـــور

وممســـك بفـــرس قد شهـــروا

*****

[1] الكـرسي: هـو الجـزء البـارز، محيـط الحجـرة ومسمـار العـروة نافـذ فيـه.

[2] المقنطـرات: هي خطـوط العـرض.

نكتفي بهذه المقدمة؛ **لمنظومة أزهار المطالب في الآسطرلاب**؛ لأنها مازالت مخطوطة وتستدعي تحقيقاً دقيقاً من قبل مختصين. لعل عرضها هنا يلفت أنظار المهتمين بميدان الفلك؛ فيتناولونها بالتحقيق والدراسة والشرح.

وما سبق ذكره ـ من مؤلفات **الأخضري** ـ لا يتجاوز عشرة أعمال؛ وهو العدد الذي تمكنا من الحصول عليه؛ على أننا سنواصل البحث عن بقية أعماله؛ بغرض نشرها في المستقبل؛ فنرجو من الله العون والتوفيق. ومع هذا؛ نشير بلمحة خاطفة إلى بعض الأعمال التي نتوقع الحصول عليها فيما بعد؛ منها:

ـ **"الفريدة الغراء"** في التوحيد؛ ما زالت مخطوطة؛ ويملك الشيخ **عبد الرحمن الجيلالي** نسخة منها.

ـ **"الدرة البهية"** في النحو. موجودة في بعض الزوايا بولاية بسكرة.

وبهذا نصل إلى نهاية هذا الفصل؛ الذي درسنا فيه بعض مؤلفات الإمام **عبد الرحمن الأخضري** التي حصلنا عليها وهي عشرة أعمال رئيسة:

1 ـ رسالة في الحساب.

2 ـ الدرة البيضاء.

3 ــ متن الأخضري في العبادات.

4 ــ المنظومة القدسية.

5 ــ الرائية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم .

6 ــ القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني.

7 ــ الجوهر المكنون في الثلاثة فنون.

8 ــ السلم المرونق في المنطق والحكمة.

9 ــ منظومة السراج في الفلك.

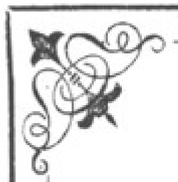
10 ــ أزهار المطالب في علم الأسطرلاب.

11ــ بالإضافة إلى القصيدة المنسوبة إليه عن النبي خالد. التي وضعت في الفصل الأول.

وقد حاولت جهدي التعريف بهذه المؤلفات مع الشرح والتحقيق؛ ولكن الإلتزام بصفحات محددة وقف أمامي عائقاً وكابحاً في الاستمرار بالشرح الكامل. وعليه؛ أرجو من الله التوفيق لما فيه الخير والفلاح.

تم بحمد الله وحفظه

*****




المـــلاحـــــق







وثيقــة ــ 1 ــ

(صفحــة أولى مــن مخطــوط منظومــة القدسيــة)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

هذه منظومة العارف بالله
سيدي عبد الرحمن الأخضري المسماة
بالمنظومة القدسية

يقول راجي رحمة المقتدر
المذنب العبد الذليل الأخضري ١

بحمد رب العالمين ابتدي
ثم صلاته على محمد ٢

يا طالبا على كمال قدسه
وقاصد العلاج نفسه ٣

اعلم بأن الجوهر الإنساني
وهو الذي يدعونه الروحاني ٤

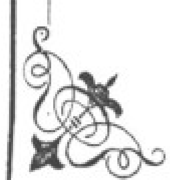
منشكوه في العالم العلوي
ومودع في القالب الجسمي ٥

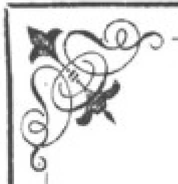
لأنه في الأصل من جنس الملك
فصار مركوزا في عالم الملك ٦

فهذه جوهرة نفسيه
في الأصل في الدائرة القدسيه ٧

دائرة التطهير والكمال
وعاقها عن ذاك الاتصال ٨

341




وثيقة ـ 2 ـ

(الصفحتان: الأولى والثانية لمخطوط سر منظومة القدسية للشيخ بن مصباح)











وثيقــة ــ 3 ــ

(الصفحــة الأولى مــن رائيــة الأخضــري في مــدح رســول اللــه صــلى اللــه عليــه وسلــم)



343

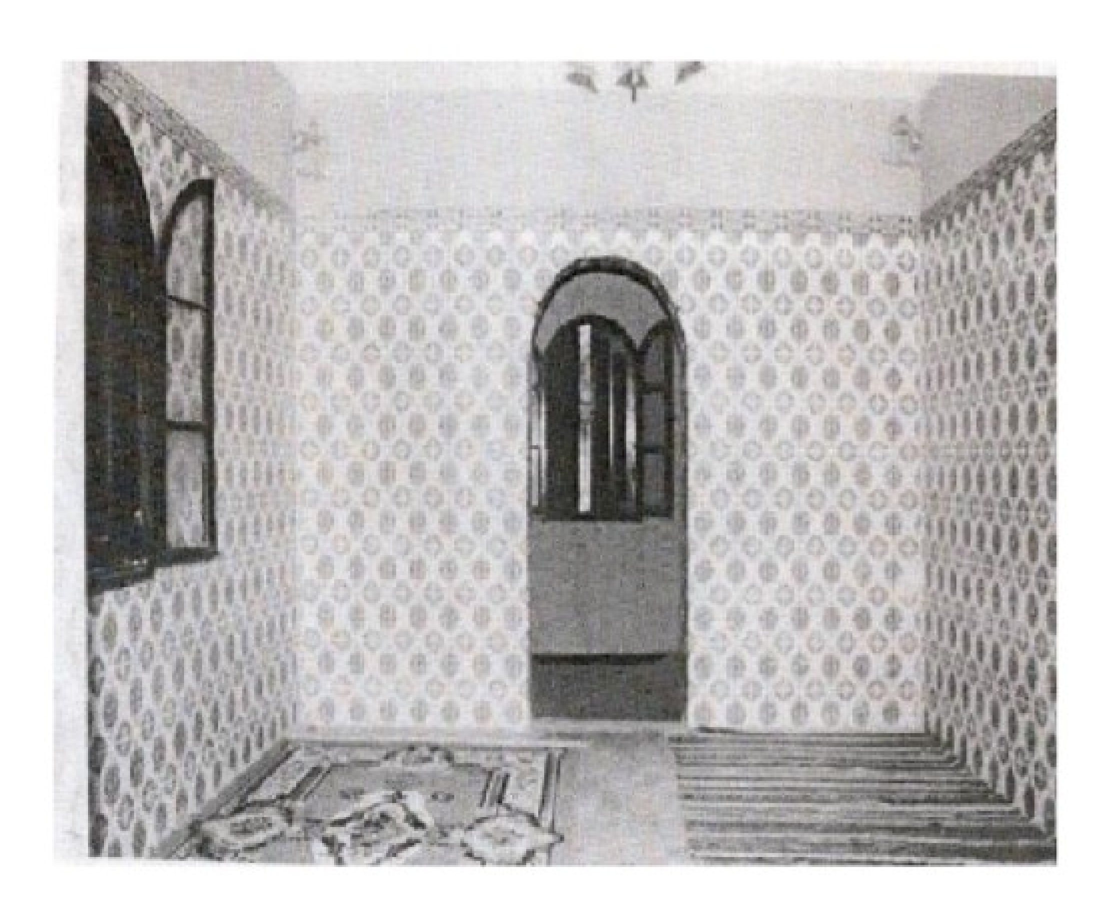






وثيقــة ــ 4 ــ

(غرفــة داخــل ضريــه العلامــة عبــد الرحمــن الأخضــري)









وثيقة ـ 5 ـ

(مقام العلامة عبد الرحمن الأخضري)







وثيقة ــ 6 ــ

(مقام العلامة عبد الرحمن الأخضري)







وثيقــة ــ 7 ــ

(مسجــد عبــد الرحمــن الأخضــري ببانطيــوس)







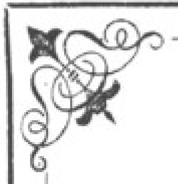


وثيقـــة ــ 8 ــ

(مسجــد عبــد الرحمــن الأخضــري وضريحــه ببانطيــوس)






المصادر والمراجع

ـ **القرآن الكريم**؛ مصحف الشروق المفسر الميسر، دار الشوق بالقاهرة، 1977م.

ـ **تفصيل آيات القرآن الحكيم**؛ لـجُولْ لابُومْ؛ ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب العربي ببيروت 1954م. ويليه المستدرك (وهو فهرس مواد القرآن) لـ إدْوَارْ مُونْتِيَهْ.

ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**؛ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشروق (كتاب الشعب).

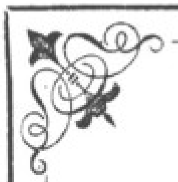
ـ **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد الغزالي، دار الفكر ومطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية، ط: 1، 1975م.

ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر النميري القرطبي، مكتبة المثنى ببغداد ومطبعة السعادة بمصر، ط: 1، 1328هـ.

ـ **الأعلام**؛ **خير الدين الزركلي**، مطبعة كوستا توماس وشركاه، ط: 2، 1954 ـ 1959 م.








ـ **تاريخ الجزائر الثقافي**؛ أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر، 1981م.

ـ **تاريخ الجزائر العام**؛ عبد الرحمن الجيلالي، دار الثقافة ببيوت، 1980م.

ـ **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**؛ زكي مبارك، منشورات المكتبة العصرية ببيروت،

ـ **التلخيص في علوم البلاغة**؛ محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب؛ شرح وضبط عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط: 2، 1932م.

ـ **دائرة المعارف الإسلامية**؛ محمد ثابت الفندي وآخرون، القاهرة، 1933م.

ـ **رياض الصالحين**؛ يحيى بن شرف النووي، مكتبة محمد علي صبيح بمصر.

ـ **سنن الترميذي (وهو الجامع الصحيح)**؛ محمد عيسى بن سورة الترميذي؛ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، ط: 3، 1978م.

ـ **شرح ديوان زهير بن أبي سلمى**؛ شرح أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، 1964م.








ـ **شرح قدسية الأخضري (مخطوط)**؛ شرح الحسين ابن أحمد زروق بن مصباح، مخطوط بالزاوية العثمانية بطولقة.

ـ **شفاء السائل لتهذيب المسائل**؛ عبد الرحمن بن خلدون؛ تعليق الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية ببيروت، 1959م.

ـ **صحيح البخاري**؛ محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر ببيروت.

ـ **صحيح مسلم**؛ مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري؛ شرح الإمام النووي، دار الفكر.

ـ **الطبقات الكبرى**؛ محمد بن سعد، دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادر للطباعة والنشر بيروت، 1960م.

ـ **عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنهما.** وهو شرح لمختصر الأخضري في العبادات. لأبي محمد عبد اللطيف بن المسبح المرداسي؛ التوفي سنة 980هـ/1572م.

ـ **الغرة في شرح فقه الدرة (وهو شرح لقسم الفقه من الدرة البيضاء للأخضري)**؛ محمد الصادق الشطي، المطبعة التونسية بتونس، 1936م.








ــ **القصيدة الرائية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم**؛ لعبد الرحمن الأخضري

ــ **القصيدة القدسية في التصوف**؛ لعبد الرحمن الأخضري.

ــ **القصيدة اللامية في التصوف والإرشاد الديني**؛ لعبد الرحمن الأخضري.

ــ **القصيدة اللامية في النبي خالد بن سنان**. لعبد الرحمن الأخضري.

ــ **كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات**؛ محمد بن الطيب الباقلاني،؛ تصحيح الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية ببيروت، 1958م.

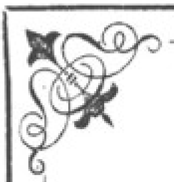
ــ **كتاب شرح الدرة البيضاء**؛ للأخضري؛ صححه علي بن أحمد العدوي الشهير بالهواري.

ــ **الكواكب العرفانية والشوارق الأنسية في شرح ألفاظ القدسية**. لشيخ الحسين الورثلاني؛ وهو شرح منظومة القدسية لعبد الرحمن الأخضري.

ــ **متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك بن أنس**، عبد الرحمن بن الصغير الأخضري؛ تصحيح ومراجعة محمد حبيب الله الشنقيطي المالكي،








المكتبة الأهلية بواد مدني بالسودان والمكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة،

ـ **مجموع مهمات المتون**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط: 4، 1949م.

ـ **محك النظر في المنطق**؛ أبو حامد محمد الغزالي؛ ضبط وتصحيح محمد بدر الدين النعساني، المكتبة التجارية للطباعة والتوزيع والنشر ودار النهضة الحديثة ببيروت، 1966م.

ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**؛ علي بن الحسين المسعودي؛ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط: 3، 1958م.

ـ **معالم السنن** (شرح سنن الإمام أبي داود سليمان ابن الأشعث السجستاني)؛ شرح أحمد بن محمد الخطابي، المكتبة العلمية ببيروت، ط: 2، 1981م.

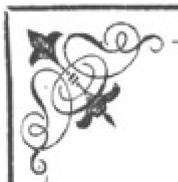
ـ **معجم أعلام الجزائر**؛ عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ببيروت، ط: 2، 1980م.

ـ **معجم البلدان**؛ ياقوت الحموي، دار صادر ببيروت، 1977م.

ـ **معجم المطبوعات العربية والمعربة**؛ جمعه ورتبه يوسف اليان سركيس، مكتبة سركيس بمصر، 1928م.








ــ **مفيد المحتاج في شرح السراج**؛ وهو شرح لكتاب السراج في علم الفلك لعبد الرحمن الأخضري؛ تولى شرح الكتاب سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر الميدوي.

ــ **مقدمة ابن خلدون**؛ عبد الرحمن بن خلدون؛ تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي بالقاهرة، 1965 ــ 1968م.

ــ **المقصد الأسنى (شرح أسماء الله الحسنى)**؛ أبو حامد محمد الغزالي؛ تحقيق محمد مصطفى أبو العلا، مكتبة الجندي بالقاهرة، 1968م.

ــ **منظومة الأسطرلاب**؛ لعبد الرحمن الأخضري.

ــ **المواريث في الشريعة الإسلامية**؛ الشيخ حسن الخالد وعدنان نجا، دار لبنان للطباعة والنشر ببيروت، 1967م.

ــ **موطأ الإمام مالك (برواية يحيى بن يحيى الليثي)**؛ مالك بن أنس بن مالك بن أنس بن الحارث الأصبحي الحميري؛ إعداد أحمد راتب عرموش، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع لبنان، ط: 2، 1977م.

ــ **نشأة التصوف الإسلامي**؛ إبراهيم بسيوني، دار المعارف بمصر، 1969م.








ـ **مجلـة الأصالـة**؛ وزارة الشئـون الدينيـة الجزائـر، العـدد: 53، جانـفي 1978م.

LE SOULLAM; TRAITÉ DE LOGIQUE; tradouire de L'ARABE —
par J.D. Luciani; ALGER; 1921.

*****







فهـــرس المحتويـــات











بوزياني الدراجي

.ولد بمدينة طولقة (ولاية بسكرة) في 17 ماي 1939م.

.نال شهادة الماجستير في التاريخ من جامعة الجزائر سنة 1988م

.عضو اتحاد الكتاب الجزائريين.

مؤلفاته المطبوعة:

1. نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية.
2. اغاني الصبا. "مجموعة شعرية".
3. هتاف الارض. "شعر تمثيلي".
4. القبائل الامازيغية
5. دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس.
6. العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية "على ضوء الفكر الخلدوني).
7. ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية.
8. عبد الرحمن الاخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره.
9. اللعبة الخاسرة "مجموعة قصصية".
10. الكابوس "مجموعة قصصية".
11. نفاثة صدري "في السياسة والتاريخ والثقافة".

الكتب المحققة:

.بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد (الجزء الثاني) ليحيى بن خلدون.

.زهر البستان في تاريخ بني زيان؛ لمؤلف مجهول.

.نزهة النظار في فضل التاريخ والاخبار ((رحلة الورثلاني))؛ للشيخ الحسين بن محمد الورثلاني.

.الإحاطة في اخبار غرناطة؛ للسان الدين ابن الخطيب.

رقم الإيداع : 1478-2009





صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة